دكتور
حمدان عبد الرحمن أحمد حمدان
بكلية اللغة العربية بأسيوط

مظاهر الصراع في الأدب العباسي

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

الطبعة الاولى
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

مطبعة الأمانة ٣ - جزيرة بدران ، شبرا مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الرسول الامين .. الذى أدى الامانة وبلغ الرسالة ، وتركنا على المحجة البيضاء .. خير امة اخرجت للناس ، وعلى آله وأصحابه وانصاره وأحبابه .. الذين تبوأوا الدار والايمان ، وقدموا الخـــير والاحسان ، وحملوا اعلام الرسالة خفاقة في أوسع الاجواء ، وانتقلوا بالناس من ظلمات الجهالة ودياجير الضلالة .. الى ســـاحات العلم وباحات المعرفة ، واذاقوهم حلاوة الايمان .

وبعد : فلقد تأذن المولى تبارك وتعالى أن اعكف على دراســة « مظاهر الصراع في الادب العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجرى » وقضي سبحانه ان أتنقل بين افياء الادب وأدواحه ورياضه ، وأن اعمل عقلى وفكرى في دراسة هذه القضية ، واستخلاص جـــوانبها .. كى اسبر أغوارها وأكشف أسرارها ، واتفيأ ظلالها ، واستخرج للدارسين والمطلعين دقائقها وحقائقها .. بعد ان انعمت النظـــر في المؤلفات والمصنفات الحديثة التى اكتفت بدراسة تلك الجوانب في العصر الاموى تاركة الغوص على جواهر تلك المعـــارف في العصر العباسي الذى برزت فيه صور ذلك الصراع وتعـــددت رســـومه ، وتقلبت اعطافه على حقائق ذوات تأثير خاص في تقويم ذلك الادب والتأثير فيه .. سواء من النواحى السياسية أو الاجتمـــــاعية أو الفكرية أو العقلية .

ولقد ركز المؤلفون المحدثون في مؤلفاتهم على الدراسة التاريخية أو الفنية أو النقدية لهذا العصر ناسين أو غافلين عن ان الادب هـو المرآة المصقولة التى تكشف جوانب الحيـــاة ، و « الترمومتر » الحساس الذى يعكس حرارة الزمن أو برودته ، ومدى تأثير الاحداث في نتاج الشاعر او الاديب .

ومن خلال دراساتى المتتابعة لادب ذلك العصر راعنى تعـــدد هذه الصراعات ، وغزارة تلك المشادات بين الجماعات المختلفة ، والطوائف المتعددة وعلى رأسها الشعراء والادباء .. كما لمست عن كثب مدى تأثير ذلك كله في الأدب .. حتى تعددت وجوهه ، وتلونت سماته ، وتكثفت صوره ، وبرزت مراسمه ، وغزرت الوانه بشكل لم يسبق له مثيل في العصور السابقة .

وقد اقتصر كبار المؤلفين في العصر الحديث على دراسة ذلك الصراع وآثاره في العصر الاموى .. ومنهم الأســـاتذة احمد أمين ، واحمد الشايب وأحمد الحوفي ، والنعمان القاضي وشوقى ضيف .. الذين عرضوا في مؤلفاتهم للاحزاب السياسية والفرق الدينيـــــة والنقائض الادبية أيام الامويين ، .. وتناسوا في الوقت نفســـه أن العصر العباسي لم يكن أقل شأنا من العصر الأموى في هذه المجالات.

ومن هنا تولدت عندى فكرة ان اتمم هـــذا النقص واجبر ذلك الكسر ، وأكمل ذلك البناء بوضع اللبنة الاخيرة في موضعها منه ، وهى هـــذا الكتاب .

ولقد نهجت في كتابتى نهجا خاصا قام عـــلى تنسيق البحث وتنظيم الدراسة .. حتى يخرج على النسج المرتجى ، والنهج المؤمل

.. ويكمل بذلك عقد هذه القضية ، ونتعرف على آثار هذا الصراع الذى اثرى به الادب العربى وفاض فيضه فانداح على جوانب الحياة الادبية سلسالا صافيا من الادب الغزير الذى تصوب أو تصعد فى تلك المجالات .. فى شبه خصومة بين العناصر والمعتقدات والافكار التى ظهرت فى ذلك الابان فى المجتمع الاسلامى .

ومن أبرز ألوان ذلك الصراع ما حدث بين ادباء العرب وأدباء الشعوبية .. الذين ناصبوا العرب العداء ، وواجهوهم بالسب والبذاء ، وحاولوا أن يطمسوا معالم المناقب العربية ، ويصوروهم بصور بدوية بعيدة عن الحضارة والمستويات الراقية ، ويصفوهم بأنهم مجرد رعيان اغتصبوا السلطان من أصحابه ، واستلبوا الاموال بالبطش والطغيان ، وحكموا الناس بالحديد والنار .

ومن أكثر الشعر والادباء جرأة فى هذا المجال ، بشار بن برد ، وابو نواس والخريمى ، والمتوكلى وابو عبيدة معمر بن المثنى ، وعبد الله بن المقفع وغيرهم .

ويلاحظ أنهم جميعا من الموالى الذين كان لهم وضع خاص فى العصر الاموى .. لا يستطيعون معه انتهاج ما انتهجوه فى العصر العباسي .. لانهم كانوا محكومين حكما اقتص أجنحتهم ، واوقفهم
العباسي .. لانهم كانوا محكومين حكما اقتص أجنحتهم ، واوقفهم
العرب ويدعون أنهم خير منهم ، وأن نجارهم واصلهم خير من نجار العرب وأصلهم الى حد بعيد .

ومن هنا اندلعت الحرب الكلامية بين الفريقين ، واشتعل الجدل بين هؤلاء واولئك ، وادى الادب عامة والشعر خاصة رسالة مكثوغة

في هذا المجال .. تتمثل في كثير من القصائد والمقطعات والنقائض والمقالات .

ومن خلال هذه الحملات تصدى لهم مجموعة قوية من علماء العرب وأدبائهم وشعرائهم يردون عليهم وينقضون آراءهم ، ويكشفون زيفهم ... وعلى راسهم الجاحظ وابن قتيبة وأبو حيان التوحيدي والاصمعي عبد الملك بن قريب وغيرهم ..

وقد اخذ كل فريق يدافع عن نفسه ويحامي عن جنسه ، ويفاخر بأنسابه ، وينشر مثالب الآخرين ويذيع معايبهم ، ويتقول في ذلك الاقاويل :

ومن ألوان هذا الصراع ما حدث بين العرب والروم من مجادلات ومصاولات حربية وكلامية وكان أبرز من دافع عن العرب وانتصاراتهم أبو تمام والبحتري ومروان بن أبي حفصة حيث صوروا بطولة الجيش العباسي أصدق تصوير .

ومن تلك الالوان الصراع الذي حدث بين العلويين والعباسيين ، ومن شعراء الاولين ، دعبل بن علي الخزاعي الذي صارح العباسيين بالعداء وجهر بخصومتهم ونادى بحق العلويين في الخلافة دون خوف او فزع من الدولة وكذلك تميم بن المعز الفاطمي الذي ادلى بدلوه في الدلاء ، وشارك بقوة في هذا الموضوع .

ومن شعراء العباسيين مروان بن أبي حفصة ومنصور النمري والسيد الحميري ، وكل من جعل الدنيا همه والمال قصده .. وعلى راس هؤلاء عبد الله بن المعتز الشاعر والخليفة العباسي ، والذي

حدثت الملاحاة بينه وبين تميم بن المعز ، واشتد بينهما النــزاع والصــراع .

ومن هذه الالوان أيضا الصراع الدينى والفكرى الذى اشــتد واحتدم بين الخوارج والمعتزلة والمرجئة ، وترك على صفح الحياة الادبية كثيرا من الصور والرسوم .. فقد ذهب كل فريق من هــؤلاء مذهبا فكريا خاصا سجلته قيثارة الشعراء من هؤلاء وأولئك حيث دعوا الى هذا المذهب أو ذاك مفاضلين بين المذاهب ، عارضــين المحاسن والمساوىء في هذه الافكار والعقائد التى استمرت معاركهـا ردحا من الزمان .

ولقد شغلتنى هذه الدراســة عدة سنوات ، ونالت من جهدى ووقتى الشيء الكثير .. لان التصدى لمثل هــذا الموضوع الشائك يقتضي كثيرا من البذل وعظيما من الجهد ، وواســعا من القراءة والاطلاع خاصة أننى تعمقت في هذه الدراسة وعايشت كثــيرا من كنوز الادب وذخائره ، وقضيت معها أزمنه متطاولة في القراءة والفهم واستخراج النتائج من المقدمات .

وسيرى القارىء الكريم مدى ما عانيت في تأليف هذا الكتاب ، ويقف على ما بذلت في الحديث عن كل مذهب ، وفي تصوير كل رأى ، ورسم كل اتجاه للدولة أو غيرها ازاء هذه الافكار وتلك الاندفاعات المذهبية التى كانت ترضيها تارة وتسخطها اخرى .

ومعروف بين الأدباء ان الأدب انما هو تصوير دقيق للأحاسيس والمشاعر التى تتخلج كل نفس ، وتتموج بكل حس ، فهو صــورة ناطقة لهذه وتلك ، ورسم صادق للعاطفة التى يحملها كل أديب نحو

الاحداث التى تمر به ، والوقائع التى يعايشها ويحيا في ظـلالها ، ويتأثر بها كل التأثر ومن هنا تشاهد تلك العاطفة على مسرح الحياة الخاصة والعامة في تميز ووضوح .

ولقد كان هدفي من تلك الدراسة ـ كما المحت سابقا ـ أن اضـع بين يدى الدارسين للأدب وعاشقيه والمولعين به صورة صادقة عن هذا الصراع في مجالاته المتعددة خلال العصر العبـاسي الاول من الجوانب السياسية والاجتماعية والفكرية .. التى كانت خافية على الباحثين او مهملة منهم .

والله أرجو ان يهيىء لهذا البحث ظروفا مواتية ، ويمنحـه فرصة سعيدة يظهر فيها الى عالم الوجود حاملا كثيرا من الاطباق الشـهية الى المائدة الأدبية التى يلتف حولها الكثيرون كى ينالوا من جناها ويقبسوا من سناها الذى يضيء لهم معالم الطريق .

والله المسئول أن يكتب له ولنا التوفيق والسـداد ويهدينا الى سبيل الرشاد .. انه نعم المولى ونعم النصير .

د. حمدان عبد الرحمن احمد

رمضان سنة ١٤٠٤ هـ
يونيه سنة ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أشرقت شمس الاسلام على الكون ، فبددت ظلمات الجهل والطيش ، وقضت على العصبية ، والتفرقة العنصرية ، وحمل محمد صلى الله عليه وسلم مشعل الهداية للناس اجمعين ، ونادى بالوحدة ، والاخوة الاسلامية ، فالمؤمنون يد واحدة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ، لا فضل لعربي على اعجمي ولا ابيض على أسود الا بالتقوى والعمل الصالح ... فعاش المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ..

ولما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى ، سار الخلفاء الراشدون من بعده على طريقته ، ونسجوا على منواله ، فلم يفرقوا بين عربي ولا أعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، واكبر شاهد على ذلك أن ابا بكر رضي الله تعالى عنه عندما تولى الخلافة ، بدأ عهده بتقرير هذا المبدأ السامي في قوله : ألا ان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، واضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه (١) .

وكان يسوي بين المسلمين جميعا في العطاء ، حتى غضب عليه أهل السبق في الاسلام وقالوا له : يا خليفة رسول الله . انك قسمت

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ٢٣٢ .

هذا المال فسويت بين الناس ومنهم من لهم فضل وسبق فهلا فضلتهم ؟ فقال : أما ما ذكرتم من السبق والفضل فما أعرفني به ، وانما ذلك ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش والاسوة فيه خير من الاثرة (١) ٠

ولما آلت الخلافة الى عمر رضي الله تعالى عنه حرص ـ كذلك ـ على تقرير مبدأ المساواة بين المسلمين حتى انه كان يحرم على أهل المدينة ان يتركوها الا للجهاد في سبيل الله مخافة ان يكونوا عصبيات عربية في أقطار الدولة الاسلامية الواسعة فتتشق وحدتها وتتداعى أركانها ، وهى قريبة العهد بالتنابز الجاهلى (٢) ٠

ولقد كان رضي الله تعالى عنه مثالا للحاكم المسلم الغيور على وحدة المسلمين ، فأوضح سياسته مع الاعاجم في قوله :

« والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال ، وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد صلى الله عليه وسلم منا يوم القيامة فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » (٣) ٠

ثم تولى من بعده عثمان رضي الله عنه ـ وكان سهلا لينا ـ فترك مقاليد الامور في الدولة ٠ لقومه من بنى امية مما هيأ الفرصة للعصبية ان تطل براسها من جديد ، ولكنها لم تكن عصبية بين العرب والموالى وانما كانت عصبية قبلية بين بنى امية وبنى هاشم ، وكان ذلك من الاسباب التى عجلت باستشهاده ٠

---

(١) الخراج لأبى يوسف ص ٥٠ ٠
(٢) تاريخ الشعر السياسى للشايب ص ٩٩ ٠
(٣) طبقات ابن سعد ٣ : ٢١٣ ٠

أما على ــ كرم الله وجهه ــ فقد كان مثالا للعـدالة والنزاهة ، والبعد عن العصبية ، والتفرقة العنصرية ، فكان يسوى بين العرب والموالى في العطاء ، ولعل هذا من الاسباب التى جعلت العـــرب يتقاعسون عن نصرته (١) ٠

ويروى : أن طائفة من أصحاب على مشوا اليه فقالوا : يا أمير المؤمنين اعط هذه الاموال ، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ، واستمل من تخاف خلافه من الناس ، وانما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المـال فقال لهم : اتأمرونني ان اطلب النصر بالجور ؟ (٢) ٠

بهذه التعاليم السامية ، وبتلكم المبادىء الرفيعـــة ارتقى الاسلام وانتشر في ارجاء الارض وعاش المسلمون اخـــوة متحابين يجمعهم الايمان ، ويوحد بينهم القرآن في ظل عدالة الخلفاء وسماحة الحـــكام ٠

أما الاعاجم فعلى الرغم من دخولهم الاســـلام ٠٠ وتمتعهم بعدالة الحكام ٠ فقد كان بعضهم ما زال ناقما على العرب الفاتحين، الذين أزالوا ملكهم ، واستولوا على بلادهم ، وأذلوا ملوكهـــم ، وسووا بين القوى والضعيف ، والغنى والفقير ، ولم يجدوا وسيلة للتنفيس عن هذا الحقد الدفين الا الاغتيال للقضاء على ملك العرب،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابو ابى الحديد ١ : ١٨٠ ٠
(٢) المرجع السابق ١ : ١٨٢ ٠

وازالة دولتهم من الوجود ، فاغتالوا عمر رضي الله عنه على يد ابى لؤلؤة المجوسي بتحريض من الهرمزان قائد الفرس بالاهواز ذلك أن « الهرمزان » كان داهية من دهاة الفرس ، وقائدا فذا من قوادهم ولكن الدائرة قد دارت عليه فسيق أسيرا الى المدينة وهنـاك أعلن اسلامه بين يدى عمر رضي الله تعالى عنه ولكنه لم يكن مخلصا في اسلامه بدليل انه كان رأس المؤامرة التى انتهت بمقتل الخليفة عمر على يد فيروز أبى لؤلؤة المجوسي الذى كان ناقما على العرب حتى انه كان اذا مر بصبى من سبايا الفرس مسح على رأسه وقال : اكل كبدى عمر (١) ٠

ولقد كانت هذه الواقعة اول طعنة توجه من الموالى للعـرب بعـد الاسلام ، وليس صحيحا ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية من ان القتل كان لعداء شخصي بين ابى لؤلؤة وعمر ، فقد أشارت المصادر الصحيحة الى ان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما لم ينم عن ثأر أبيه حتى اقتص من الهرمزان فلو كان القتل لاسباب شخصـية لسلم منه الهرمزان ولكان اقتص من أبى لؤلؤ وحده (٢) ٠

وهذا دليل على أن الصراع بين العرب والموالى بدأ منذ الفتـح الاسلامى لبلاد الفرس والروم ولم ينشأ فجأة في العصر العباسي كما يذهب الى ذلك بعض الباحثين الذين ارخوا للشعوبية ٠٠

---

(١) الطبرى ٥ : ٦٣١ ٠
(٢) مظاهر الشعوبية ١٢٦ ٠

الفصل الأول

الصراع بين العرب والموالى : في عصر بنى أمية

اغتصب بنو امية الخلافة من بنى هاشم وارغموا المسلمين على بيعتهم وحرصوا أن تكون هرقلية كلما مات هرقل جاء هرقل .. ولذلك فقد كثر اعداؤهم من الهاشميين والزبيريين والخوارج والموالى ....

ولم يأمن بنو امية جانب الموالى قط طوال مدة حكمهم باستثناء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .. وقد عبر معاوية عن خوفه من الموالى عندما دعا الاحنف بن قيس وسمرة بن جندب وقال لهما : انى رأيت هذه الحمراء قد كثرت – يقصد الموالى – واراها قد قطعت على السلف وكانى انظر الى وثبة منهم على العرب والسلطان فقد رايت أن اقتل شطرا وادع شطرا لاقامة السوق وعمارة الطريق فما ترون ؟ (١) فمانع الاحنف في ذلك بحجة انهم تشاركوا في النسب بينما وافق سمرة قائلا : انه يتولى ذلك وأكثر من ذلك ، غير ان معاوية عاد ورجع الى رأى الاحنف .

فكان طبيعيا أن يتوجس الموالى خيفة من الامويين وان يتربصوا بهم الدوائر .. ولكنهم لم يستطيعوا أن يجهروا بهذا العداء ... خوفا من بطش الخلفاء وغضب الحكام من بنى أمية الذين كانت عندهم

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٢٦١ ابن عبد ربه الأندلسى .

عصبية عربية قوية ..وكتب الادب واحداث التاريخ اكبر شـــاهد على ذلك ..

فقد روى الاغاني : أن رجلا من الموالي خطب بنتا من أعـراب بني سليم وتزوجها فركب محمد بن بشير الخارجي الى المدينـــة وشكى الى واليها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل فأرسل الوالي الى المولى وفرق بينه وبين زوجته وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه فانطلق لسان ابن بشير بالثناء عـلى الوالي في قـوله :

شهدت غداة خصـم بني سـليم
وجـوها من قضائك غير سـود
قضيت بسنة وحكمت عـدلا
ولم ترث الحكومة من بعيـد
اذا غمز القنا وجـدت لعمري
قناتك حين تغمز خير عود
حمى حدبا لحوم بنـات قوم
وهم تحت التراب ابو الوليد
وفي المـائتين للمولى نـكال
وفي سلب الحواجب والخدود
اذا كافأتهم ببنـات كسرى
فهل يجـد الموالي من مزيد
فأي الحـق انصف للموالي
من اصهار العبيد الى العبيد(١)

(١) اغاني ١٤ : ١٥٠ .

ويحكى المبرد : ان جريرا نزل بقوم من بنى العنبر فلم يضيفوه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول :

يا مالك بن طريف ان بيعكم
رفد القرى مفسد للدين والحسب
قالوا نبيعكه بيعا فقلت لهم
بيعوا الموالى واستحيوا من العرب

ويقول المبرد : ان الموالى قد انفت من هـــذا البيت لانه حطهم ووضعهم ورأى أن الاساءة اليهم غير محسوبة عيبا (١) •

ولمـا نزل الحجاج واسـطا نفى النبط منه وكتب الى عامله بالبصرة وهو الحكم بن أيوب يقول : اذا اتاك كتابى فانف من قبلك من النبط فانهم مفسدة للدين والدنيا (٢) •

وذهب اعرابى الى سوار القاضي فقال : ان ابى مات وتركنى وأخا لى — وخط خطين ناحية — ثم قال : وهجينا لنا — ثم خط خطا آخر ناحية ثم قال : كيف يقسم المـال بيننا ؟ فقال : المـال بينكم اثلاثا ان لم يكن وارث غيركم : فقـال له : لا احسبك فهمت : انه تركنى واخى وهجينا لنا • فقال سوار : المـال بينكم سـواء فقال الاعرابى ايأخذ الهجين كما آخذ ويأخذ أخى ؟ قال : اجل • فغضب الاعرابى وقال : تعلم والله انك قليل الخالات بالدهناء (٣) •

---

(١) الكامل : ٢ : ٢٦١ •
(٢) ضحى الاسلام ١ : ٢٤ •
(٣) عيون الأخبار ٢ : ٦١ •

وروى صاحب العقد أن العرب كانت تقول : لا يقطع الصلاة الا ثلاثة : حمار او كلب أو مولى ..

كما روى أن العرب كانوا لا يكنون الموالى ولا يدعـــونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون في الصف معهم ولا يقدمونهم في الموكب وان حضروا طعاما قاموا على رؤوسهم وان أطعموا المولى لســنه او لعلمه وفضله أجلسوه في طريق الخباز لئلا يخفى عـلى النــاس انه ليس من العرب (١) .

وكان نافع بن جبير يقول : اذا مرت به جنازة من هنا ؟

فان قالوا قرشي قال : واقوماه ..

وان قالوا عربى قال : وابلوتاه .

وان قالوا مولى قال : هــذا مال الله يأخــذ ما يشــاء ويدع ما يشــاء (٢) .

ولقـد بلغ من احتقار العــرب للموالى في العصر الاموى أنهم كانوا — في معارك القتال — يمتطون صهوات الجياد ويرجلون الموالى يدل على ذلك قول المختار الثقفي لابراهيم بن الاشتر يوم «خازر» وهو اليوم الذى قتل فيه عبيد الله بن زياد : ان عامة جنـدك هؤلاء الحمراء وان الحرب ان ضرستهم هربوا فاحمل العــرب على متون الخيل وأرجله الحمراء امامهم (٣) .

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٦٣ .
(٢) العقد الفريد ٢ : ٦٣ .
(٣) الكامل : ٢ : ٦٢ .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على اختيار العرب للموالي والاستهانة بشأنهم ففي الوقت الذي يضنون فيه بدمائهم الذكية تهون عندهم دماء الموالي ٠

وحكى الجاحظ قال : قلت لعبيد الله الكلابي وكان فصيحا فقيرا أيسرك أن تكون مولى ولك ألف جريب ؟ قال : لا احب اللؤم بشيء قلت فان امير المؤمنين ابن أمة قال : اخزى الله من اطاعه (١) ٠

على ان زواج العربي من الاعجميات كان أهون بعض الشيء من زواج العربيات بالاعاجم الا أنه لم يسلم من اللوم والعتاب فقد روى الحصرى : أن الحسين بن على رضي الله عنهما اعتق جارية له ثم تزوجها فكتب اليه معاوية « من امير المؤمنين معوية الى الحسين بن على رضي الله عنهما اما بعد فانه بلغنى أنك تزوجت جاريتك وتركت اكفاءك من قريش ممن تستحسنه الولد وتمجد به في الصهر فلا لنفسك نظرت ولا لولدك انتقيت » ٠

فكتب اليه الحسين : أما بعد فقد بلغنى كتابك وتعييرك اياى بأنى تزوجت مولاتى وتركت أكفائىء من قريش فليس فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم منتهى في شرف ولا غاية في نسب وانما كانت ملك يمينى خرجت من يدى بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى ثم ارتجلتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد رفع الله

---

(١) ضحى الاسلام ١ : ٣٦ ٠

بالاسلام الخسيسة ووضع عنا به النقيصة فلا لوم على امرىء مسلم الا في أمر مؤلم وانما اللوم لوم الجاهلية (١) ٠

ولما تزوج سيدنا علي زين العابدين من جاريته بعد عتقها عيره بذلك مروان بن الحكم فرد عليه بقوله : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » (٢) ٠

وليس معنى ذلك أن كل العرب في العصر الاموي كانوا يعاملون الموالي هذه المعاملة القاسية فقد كان كثير من العرب يحترمونهم ويجلونهم وبخاصة العلماء منهم امثال : الحسن البصري ومحمد بن سيرين ، وسعيد بن جبير وعطاء بن يسار وهم جميعا من الموالي ٠٠

فالمسلمون جميعا من عرب وعجم كانوا يجلونهم ، ويأخذون عنهم وينتقلون من حلقة احدهم الى حلقة الآخر حتى ان الحسن البصري كان يعيب سياسة بني أمية وينتقد تصرفاتهم ولا يصيبه أحد بسوء ، ولما مات تبع الناس جنازته حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر ٠٠ ولقد قتل الحجاج آلاف العرب فلم يعبأ احد بذلك ولكن قتله لسعيد بن جبير — وهو من الموالي — أسخط عليه العامة والخاصة ٠٠ نظرا لدينه وعلمه ٠

ولقد كان من اثر هذه السياسة ان نقم الموالي على بني أمية واضمروا لهم العداوة والبغضاء وتمنوا زوال دولتهم واشتركوا في

---

(١) زهر الآداب ١ : ٥٧ ٠

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ١٥٩ ٠

كل ثورة عليهم وقابلوا عصبية العرب بعصبية مماثلة ــ وبخاصة الفرس ــ الذين كانوا يعدون حكم العرب لهم ضرب من سخرية القدر وكانوا يفخرون على العرب بمجدهم القديم وعزهم التالد وظهر ذلك على لسان بعض شعرائهم أمثال اسماعيل بن يسار الذى كان يتغنى بمجد الفرس ·

ويروى أنه دخل مرة على هشام بن عبد الملك في خلافته فأنشده قصيدة يقول فيها :

انى وجـدك ما عودى بذى خـور
عند الحفاظ ولا حوضي بمهـدوم
اصلى كريم ومجدى لا يقـاس به
ولى لسان كحـد السـيف مسموم
احمى به مجد أقوام ذوى حسـب
من كل قرم بتاج الملك معموم (١)
جحـاجح سـادة بلـج مرازبة
جرد عتاق مساميح مطاعيم (٢)
من مثل كسرى وسابور الجنودها
والهـرمزان لفخـر او لتعظيـم
أسد الكتائب يوم الروع ان زحفوا
وهم اذلوا ملوك الترك والروم

---

(١) معموم : من عم رأسه اذا لفت عليه عمامة ·
(٢) جحاجح : جمع جحجح : وهو السيد المسارع فى المكارم ·
والمرازبة : جمع مرزبان وهو رئيس الفرس ·
والعتاق من الخيل : النجائب ·

يمشون في حلق الماذى سابغة
مشي الضراغمة الاسد الهاميم (١)
هناك ان تسألي تنبي بأن لنـــا
جـرثومة قهــرت عز الجـــراثيم

فغضب هشام وقال : اعلى تفتخر واياى تنشد قصيدة تمدح بها نفسك واعلاج قومك ؟ فغطوه في الماء فغطـوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ثم امر باخراجه ونفيه الى الحجاز (٢)

ويبدو أن أسرة يسار هذه كانت كلها على شاكلته تسيطر عليها نزعة شعوبية فلقد كان لاسماعيل بن يسار فتى يقال له ابراهيـــم وكان شاعرا شعوبيا كما يقول ابو الفرج الذى يقرر أن له قصيدة طويلة يفتخر فيها بالعجم (٣)

ولكن هذا الاتجاه صــده الامويون صدا عنيفا ولم يسمحوا لاحد من الموالى بأن يعبر عنه أو يشيعه علانية بين الناس .. وكانوا يضربون بيد من حديد على ايدى الموالى الذين يقومون بأى تصرف من هذا النوع .

ومن اجل ذلك .. فقد كره الموالى الحكم الاموى كراهية عميقة فسعوا في اسقاطه وقد كانت وجهة نظرهم : ان الامويين لم يعدلوا في

---

(١) الماذى : كل سلاح من الحديد والماذية : الدرع البيضاء والهاميم: جمع لهيم وهو السابق الجواد من الخيل والناس .
(٢) الأغانى ٤ : ٤٢٢ دار الكتب .
(٣) الأغانى ٤ : ٤٢٧ .

حكمهم لنا وترقبنا انتقال الامر من خليفة الى خليفة فكان امر الظلم على السواء اللهم الا اذا استثنينا عمر بن عبد العزيز ـ وهو فذ وليس في الامكان ان نحول الامر من العرب الى الفرس فيكونوا هم الحاكمين لان في السلطة الكبرى لاتزال في يد العرب ولانه اذا اثيرت هذه الدعوة تجمع العرب وغير الفرس من الموالي علينا فلندع اذا الى نقل الخلافة من يد الامويين الى يد الهاشميين فنجد القلوب مستعدة لقبول الدعوة • لان الهاشميين عرب ولانهم أقرب الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الامويين وهذا يسرع في قبول الدعوة ، ويصبغها صبغة دينية •

واخيرا فنحن اذا عضدنا الهاشميين راوا انهم وصلوا الى الحكم بمعونتنا ونجحوا بتدبيرنا فيكون ظاهر الحكم لهم وباطنه لنا نتولى المناصب العالية وندير شئون الدولة ونترك لهم ابهة الخلافة ومظهرها الخارجي فلهم الشكل ولنا الجوهر • لعل هذا كان اهم ما يدور في خلد المؤسسين من الفرس للدعوة العباسية (١)

ولقد فطن لذلك بعض العرب فحذروا الخلفاء مغبة هذه النزعة فهذا نصر بن سيار يلفت اليهم الانظار ويحذر اليمانية والنزارية مغبة الخلاف والعدو رابض من ورائهم يتربص بهم الدوائر فيقول :

أبلـغ ربيعـة من مرو واخـوتهم
فليغضبوا قبل ان لا ينفع الغضب

---

(١) ضحى الاسلام ١ : ٣١ •

وليتصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا
حربا يحرق في حافاتها الحطب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكموا
كأن أهل الحجا عن رايكم عزب
وتتركون عدوا قد اظلكموا
مما تأشب لا دين ولا حسب
قدما يدينون دينا ما سمعت به
عن الرسول لم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم
فان دينهم ان تقتل العرب ؟

ولذلك فقد كان الموالي من الفرس هم الذين نصروا العباسيين، وهم الذين اسقطوا الدولة الاموية بحد سيوفهم ٠٠ فكافأهم العباسيون على ذلك اعظم مكافأة واتخذوا منهم الولاة والقواد واعترفوا بفضلهم عليهم في أقوالهم (١) ٠

فداود بن علي يخطب في الكوفة فيقول : يا اهل الكوفة !! انا مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى اتاح الله لنا شيعتنا اهل خراسان فاحيا بهم حقنا ، وأفلج بهم حجتنا ، واظهر بهم دولتنا ، واراكم الله ما كنتم به تنظرون ، واليه تتشوقون فاظهر فيكم الخلفة من هاشم ، وبيض به وجوهكم ، وادالكم على أهل الشام (٢)

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٢٦٥ ٠
(٢) الطبري ٩ : ١٢٧ ٠

ويقول الجاحظ : دولة بنى العباس أعجمية خراسانية ودولة بنى مروان اعجمية خراسانية (١)

وكانوا يسمون باب خراسان في بغداد باب الدولة لاقبال الدولة العباسية من خراسان (٢)

وأوصى المنصور ابنه قبل وفاته فقال : وأوصيك بأهل خراسان خيرا فانهم انصارك ، وشيعتك الذين بذلوا اموالهم في دولتك ، ودماءهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ان تحسن اليهم ، وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في اهله وولده (٣)

وكان من نتيجة ذلك أن علا شأن الفرس في الدولة العباسية وصارت لهم الكلمة العليا في تصريف شئون البلاد .. واستتبع ذلك ان شعروا بفضلهم وأخذوا يعتزون بأصلهم .. ويفخرون بأجدادهم ويتطاولون على العرب ..

وفي ميدان اخر فقد سنحت لهم الفرصة للتنكيل بالامويين عن طريق تحريض خلفاء بنى العباس عليهم فقد تعقبوا البقية الباقية منهم بعد هزيمتهم في الحرب .. واخذوا يحرضون الخلفاء عليهم .. ولم يكن الخلفاء في حاجة الى تحريض فقد كانت قلوبهم تغلى حقدا وموجدة عليهم .

---

(١) البيان والتبيين ٢ : ٢٠٦ .
(٢) مروج الذهب ٢ : ١٨٣ .
(٣) مروج الذهب ٢ : ١٩٠ .

دخل الشاعر سديف بن ميمون على السفاح فوجد عنده سليمان بن هشام ابن عبد الملك فالتفت الى الخليفة وقال :

لا يغـــرنك ما ترى من رجـــال
ان تحـــت الضـــلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السـوط حتى
لا ترى فوق ظهـــرها امويا (١)

فالتفت اليه سليمان ٠٠ وقال : قتلتنى يا شيخ وفعـــلا تأثر السفاح بقوله وأمر بقتله ٠

ومن تحريض سديف على الامويين قوله :

كيـف بالعفـــو عنهـــم وقديمـــ
قتلـــوكم وهتكـــوا الحـــرمات
أين زيـد واين يحيـى بن زيـد
يا لهـــــا من مصـــيبة وتراث
والامـــام الذى اصـــيب بحران
امـــام الهـــدى وارث الثقـــات
قتلـــوا احمدا فلا غفـر الذنـــ
ـب مروان غافر السـيئات

ومن حرض السفاح على الامويين أيضا شبل بن عبـد اللـه مولى بنى هاشم ٠ قال يفرى السفاح بهم وقد حضروا اليه ووضعت لهم الكراسي والنمارق :

---

(١) الكامل للمبرد ٢ : ٢٥٤ وعيون الأخبار ١ : ٢٠٨ ٠

أصبح الملك ثابت الاساس
بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها
بعد ميل من الزمان ويأس
لا تقيلن عبد شمس عثارا
واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها اظهر التودد منها
وبها منكم لجز المواس
ولقد ساءني وساء سواى
قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث انزلها الله
بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد
وشهيد بجانب المهراس
والقليل الذي بحران اضحى
ثاويا بين غربة وتناسي (١)

فأمر السفاح بهم فشدخوا بالعمد ثم دعا ببراذع فالقاها عليهم وبسط عليها الانطاع ودعا بغذائه فأكل فوقهم وان انين بعضهم لم يهدأ حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام مذ غفلت مقتل الحسين

(١) عيون الأخبار ١ : ٢٠٧ .

الا يومى هذا وقام فأمر بهم فجزوا بأرجلهم واغنم اهل خراسان اموالهم ثم صلبوا في بستانه (١)

وهكذا قضي العباسيون على بني اميه بتحريض من الفرس .. فقتل من قتل وهرب من هرب فرار من بطش العباسيين .

وبذلك قد شفيت صدور الموالي وعظم شأنهم وصاروا يعتزون بأمجادهم ويفخرون على العرب بأصولهم .. وأخذ شعراؤهم يغذون هذه الثغرة .. ويتطاولون على العرب بل ويحتقرونهم وهذه النزعة عرفت في التاريخ باسم الشعوبية ..

---

(١) عيون الأخبار ١ : ٢٠٨ .

الفصل الثاني

الصراع بين العرب والموالي في العصر العباسي

« الشعوبية »

الشعوبية قوم متعصبون على العرب لا يرون لهم فضلا على غيرهم من الامم ان لم يكونوا أقل منهم شأنا ومنزلة (١)

وكانت غالبيتهم العظمى من الاعاجم وبخاصة الفرس الذين عز عليهم زوال ملكهم ، كما عز عليهم ما راوه من العرب أيام بني أمية من أنفة وكبرياء فتحركت في نفوسهم هذه النزعة العدائية التى ترمى الى تصغير شأن العرب والحط من قدرهم ..

والشعوبية مأخوذه من الشعوب ، ومفردها شعب وهو الجيل من الناس وقد سموا بذلك لقولهم : ان جميع الشعوب سواء لا فرق بين شعب وشعب ، وقيل لانتصارهم للشعوب الاعجمية التى هى مغايرة القبائل العربية ، فقد ذهب قوم الى ان المراد بالشعب في قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل » .. بطون العجم .. والمراد بالقبائل بطون العرب .. وهذا بلا شك تفسير شعوبى الغرض منه تقديم العجم على العرب في الآية الكريمة .

وذهب بعض الباحثين الى ان كلمة شعب لها معان ثلاثة : —

---

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي ٨٣ .

المعنى الاول : يشمل العرب والعجم معا ٠

والمعنى الثانى : يقصر كلمه شعب على العرب وحدهم ٠

والمعنى الثالث : يطلق هذه الكلمة على غير العرب أى على العجم وهذا المعنى هو أكثر المعانى شيوعا ٠ (١)

أما من الوجهه التاريخيه فالشعوبيه فرقه تتعصب على العرب وتحتقرهم ٠

والشعوبية وان كانت لم تعرف بهذا الاسم الا فى العصر العباسي الا انها حركة ممتدة الجذور منذ بداية الفتح الاسلامى لدولتى الفرس والروم كما سبق ان اشرنا ٠

والجاحظ يصف الشعوبية بأنها نحلة حيث يقول : اعلم انك لم تر قط قوما من هؤلاد الشعوبية ولا أعدى على دينه ، ولا اشد استهلاكا لعرضة ، ولا اطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النخلة (٢)

وقد افرد الجاحظ فى البيان والتبيين بابا كبيرا للحديث عن الشعوبية وهو كتاب « العصا » واصل هذا الكتاب ان الشعوبية كانوا ينكرون على العرب الخطابة وينكرون على خطبائهم ما كانوا يصطنعونه ــ اثناء خطابتهم ــ من هيئة وشكل وما كانوا يتخذونه من اداة ، وكانوا يعيبون على العرب اتخاذ العصا والمخصرة وهم

---

(١) الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى ص ١٩ زاهية قدورة ٠

(٢) البيان والتبيين ٣ : ٣٠ ٠

يخطبون فكتب الجاحظ كتاب العصا ليثبت فيه ان العرب اخطب من العجم وان اتخاذ الخطيب العربي للعصا لا يغض من فنه الخطابي اليست العصا محمودة في الكتاب والسنة والتوراة واحاديث القدماء ؟

ويذهب ابن قتيبة الى أن أكثر هؤلاء الشعوبية اعداء العرب هم الغوغاء من أبناء هذه الشعوب حيث يقول : ولم أر في هذه الشعوبية أرشح عداوة ولا اشد نصبا للعرب من السفلة والحشـــوة واوباش النبط وابناء اكرة القرى ، ثم يعود فيذكر منهم قوما تحلوا بحليـــة الادب فجالسوا الاشراف ، وقوما اتسموا بميسم الكتابة فقربوا من السلطان فدخلتهم الانفة لادابهم والغضاضة لاقـــدارهم من لـؤم مغارسهم ، وخبث عناصرهم فمنهم من الحق نفسه بأشراف العجم، واعتزى الى ملوكهم واساورتهم ودخل في باب فسيح لا حجاب عليه ونسب واسع لا مدافع عنه ، ومنهم من اقام على خساسته ينافح عن لؤمه ويدعي لشرف للعجم كلها ليكون من ذوي الشرف ، ويظهر بغض العرب يتنقصها ، ويستفرغ مجهوده في مشاتمها واظهار مثالبها ، وتحريف الكلم في مناقبها وبلسانها نطق وبهممها آنف وبآدابها تسلح عليها فان هو عرف خيرا ستره ، وان ظهر حقره ، وان احتمـــل التأويلات صرفه الى اقبحها ٠ وان سمع سوءا نشره ، وان لم يجده تخرصه (١)

وهذا يدل على أن العداء للعرب لم يكن قاصرا على الغـــوغاء من العجم وانما كان بارزا على المستويين العام والخـاص والدارس.

(١) كتاب العرب من رسائل البلغاء ص ٢٧٠ لابن قتيبة ٠

لتاريخ الصراع بين العرب والموالى في العصر العباسي يجد ان ذلك العصر كانت تسوده نزعات ثلاث :

١ ـ النزعة الاولى : تذهب الى ان العرب خير الامم ، واصحاب هذه النزعة اقاموا احتجاجهم على الاسس الاتية :

١ ـ الاساس الاول : وهو الاساس السياسي ومؤداه أن العرب امة عاشت حياتها مستمتعة بالحرية الكاملة فلم تخضعها أمة اخـــرى او تفرض عليها سلطانها .

٢ ـ الاساس الثانى : وهو الاساس الاجتماعى حيث تبرز العرب مجموعة من القيم والمبادىء والصفات التى تميزوا بها كالمبالغـــة في اكرام الضيف والشهامة والنجدة ، وحفظ العهد ، وايواء اللاجىء دون مساءلته ، وتحمل تبعة ذلك هذا فضلا عن حفظهم للانســـاب واعتدادهم بالاحساب ..

٣ ـ الاساس الثالث : وهو الاساس الدينى : حيث ان الرسول عليه السلام كان منهم ، الاسلام كان فيهم وهم الذين حملوا دعوة الهداية بهديه الى سائر الشعوب ، وجاهدوا في سبيل ذلك ، وتحملوا اعظم المشاق في سبيله .

٤ ـ الاساس الرابع : وهو الاساس الفنى حيث أنهم ملكوا زمام اللغة فأسلست لهم قيادها فكانت خطبهم وأقوال حكمائهم وأمثالهم طرازا عاليا في البيان ، وقمة في الفصاحة والبلاغة ..

هذه الخصائص كانت حرية ان تملأ نفوس أبناء الشعوب الاخرى حسدا للعرب ٠٠ وقد قرر الجاحظ ذلك حينما قال : وقد شفى الصدور منهم طول جسوم الحسد على اكبادهم ، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم (١)

كما قر – ويروى أبو حيان التوحيدى عن شبيب بن شبة انه قال : انا لوقوف في عرصة المربد – وهو موقف الاشراف ومجتمع الناس وقد حضر اعيان المصر – اذ طلع علينا ابن المقفع فما فينا احد – هش له ، وارتاح الى مساءلته ، وسررنا بطلعته فقال : أى الامم اعقل ؟ فظننا انه يريد الفرس ، فقلنا : فارس أعقل الامم ، تقصد مقاربته ، ونتوخى مصانعته فقال كلا ليس ذلك لها ولا فيها هم قوم علموا فتعلموا ، ومثل لهم فامتثلوا واقتدوا ليس لهم استنباط ولا استخراج ، فقلنا له : الروم فقال : ليس لك عندها بل لهم أبدان وثيقة ، وهم اصحاب بناء وهندسة لا يعرفون سواهما ولا يحسنون غيرهما • قلنا الصين ٠٠ قال اصحاب اثاث وصنعة لا فكر ولا روية • قلنا فالترك قال : سباع للهراش ، قلنا فالهند • قال : اصحاب وهم ومخرقة وشعبذة وحيلة •

قلنا فالزنج : قال بهائم هاملة ، فردنا الامر اليه فقال العرب فتلاحظنا وهمس بعضنا الى بعض فغاظه ذلك منا وامتقع لونه ثم قال : كأنكم تظنون في مقاربتكم ، فوالله لوددت ان الامر ليس لكم

---

(١) البيان والتبيين ٣ : ٣٠ •

ولا فيكم ولكن لا أدعكم حتى ابين لكم لم قلت ذلك ؟ لأخرج من غلته المداراه وتوهم المصانعة ، ان العرب ليس لها أول تؤمه ، ولا كتاب يدلها أهل بلد قفر ، ووحشة من الانس ، احتاج كل واحد منهم في وحدته الى فكره ونظره وعقله ، وعلموا ان معاشهم من نبات الارض فوسموا كل شيء بسمته ، ونسبوه الى جنسه ، وعرفوا مصلحة ذلك في رطبه ويابسه واوقاته وازمنته ، وما يصلح منه في الشاة والبعير ..

ثم نظروا الى الزمان واختلافه ربيعيا وصيفيا ، وقيضيا وشتويا ثم علموا ان شربهم من السماء ، فوضعوا لذلك الانواء ، وعرفوا تغير الزمان فجعلوا له منازله من السنة ، واحتاجوا الى الانتشار في الارض فجعلوا نجوم السماء ادلة على اطراف الارض واقطارها فسلكوا بها البلاد ، وجعلوا بينهم شيئا ينتهون به عن المنكر ، ويرغبهم في الجميل ويتجنبون به عن الدناءة ويحضهم على المكارم حتى ان الرجل منهم وهو في فج من الارض يصف المكارم فما يبقى من نعتها شيئا ، ويسرف في ذم المساوىء فلا يقصر ، ليس لهم كلام الا وهم يحاضون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبذل المال ، وابتناء المحامد كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله ، ويستخرجه بفطنته وفكرته ، فلا يتعلمون ولا يتأدبون ، بل نحائر

(١) هذا يكشف عن نوايا ابن المقفع تجاه العرب وشعوبيته وحقده عليهم وحسده لهم كما قال الجاحظ ولكنه ذكر فضائل العرب من باب الانصاف .

مؤدبة ، وعقول عارفة فلذلك قلت لكم : انهم اعقل الامم لصحة الفطرة ، واعتدال البنية ، وصواب الفكر ، وذكاء الفهم (١)

هذه اهم الحجج التى بنى عليها الراى القائل بتفضيل العرب على سائر الامم .

٢ ـ النزعة الثانية : تذهب الى ان العرب ليسوا أفضل من غيرهم من الأمم ولا أية أمة افضل من غيرهم .. وهؤلاء هم أصحاب التسوية وهم في ذلك يعتمدون على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة من تعاليم في هذا الشأن مثل قوله تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » .

وما ورد في الحديث الشريف « ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » .

وقوله عليه الصلاة والسلام « المسلمون اخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم »

وابن قتيبة بعد ان دافع عن العرب في كتابه « تفضيل العرب » عاد الى نفسه وقرر المساواة حيث يقول : واعدل القول عندى أن الناس كلهم لأب وأم خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب ، وجروا

---

(١) الامتاع والمؤانسة ١ : ٧٣ .

في مجرى البول وطرأ عليهم الاقذار فهذا نسبهم الاعلى الذى يردع به أهل العقول عن التعظيم والكبرياء ، والفخر بالاباء ثم الى الله مرجعهم ، فتنقطع الانساب ، وتبطل الاحسب الا من كان حسبه التقوى . (١)

ولقد قرر هذ النزعة كذلك ابو حيان التوحيدى الذى أكد أن لكل امة فضائل ورزائل ولكل قوم محاسن ومساوىء ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها ، وعقدها كمال وتقصير ، وهذا يقضي بأن الخيرات والفضائل والشرور والنقائض مفاضة على جميع الخلق مفضوضة بين كلهم : فللفرس السياسة والآداب والحدود والرشوم وللروم العلم والحكمة ، وللهند : الفكر والروية والخفة والسحر والاناة وللترك الشجاعة واقدام ، وللزنج الصبر والكد والفرح ، وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمام ، والخطابة والبيان ..

ثم ان هذه الفضائل المذكورة في هذه الامم المشهورة ليست لكل واحد من فرادها ، بل هى الشائعة بينها ، ثم في جملتها من هو عار جميعها وموسوم بأضدادها يعنى انه لا تخلو الفرس من جاهل بالسياسة خال من الادب داخل في الرعاع والهمج ، وكذلك العرب لا تخلو من جبان جاهل طياش بخيل عيى .. وكذلك الهند والروم وغيرهم ، فعلى هذا اذا قوبل اهل الفضل والكمال من الروم بأهل الفضل والكمال من الفرس تلاقوا على صراط مستقيم ولم يكن

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٩٠

بينهم تفاوت الا في مقادير الفضل وحدود الكمال ، وكذلك اذا قوبل اهل النقص والرذيلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة اخرى تلاقوا على نهج واحد ولم يقع بينهم تفاوت الا في الاقدار والحدود فقد بان بهذا الكشف ان الامم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص باضطرار الفطرة ، واختيار الفكره ، ولم يكن بعد ذلك الا ما يتنازعه الناس بينهم بالنسبة الترابية والعادة المنشئية ، والهوى الغالب من النفس الغضبية ، والنزاع الهائج من القوة الشهوية (١) ٠

٣ ـ النزعة الثالثة : تميل الى الحط من شأن العـرب وتفضيل غيرهم من الامم عليهم وحجتهم في ذلك :

١ ـ ان العرب ليست لها أية ميزة على اية امة من الامم ٠٠ واخذوا ينقضون عليهم كل دعاويهم دعوة دعوة ويثبتون تقدمهم عليهم في كل جانب وتفوقهم عليهم في كل مجال ٠

فمن حيث طرز الحياة قالوا : ان حياة العرب حياة بداوة ، وان بيئتهم فقيرة حتى انهم كانوا يقتلون ابناءهم خشية الاملاق ، وان حديثهم عن كرمهم البالغ ليس سوى مبالغة روجها الشعراء فقد كانوا لا يكفون عن غزو بعضهم بعضا للسلب والنهب وكانوا يسلبون النساء فيما يسلبون ، بل كانوا في بعض نظمهم يبيحـــون المراة لاكثر من رجل وكل ذلك يطعن في أنسابهم التي يفاخرون بها هـذا في حين عاش الفرس والروم حياة استقرار وتحضر ، وكانت لهـم

(١) الامتاع والمؤانسة ١ : ٧٤ ٠

مدنهم الكبيرة ونظمهم الاجتماعية الراقية ، وملوكهم وقياصرتهم العظماء ..

أما فخر العرب بنعمة الاسلام فان الاسلام ليس دينهم وحدهم بل هو دين الناس جميعا على أنهم هم انفسهم كانوا اول من وقفوا في وجهه وحاربوه ، وارتد كثير منهم عنه ، لانه كان حربا على نزعتهم العصبية فهدم الثغره الجاهلية ، وجعل مقياس الشرف التقوى والعمل الصالح واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم من العرب فان جميع الانبياء سوى اربعة هم — هود وصالح وشعيب ومحمد كانوا من غير العرب .

واما فخر العرب بروعة اشعارهم وبلاغة خطبهم ، وما حققوا في هذا المجال فانهم لم ينفردوا بهذه المزايا دون سائر الشعوب فقد كان لدى اليونان والرومان الشعراء الفطاحل الذين نظموا اشعارهم — كالعرب — موزونة مقفاه .

وكان لدى اليونان والرومان والفرس خطباء مصاقيع ملكوا ازمة القول مع فضل عقل وسحر بيان .

وقد تولى الجاحظ تفنيد كل مزاعم الشعوبية فيما تنقصوا فيه العرب وفيما ادعوه لانفسهم من المفاخر وبخاصة في ذلك الجانب من النتاج الوجدانى والعقلى متمثلا في الشعر والخطابة فقال : —

« وجملة القول انا لا تعرف الخطب الا للعرب والفرس .. وأما الهند فانما لهم معان مدونة ، وكتب مجلدة لا تضاف الى رجل معروف

ولا الى عالم موصوف ، وانما هى كتب متوارثة ، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة ..

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق نفسه بكيء اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه وهم يزعمون ان « جالينوس » كان انطق الناس ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة ..

وفي الفرس خطباء الا أن كل كلام الفرس وكل معانى للعجم فانما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفكر ودراسة الكتب وحكاية الثانى علم الاول وزيادة الثالث في علم الثانى حتى اجتمع تثمار تلك الفكر عند اخرهم (١).

ثم يقول : وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا اجالة فكرة ، ولا استعانة وانما هو ان يصرف همه الى الكلام او الى رجز يوم الخصام او حين تمح على راس بئر او يحدو ببعير او عند المقارعة والمناقلة او عند صراع أو في حرب فما هو الا أن يصرف وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذى اليه يقصد فتأتيه المعانى ارسالا وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه احدا من ولده .. وكانوا اميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم

---

(١) البيان والتبيين ٣ : ٤٠٤ .

أظهر واكثر ، وهم عليه اقدر واقهر ، وكل واحد في نفسه انطق ، ومكانه من البيان ارفع ، وخطباؤهم اوجز والكلام عليهم اسهل وهو عليهم ايسر من أن افتقروا الى تحفظ او يحتاجوا الى تدارس وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب ، وان شيئا من الذى في ايدينا جزء منه لبالمقدار الذى لا يعلمه الا من احاط بقطر السحاب ، وعدد التراب ، وهو الله الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون ..

ونحن أبقاك الله اذا ادعينا للعرب اصناف البلاغة من القصيد والارجاز ، ومن المنثور والأسجاع ومن المزدوج وما لا يزدوج فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع اشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان ان يقول مثل ذلك الا في اليسير والنبذ القليل .

ونحن لا نستطيع ان نعلم أن الرسائل التى في ايدى الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة اذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبى عبيد الله وعبد الحميد ، وغيلان وفلان وفلان لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير .

واخرى انك متى اخذت بيد الشعوبى فأدخلته بلاد الاعراب الخلص ومعدن الفصاحة التامة ، ووقفته على شاعر مفلق ، أو خطيب مصقع علم أن الذى قلت هو الحق ، وابصر الشاهد عيانا

فهذا فرق ما بيننا وبينهم فتفهم عني ما أنا قائل في هذا (١) .

ثم يختم دفاعه عن العرب ببيان حقيقة الشعوبية وما يضطرم في صدورهم من الحسد للعرب فيقول :

« واعلم أنك لم تر قوما قط اشقى من هؤلاء الشعوبية ، ولا اعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكا لعرضه ، ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من اهل هذه النحلة » وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم ، وغليان تلك المراجل الفائرة ، وتسعر تلك النيران المضطرمة ، ولو عرفوا اخلاق كل ملة ، وزى كل لغة وعللهم في اختلاف اشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهيئاتهم وما علة كل شيء من ذلك ولم اختلفوه ؟ ولم تكلفوه ؟ لأراحوا أنفسهم ولخفت مؤونتهم مع من خالطهم (٢) .

وتجلت الشعوبية أكثر ما تجلت في المناظرات والمساجلات وما أكثر ما كانت تعقد في هذا العصر (٣) وكان يحدث ان يلتقى رجلان أحدهما عربى والآخر فارسي فيتناولان موضوعا من الموضوعات كالضيافة مثلا :

فيقول الاعرابى : نحن أقرى للضيف فيقول الفارسي وكيف ذلك؟ فيقول الاعرابى : لان أحدنا ربما لم يملك الا بعيرا فاذا حل به ضيف

(١) البيان والتبيين ٣ : ٤٠٥ .
(٢) المصدر السابق ٣ : ٤٠٦ .
(٣) انظر مروج الذهب للمسعودى ٣ : ٣٠٠ .

تحره له فيقل الاعجمي : نحن احسن مذهبا في القـــرى منكم تسمى الضيف « مويمان » معناه : انه أكبر من في المنزل (٣) ٠

٣ ـ اشهر شعراء الشعوبية

وقد حمل لواء الشعوبية شعراء متعصبين من الفرس فكانوا لسانها النصب ، وسلاحها المساول ، وابواقها المفتوحة ، وكانوا يجهرون احيانا بالعداء يناصبون به العرب ٠٠ وكان هؤلاء الشعراء مظهرا صارخا من مظاهر الشعوبية ومن ابرز هـــؤلاء الشعراء (١) بشار بن برد وهو الشاعر الضرير الفارسي الاصل (٤) من عجم طخارستان (٥) ٠

كان أبوه من سبي المهلب بن ابي صفره واستقر ولاؤه في بني عقيل (٦) ابن كعب فنشأ بينهم وأخذ اللغة عنهم وعن أعـــراب البصرة فشب فصيح اللسان قوى البيان ، ونطق بالشــــعر وهـــو صغير دون العشرين من عمره ٠ وكان من مخضرمي الدولتين الاموية والعباســـية (٧) ٠

---

(١) المحاسن والمساوى للبيهقى ٢٠٢ ٠
(٢) وفيات الأعيان ١ : ٢٤٥ ٠
(٣) الأغانى ٣ : ١٣٨ ٠
(٤) البيان والتبيين ١ : ١٦ ٠
(٥) معاهد التنصيص ـ العباسى ١ : ١٨٩ ٠

وجاء في الاغانى : ان بشارا كان « كثير التلون في ولائه شـــديد التشعب والتعصب للعجم » (١)

فقد كان يفتخر أحيانا بولائه لقيس ثم يتبرأ من ولائه للعـرب ويعود ويعتز بولائه لبنى عقيـــــل بن كعب وفي كل موقف تلمس الشعوبية والحنين الى أصله الفارسي في شعره ..

ويروى انه لمـا دخل على المهدى سأله : فيمن يعتد به فقـــال له بشار : أما اللسان والزى فعربيان وأما الاصل فأعجمى كما قلت في شعرى يا أمير المؤمنين :

ونبئت قـــوما بهم جنــة
يقـــــولون من ذا وكنت العلم
الا ايها الســـــائلى جاهـــــدا
ليعـــرفنى انا أنف الـــكوم
نمت في الـــكرام بنى عـــامر
فروعى واصلى قريش العجم (٢)

ب ـ دينه وعقيدته :

كان بشار رقيق الدين ، مزعزع العقيدة ... يدين بالرجعـــة ويكفر جميع الامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لانها حادت عن الجادة فلما سئل عن على كرم الله وجهه تمثل بقول عمرو بن كلثوم:

---

(١) الأغانى ٣ : ٢١ .
(٢) الأغانى ٣ : ٢١ .

وما شر الثلاثة أم عمـــــرو بصاحبك الذى لا تصبحينا (٢)

كان يصوب رأى ابليس في تفضـــيل النار على الطين ورفضه السجود لآدم وفي ذلك يقول :

ابليس خير من أبيكم آدم
فتنبهوا يا معشر الفجار
ابليس من نار وآدم طينة
والارض لا تسمو سمو النار

وقـــوله :

الارض مظلمـــــــة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

ولا شك ان هذا يدل على فساد عقيدته وخبث طويته وقد تكلم ابو الفرج عن فسوقه وزندقته الشيء الكثير ، كما اشـــــار الى من جادلوه فيما ذهب اليه من تفضيل ابليس على آدم والنار على الطين وتكفير ابى بكر وعمر وعثمان ٠

ففى قصيدة طويلة للشاعر صفوان الانصارى يرد فيها عليه ٠٠ فيقـــول :

زعمت بأن النـــار أكبر عنصر
وفي الارض تحيا بالحجـــارة والزند

(١) البيان والتبيين ١ : ١٦ ٠

ويخلق في أرحامهـــــا وأزوهها
اعاجيب لا تحصي بخط ولا عقد
وفي القعر من لج البحار منافع
من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
كذلك سر الارض في البحر كله
وفي الغيضة الغناء والجبل الصلد

ثم يـقـول :

فيا ابن حليف الطين (١) واللؤم والعمى
وابعد خلق الله من طرق الرشــــد
اتهجـــــو ابا بكر وتخلع بعـــــده
عليـــا وتعـــزو كل ذاك الى برد
كأنك غضـــبان على الدين كله
وطــالب ذحل لا يبيت على حقــد

هذا وقد دفعته زندقته الى السخرية من الاسلام والتنكر لليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب كما جرته زندقته كذلك الى أن يفضل شعره على القرآن .. فقد روى أنه سمع احدى الجوارى تغنى شعره فاعجبه صوتها فقال : هذا والله أحسن من سورة الحشر (٢) .

---

(١) المقصـــود بقوله : يابن حليف الطين : لأن أباه كان فخارا يقنع العلل والجرار .
(٢) الأغانى ٣ : ٢١١ .

ج – صــفاته وأخلاقه :

كان بشار مجدود الوجه قبيح المنظر مكفـــوف البصر كما كان دميما مشوها ضخم الجسم وكان الى جانب ذلك فظـــا غليظ القلب جافي الطبع سيىء الخلق كما كان فاجرا ماجنا مستهترا على الرغم من شاعريته الفذة وموهبته النادرة ولسانه الطلق ٠

وفضلا عن ذلك فقد كان اباحي النزعة آخذ لنفســـه مجلسا خاصا يدعى « البردان » يحضره النساء اللائى يحادثنه ويحادثهن فيعشق من بينهن صاحبة الصوت الرخيم فاذا ما انصرفت ارســـل غلامه في اثرها فاذا ابت قذفها بفاحش القول وزور الكلام (١) ٠

وكان مالك بن دينار اذا سمع اشعار بشار يقول :
« ما شيء ادعى للفسق لاهل هذه المدينة من أشعار هذا الاعمى ويقول ابو عبيدة : أي حرة حصان تسمع قول بشار ولا يؤثر في قلبها فكيف بالمراة الغزلة والفتاة التى لا هم لها الا الرجال » (٢) ٠

وقد بلغ به الفجر انه كان يغرى الفتيان بالفتيات ويحرضهم على ملاحقة النساء في قوله :

قاسي الهموم تنل بها نجحا
والليـــل ان وراءه صبحا

---

(١) الأغاني ٣ : ٢٠٢ ٠
(٢) حديث الأربعاء ٢ : ٢٠٥ ٠

لا ييئسنك من مخبـــأة
قول تغالظـــه وان جرحا
عسر النســـاء الى ميامرة
والصعب يمكن بعدما جمحا

ويقال : ان المهدي هدده بالقتل عندما سمع هذا الشعر ان هو عاد لمثلها (١) ٠

ويقـــول :

لا خير في العيش ان كنا كذا أبدا
لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج
قالوا حـــرام فقلت لهـــم
ما في التلاقي ولا في قبلة حـــرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

ولا شك أن هذا اتجاه اباحي لا ينشأ الا من نفس خبيثة شريرة لا تقدس الدين ولا تؤمن بتعاليمه وهو يدل على ظهور الزندقة التي انتشرت بين الفرس في هذا العصر ٠٠ وهل الزندقة الا مظهـــر من مظاهر الشعرية ؟ ؟

---

(١) زهر الآداب ١ :٤١٨ ٠

د - مذهبه السياسي :

كان بشار شعوبيا متعصبا بل كان راس الشعوبية في عصره فكان يحتقر العرب ويتبرأ من ولائه فيهم حيث يقول :

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم
مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها
أهل الفعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع
سبحان مولاك الاجل الاكبر (١)

وهو لم يكتف بذلك بل كان يحرض قومه على نبذ الولاء والرجوع الى اصولهم حتى ضج العرب لهذا ..

يقول ابو الفرج : ان رجلا من بني زيد وقف على بشار فقال له:

لقد أفسدت علينا موالينا تدعوهم الى الانتفاء منا وترغبهم في الرجوع الى اصولهم وترك الولاء ، وأنت غير زاكي الفرع ، ولا معروف الاصل .. فقال بشار : والله لاصلي أكرم من الذهب ، ولفرعي أزكى من عمل الابرار وما في الارض كلب يود ان نسبك له بنسبه ولو شئت ان اجعل جوابك شعرا لفعلت . ولكن موعدك غدا المزيد فرجع الرجل الى منزله وهو يتوهم أن بشارا يحضر معه المزيد ، ليفاخره فخرج

---

(١) ضحى الاسلام ١ : ٣٩ .

من الغد يريد المربد فاذا رجل ينشده قصيدة كلها فحش وشتم وسأل عمن قال : هذا فقيل له هذا بشار ذيك رجع الى منزله ولم يدخل المربد أبدا (١) ٠

ولا شك ان لبشار شعر كثير يفيض بغضا للعرب ، وكراهية لهم ولكن غيرة المسلمين على الاسلام والعروبة لم تحفظ هذا الشعر

ولم يسلم من الشعر الشعوبى الا ذلك القدر الذى استقر في الصدور فلم يكن للعرب سبيل الى ابادته أو نزعه من الصدور ٠٠ ومع ذلك فقد بقى لبشار شعر شعوبى كثير ومن ذلك ما رواه صاحب الاغانى من أن اعرابيا دخل على مجزاة من ثور السدوسي وبشار عنده وعليه بزة الشعراء فقال الاعرابى : من الرجل ؟ فقالوا : امولى هو ام عربى ؟ فقالوا : بل مولى ٠ فقال الاعرابى : ما للموالى والشعر ؟ فغضب بشار وسكت هنيهة ثم قال : اتأذن لى يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا ابا معاذ فأنشد بشار :

خليلى لا أنام على اقتسار
ولا آبى على مولى وجار
سأخبر فاخر الاعراب عنى
وعنه حين تأذن بالفخار
انا ابن الاكرمين أبا وأما
تنازعنى المرازب من طخار

---

(١) الأغانى ٣ : ٢٠٣ ٠

أذا انقلب الزمان علا العبد
وسفل بالبطاريق الكبار
ملناكم فنطينا عليكم
ولم نتصبكم عرضا لزار
أحين كسيت بعد العرى خزا
ونادمت الكرام على العقار
تفاخر بين راعية وراع
بنى الاحرار حسبك من خسار
وكنت اذا ظمئت الى قراح
شركت الكلب في ولغ الاطار
تريد بخطبة كسر الموالى
وينسيك المكارم صيد فار
وتغدو للقناة تدربها
ولم تعقل بدراج الديار
وتنشع الشمال للابسيها
وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننا دنس علينا
فليتك غائب في حر نار
وفخرك بين خنزير وكلب
على مثلى من الحدث الكبار

فقال مجزأة للاعرابى : قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولامثالك .. (١) .

---

(١) الأغانى ٣ : ٣٣ .

فهذه نفثة مصدور كلها حقد وكراهية العرب .. ومع أن الشعر جاء ارتجالا فقد دل على عاطفة جياشة بكره العرب جميعا واتخذ من ذلك الاعرابي هدفا يصب فيه جام غضبه على كل العرب ..

وعلى هذا النحو قوله يفخر بآبائه واجداده الفرس ويذم العرب :

هل من رسول مخبر ... عني جميع العرب
من كان حيا منهم ... ومن ثوى في الترب
بأنني ذو حسب ... عال على ذي الحسب
جدي الذي أسمو به ... كسرى وساسان أبي
وقيصر خالي اذا ... عددت يوما نسبي
كم لي وكم لي من اب ... بتاجه معتصب
أشوس في مجلسه ... يجثى له بالركب
يغدو الى مجلسه ... في الجوهر الملتهب
مستقبل في فنك ... وقائم في الحجب
يسعى البهاليق له ... بآنيات الذهب
لم يسق اقطاب سقا ... يشربها في العلب
ولا حدا قط ابي ... خلف بعير أجرب
انا ملوك لم نزل ... في سالفات الحقب (١)

---

(١) الديوان ١ : ٣٧٧ .

وهكذا يفخر بشار بانتسابه الى ملوك الفرس من جهة ابيـــه والى قيصر الروم من جهة أمه وفي ثنايا ذلك يعرج على هجو العرب وتحقيرهم من خلال تلك الموازنة التى عقدها بين ســـيرة آبائه من ملوك الفرس وبين جانب من جوانب الحياة البدوية عند العرب حيث يعرض بالعرب الذين يشربون الماء في العلب حتى لا تتكسر وحدائهم للابل الجــربة ..

وكان بشار كثيرا ما يدل عـلى العباســـيين بالدور الذى قام به الفرس من اجل نصرتهم وفي مساندتهم للدولة الجديدة فيقول :

دون الخليفة منا كل مأسدة
ومن خراسان جند بعد أجناد
قوم يذبون عن مولى كرامتهم
ويحمدون جوار الوارد الصادي
لله درهم جندا اذا حمسوا
وشبت العرب نارا بعد اخماد
انا سراة بنى الاحرار وقـرنا
ركض الجياد وهز المنصل البادي
في كل يوم لنا عيد وملحمـــة
حتى سبأنا بأسياف واغمـاد
سقنا الخلافة تحدوها اسنتنا
والقاسطون على جهد واسهاد
حتى ضربنا على المهدي قبته
فسطاطه بملك بأطناب وأوتاد (١)

---

(١) الديوان جـ ٢ : ٣٠١ ط لجنة التاليف .

هذا هو بشار الزنديق المارق الشعوبي الماجن الذى استطال بقومه الفرس على العرب وتطاول بهجائه على الخلفاء والوزراء ·

لقد كانت سيرته العفنة ولسانه السليط سببا في قتله والقضاء عليه فلقد أطلق لسانه في هجاء الوزير يعقوب بن داود واخيه صالح بل في هجاء الخليفة نفسه ·

يقول في هجاء صالح بن داود مخاطبا أخاه الوزير :

هموا حملوا فوق المنابر صالحا
اخاك فضجت من أخيك المنابر

وغضب الوزير لذلك كما غضب من قوله فيه (٢) :

بنى امية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا
خليفة الله بين الناى والعود

ولقد حانت الفرصة ليعقوب ان ينتقم من خصمه حينما هجا الخليفة الذى حرمه جوائزه ، بقوله :

خليفة يزنى بعماته
يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره
ودس موسى في حر الخيزران (١)

(١) الديوان ص ٤٧ ·

وحدث أن بلغت هذه الابيات مسامع الوزير الموتور على لسان يونس النحوى فطار بها الى المهدى وقال يا أمير المؤمنين ان هـذا الاعمى الملحد قد هجاك . فقال : بأى شيء ؟

قال : ما لا ينطق به لسانى ، ولا يتوهمه فـكرى . فما زال به الخليفة حتى أخبره بها كتابة لا لفظا فكاد قلب الخليفة ينشق غيظا وسرعان ما انحدر اليه فوجده ثملا يلهو بالآذان في الضحى فقال له يا زنديق . اتلهو بالآذان وانت سكران ؟ ثم وكل به ابن نهيـك صاحب الزنادقة فجلده حتى قتل غير مأسوف عليه ويقال : لم يبق بالبصرة شريف الا بعث لصاحب الزنادقة بالفـرش والكسـوة والهـدايا .

٢ – ابو نواس

كان أبو نواس من ابرز شعراء الشعوبية .. واختلف المؤرخون في نسبه ويروى أن ابا نواس سئل عن نسبه فقال : أغنانى ادبى عن نسبى (١) ويقال انه فارس من جهة امه أما ابوه فيدعى هانىء ولا يعرف له اصل واغلب الظن أنه فارسي ويقال انه كان جنديا او حائكا أو راعيا وكان هانىء هذا مولى الجراح بن الحكم بن سعد العشيرة ابن مالك بن اد من بنى كهلان بن سبأ من اليمينية (٢) .

---

(١) وفيات الاعيان ١ : ٣٧٤ ابن خلكان .
(٢) جمهر أنساب العرب لابن حزم ص ٣٨٣ .

وقد تأثر أبو نواس بعاملين دفعا به الى تعصبه للفرس وهجائه للعرب ٠

اولهما : أن نسبه كان فارسيا من جهة أمه على اقل تقدير ٠٠

وثانيهما : ضعة نسبه من جهة الاب فقد كون ذلك في نفسه مركب النقص فتذبذب في ولائه للعرب فكان ينتسب بالولاء تارة الى اليمن عرب الجنوب وتارة يدعى أن ولاءه لعرب الشمال من النزارية وهم اعداء عرب الجنوب واراد أن ينتسب الى الفرزدق الشاعر أو لعبيد الله بن زياد ولكنه لم يوفق الى شيء من ذلك وظل طوال حياته مردود النسب والولاء فكان ميله الى الفرس ومدحه اياهم ،وعشرته لهم نتيجة لهذا النقص الذى فيه فانهم لا يتفاخرون ولا يتباهون بأنسابهم كما يفعل العرب الذين كان يستهجن ،يشتهم في البادية ويؤثر عليها الترف والحضارة الفارسية ٠

وأشعاره التى يسخر فيها من العرب ومن تقاليدهم وعاداتهم في المآكل والمشرب ووسائل المعيشة ٠٠ وبكائهم أثار الديار والاطلال كثيرة ٠٠

فمن قصائده الذى يسخر فيها من العرب ومن ادابهم قوله :

عاج الشقى على رسم يسائله
وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكى على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لى من بنو أسد

ومن تميم ومن قيس ولفهمــــــا
ليس الاعاريب عنــــد الله من أحد
لا جف دمع الذى يبــــكى على حجر
ولا صفا قلب من يصـــــفو الى وتد
كم بين ناعت خمر في دســـاكرها
وبين باك عــــلى نؤى ومنتضــــد
دع ذا عدمتك واشربها معتقـــــه
صفراء تفرق بين الروح والجســـد (١)

ومن تهكمه اللاذع بمن يقفون عى الديار من العرب قوله :
قل لمن يبكى على رسم درس
واقفـــا ما ضر لو كان جلس
تصــــف الربـــع ومن كان بـــه
مثــــــل سلمى ولبنى وخنس
اترك الربع وسلمى جانبـــــا
واصطحب كرخية مثل القبس (٢)

وهو يفضل معاشرة الفرس في ابيات يقول فيها :
ولفارس الاحرار انفس انفس
وفخارهم في عشرة معـــدوم

---

(١) الديوان ص ٤٦ .
(٢) الديوان ص ١١٠ .

وانا أنادم عصبة عــــربية
بدرت الى ذكر الفخار تميم
وعدت الى قيس وعدت قولها
سبيت تميم وجمعهم مهزوم
وبنـــو الاعاجم لا احاذر منهم
شرا فمنطـــق شربهم مذموم
لا يبذخون على النديم اذا انتشرا
ولهم اذا العرب اعقدت تسليم
وجميعهم لى حين أقعد بينهم
بتذلل وتهيب موســـوم (١)

ومن قوله في وصف للفرس وفنونهم :

تدور علينا الكاس في عسجدية
حببتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها
مها تدريها بالقس الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها
وللماء ما دارت عليه القلانس (٢)

ويفضل تراث كسرى على تراث العرب فيقول :

---

(١) ديوان أبي نواس ص ٣٣٢ ٠
(٢) المصدر السابق ٢٩٥ ٠

مسارحها الغربي من نهر صرصر
فقطربل - فالصـــالحية فالعقر
تراث انو شروان كسرى ولم تكن
مواريث ما ابقت تميم ولا تكـــر
ققفرت بها ليلى وليل ابن حرة
له حسب زاك وليس له وفر(١)

ومن فخره بقومه واعتزازه بالكسروية :

بنينا عـــلى كسرى سماء مدامة
مكللة حافاتهـــــا بنجـــوم
فلو رد في كسرى بن ساسان روحه
اذا لاصـــطفاني دون كل نديم

أما بغضه للعرب وتعصبه عليهم فقد بلغ المـــدى فما يكاد يبتدىء في خمرياته حتى ينسل منها للعرب فيتناولهم بلســـانه السليط وعصبيته البغيضة استمع اليه يقول :

دع الاطلال تسقيها الجنـــوب
وتبكي عهد جدتها الخطـــوب
وخل لراكب الوجناء ارضـــا
تخب بها النجيبـــة والنجيب

(١) الديوان ص ٢٨٤ .

ولا تأخذ مع الاعـــــتراب لهواً
ولا عيشاً فعيشهم جـــــديب
ذر الالبــــــان يشربهنـــــا اناس
رقيق العيش عندهم غــــريب
بأرض نبتهـــمــــا عشر وطلح
واكثر صـــيدها ضـــبع وذيب
اذا راب الحليب فبـــــل عليــــه
ولا تحرج فما في ذاك حـــــوب
وأطيب منه صـــــافية شـــمول
يطوف بكاسها ســــــاق اريب
كأن مراتها في الدن تحـــــكى
مراة القس قابله الصـــــليب
يمـــــد بها اليك يدا غـــــلام
اغن كانه رشـــــا ربيـــــب
فهـــا العيش لا خيم البــــوادى
وهـــذا العيش لا اللبن الحليب
فأين البـــــدو من ايوان كسرى
واين من الميــــــادين الزروب
أعازلة اقصرى عن بعض لومى
فراجي توبتى عندى يخيب (١)

---

(١) الديوان ص ١١ ٠

ومن قصائده في الشعوبية ايضا قوله :

يا ساحر الطرف أنت الدهر نشوان
سر القلوب لدى عينيك اعلان
مالي ومالك قد جزأتني شيعا
وأنت مما كساني الدهر عريان
اراك تعمل في قتلي بلا ترة
كأن قتلي عند الله قربان
عاد المدام وان كانت محرمة
فللكبائر عند الله غفران
صهباء تبني حبابا كلما مزجت
كأنه لؤلؤ بتلوه عقيان
كانت على عهد نوح في سفينته
ومن حر شحنتها والارض طوفان
فلم تزل تعجم الدنيا وتعجمها
حتى تخيرها بالجبء رهقان
فشأنها في منار الارض فاختلفت
على الدفينة ازمان وازمان
ببلدة لم تصل كلب بها طنبا
الى ظباء ولا عبس وذبيان
ليست لذهل ولا شيبانها وطنا
لكنها لبني الاحرار أوطان

ارض يبنى بهـــا كسرى دساكره
فما بهـــا من بنى الرعناء انسان
وما بهـــا من هشيم العرب عرفجـة
ولا بها من غذاء العرب حطبـــان
لكن بها جلنـــار قـــد تفـــرعه
آس وكلله ورد وســــوسان (١)

ويقـــولْ :

دع الرســم الذى دثرا
يعـــانى الـــريح والمطـــرا
وكـن رجـــلا أضـــاع العلـ
ـم في اللـــذات والخطـــرا
ألم تر مـــا بنى كســـرى
وســـابور لمـــن غـــبرا
منـــازه بين دجلـــة والـــ
فـرات تفيـــأت شـــجرا
بأرض باعـــد الرحمـــ
ـن عنهـــا الطلح والعشـــا
ولـم يجعـــل مصـــايدها
يرابيعـــا ولا وصـــرا
ولكـــن خـــور غـــزلان
تراعى بالمـــلا بقـــرا (٢)

---

(١) الديوان ص ١٢٦ .
(٢) الديوان ص ٥٥٧ .

وكما كان بشار يحرض الموالى على عدم الولاء للعرب والتنصل من الانتساب اليهم كان ابو نواس يفعل الشيء نفسه ويهجو الموالي الذين يعتدون بولائهم ويخلصون للعرب ..

يقول في هجاء الهيثم بن عدى :

مررت بهيثـم بن عـدى يومـا
وقـدما كنت أمنحـه الصـفاء
وقـد آليت ان أهجو دعيـا
ولو بلغت مروءته السمـاء (١)

ويقول في هجائه للرقاشي :

قلت يوما للرقـاشي وقـد سب المـوالى
ما الذى نحاك عن اصـلك من عم وخـال
قال قـد كنت مولى زمنـا ثم بـدا لى
أنا بالبصـرة مولى عـربى بالجبـال
أنا حقـا ادعيهـم لسـؤالى وهزالى (٢)

هذا هو أبو نواس الشعوبى المتعصب المتطرف في اباحيتـه ونزعته القومية وعصبيته للفرس فهـو لم يكتف بسب الموالى ، والسخرية منهم بل نراه يسب الموالى الذين يدعـون النسبة الى العـرب .

---

(١) ديوانه ٥٧١ .
(٢) نفس المصدر ص ٥١٣ .

أما تورثه على القديم ودعوته الى التجديد في مطالع القصـــائد فما هي الا ضرب من الشعوبية الهدامة لتراث العرب الادبي ..

ولذا يقول الدكتور طه حســـين عن مذهب أبي نواس في تركه القديم « انه لم يكن مذهبا شعوبيا فحسب بل كان ايضـــا مذهبا سياسيا يذم القديم لا لانه قديم بل لانه قديم عربي ويمتدح الحديث لا لانه حديث بل لانه حديث فارسي فهو اذا تفضيل للفرس عـــلى العرب في مذهب الشعوبية » (١)

٢ ـ الخــــريمي

.. هو ابو يعقوب اسحاق بن حسان بن قوهي الشاعر المعروف بالخريمي ، فارسي الاصل فقد ولد في بلاد الصـــــغد ثم رحل الى بغـــدا (٢) .

وكان ولاؤه في بني خريم .

اتصل في أول نشأته بمطيع بن اياس ويحيى بن زياد كمـــا كان على صلة بحماد الراوية وحماد عجرد واتصل اخيرا بسادات عصره كالفضل وجعفر البرمكيين (٣)

---

(١) حديث الأربعاء ٢ : ١٢٠ .
(٢) تاريخ بغداد ٦ : ٣٢٦ الخطيب البغدادي .
(٣) الوزرا والكتاب ٢٣٩ الجهشياري .

نزعته الشـــعوبية :

كان الخريمي كثير الفخر والاعتزاز بقومه من الفرس وقد كان صريحا في رفع راية الشعوبية استمع اليه يعتز بنسبه الفارسي :

انى امرؤ من سراة الصغد البسني
عرق الاعاجم جلدا طيب الخبــر

يقول ياقوت : ومن أجل هذا نسب الى الشعوبية (١) ·
ويقول مفتخرا بقومه ومعرضا بالعرب :

وناديت من «مرو» و «بلخ» فوارسا
لهم حسب في الاكرمين حسيب
فيا حسرتا : لا دار قومى قريبـــة
فيكثـــر منهم ناصرى ويطيب
وان ابى ساسان كسرى بن هرمز
وخاقان لى لو تعلميـــن نسيب
ملكنا رقاب الناس في الشرق كلهم
لنا تابع طـــوع القياد جنيب
نسوا حكموا خسفا ونقضي عليكمو
بما شـــاء منا مخطىء ومصيب
فلما أتى الاسلام وانشرحت له
صـــدور به نحو الانام تنيب

(١) معجم البلدان ٥ : ٣٦٣ ·

تبعنا رســـــول الله حتى كأنما
سماء علينا بالرجال تصوب (١)

وتبتد به العصبية ، وتسيطر عيه الشعوبية فيتطاول على العرب ويتناول قبائلهم بالتعريض قبيلة قبيلة فيقول : —

ابا الصقد بأس اذ تعيرنى جمـل
سفاها ومن اخلاق جارتى الجهـل
فان تفخرى يا جمــل او تتجملى
فلا فخر الا فوقه الدين والعقــل
ارى الناس شرعا في الحياة ولايرى
لقبر على قبـر عـلاء ولا فضــل
وما ضرنى ان لم تلدنى يحابر
ولم تشــتمل جرم على ولا عكل
اذا انت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل (٢)

٤ — أبو اسـحاق المتوكلى

هو ابراهيم بن ممشاذ أحد كتاب أصفهان وشعرائها ولد بقرية « آسيجان » احدى قرى « رستاق جى » (٣)

---

(١) الشعر والشعراء ٢ : ٨٣١ .
(★) جمل : كناية عن العرب .
(★) يحابر وجرم وعقل قبائل عربية .
(٢) الشعر والشعراء ٢ : ٦١ .
(٣) معجم الأدباء ٢ : ٦١ .

رحل الى العراق واستقر في بغداد اتصل بالخليفة المتوكل وظل يستميله بأدبه ويتقرب اليه بظرفه حتى صار من ندمائه المقربين ولذا اطلق عليه « المتوكلى » .

وقد تجلت عبقريته في رسالته البليغة التى قرظ فيها الخليفة المتوكل ووزيرة الفتح بن خاقان تلك الرسالة التى كانت كما يقول « موضع اعجاب الكتاب في العراق يتناولها فيما بينهم جيلا بعد جيل (١)

وبعد موت المتوكل ساءت علاقته بالعباسيين ولم يجد في بلاطهم من يقربه او يحنو عليه فخلع ثوب الوفاء لهم وانبرى يهجوهم ويطلق لسانه فيهم ويتطاول عليهم بآبائه من الفرس .

وقد تجلى ذلك في قصيدة له مشهورة تدل على نزعته الفارسية وكراهيته الشديدة للعرب – حيث يقول فيها :

انا ابن الاكارم من نسل جم (٢)
وحائز ارث ملوك العجم
ومحيى الذى باد من عزهم
وعفى عليه طوال القدم

(١) المرجع السابق ٢ : ١٧ .
(٢) يريد بجم : جمشيد ملك الفرس .

وطالب أوتارهم جهرة
فمن نام عن حقهم لم انم
يهم الانام بلذاتهم
ونفسي تهم بسوق الهمم
الى كل امر رفيع العماد
طويل النجاد منيف العلم
واني لآمل من ذى العلا
بلوغ مرادى بخير النسم
معى علم « الكابيان » الذى
به ارتجى ان أسود الامم (٢)
فقل لبنى هاشم أجمعين
هلموا الى الخلع قبل الندم
مكنباكم عنوة بالرما
ح طعنا وضربا بسيف خذم (٣)
وأولاكم الملك آباؤنا
فما ان وفيتم بشكر النعم
فعودوا الى ارضكم بالحجاز
لاكل الضباب ورعى الغنم
فاني سأعلو سرير الملوك
بحد الحسام وحرف القلم (٤)

---

(١) معجم الأدباء ١٢ : ١٩١ .
(٢) الكابيان : نسبة الى كابة (جاوه) حداد فارس رفع علم الثورة .
(٣) السيف الخذم : القاطع .
(٤) معجم الأدباء : ١ : ٣٢٣ .

٥ – عـــلان الشـــعوبى

يرجع نسبة الى الفرس وكان راوية عارفا بالأنساب والمثـــالب والمنافرات وكان منقطعا الى البرامكة (١)

وكنت حرفته الوراقة وي النسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة وينسب اليه كتاب « المثالب » الذى هتك فيـه العـــرب ويروى أنه اهداه الى طاهر بن الحسين قائد المأمون فانعم عليــه بثلاثين الف درهم تنشيطا وتشجيعا له •

ويذكر ابن النديم انه له من الكتب كتاب المثالب ويحتوى على مثالب قريش ومثالب بنى مخزوم ومثالب أســـامة بن لؤى ومثـالب عبد الدار بن قصي ومثالب ولد زهرة بن كلاب وغيرهم ابتـــدأ فيـه بقبائل بنى هاشم قبيلة قبيلة ثم قبائل العرب الى اخر قبـــائل اليمـــن ••

وكان علان حجة في مسائل الخصومة الخاصة بأنساب القبـائل العـــربية •

وقد ضاعت معظم كتبه في المثالب ولم يبق منها الا النذر اليسير نجده مبثوثا هنا وهناك في بعض المصدر التاريخية الادبية •

---

(١) معجم الأدباء ١٢ : ١٩١ •

ويروى ان عبد الله بن طاهر بن الحسين آنشا قصيده يعتز فيها بقوبه الفرس لانهم كانوا من اشياع المأمون الذى انتصر بسيوفهم على اخيه الامين ويقول فيها :

اقصرى عما لهجت به
ففراغى عنك مشغول
أنا من تعرف نسبى
سلفى الغر اليها نيل
مصعب جدى نقيب بنى
هاشم والامر مجهول
سل بهم تنبئك نجدتهم
مشرفيات مصاقيل
ابى من لا كفاء نه
من يساوى مجده ؟ قولوا
سل بهم والخيل ساهمة
حوله جرد ابابيل
انظر أنظر كلكله
وحواليه المقاويل
فثوى والتراب مضجعه
غال عنه ملكه غول
قاد جيشا نحو نائلة
ضاق عنه العرض الطول

من خراسان مخفي معهم
كيوت ضعها غيل (١)

فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة الأموي بقصيدة يرد فيها عليه وقد روى انه قال : لما بلغتني هذه القصيدة امتعضت العرب وانفت ان يفخر عليها رجل من العجم لانه قتل ملكا من ملوكهم بسيف اخيه لا بسيفه فيفخر عليها بهذا الفخر ، ويضع منها هذا الوضع فرددت عليه قصيدته بقولي :

لا يرعك القال والقيل
كل ما بلغت تضليل
يا بن بيت النار موقدها
ما لحاذيه سراويل وسهل
أي مجد لك ترفعه
او نسيب لك بهلول
من حسين ؟ من أبوك ومن
مصعب غالتكموا غول
نسب في الفخر مؤتشب
وأبوات ارازيل (١)

ولما بلغت هذه القصيدة مسامع علان الشعوبي ثار القسومه من الفرس ورد على محمد بن يزيد الاموي بالقصيدة الاتية يمدح فيها

---

(١) الفرج بعد الشدة ٢ : ٦٨ للتنوخي .
(٢) الأغاني ١١ : ١٢ وما بعدها .

عبد الله بن طاهر ويفضل فيها العجم على العرب.وهذا ضرب من النقائض التي شاعت في ذلك العصر بين الفرس والعرب يقـول علان :

أيهـا اللاطي بحفـرته
في قـرار الارض مجعـول
قـد تجـالت على دخـل
واسـتخفتك التهـاويل
وابـو العبـاس غـادية
لعـزالية الاماليـل
تمطـر العقيـان راحتـه
ولـه بالجـود تهطيـل
رسـتمى في ذرى شـرف
زانـه تـاج واكليـل
وعليـه من جـلالته
كـرم عنـد وتبجيل
ان لـي فخـرا مبـاءته
في قـرار النجـم ماهـول

٢ ابو عبيـدة معمر بن المثنى

كان ابو عبيدة من اشهر اللغـويين الذين عـرفوا بنزعتهم الشعوبية وقد كان أبوه من يهود فارس (١) وبعد اسلامه انتسب بالولاء لبنى تميم ..

(١) الفهرست ١٧٤ .

واشتهر ابو عبيده بسلاطة اللسان وكثرة الهجاء فلم يسلم من طعنه احد (١)

وكان الاصمعي عدوه اللدود لما بين الشخصين من اختلاف في الاصل والصفات وسعه العلم ..

فالاصمعي كان يتعصب للعرب بحكم اصله العربي كما كان ذا دين متين وخلق قويم فلا يروى الا اصح اللغات ولا يجيب في القرآن ولا في الحديث خشية الخطأ (٢)

وكان لا يفسر شعرا فيه هجاء وكأنه كان يرى ان ذلك يمس دينه لانه يرى ان في الهجاء خطأ من المهجو او قبيلته وفي ذلك مساس بالعربية وكان يمتاز عن أبي عبيدة بحسن القائه ، ولطف نغمته .

أما ابو عبيدة فقد اشتهر بالكذب والدس (٣) وكان اكبر همه ارجاع مآثر العرب وحضارتهم الى عناصر اجنبية ، فلم يترك شعرا ولا نثرا ولا شيئا مما تفخر به العرب الا نسبة الى الاعاجم حتى القصص الخرافية التي يتناقلها العرب ، وجد لها نظائرها في اساطير الادب الفارسي ولم تسلم اخلاق العرب المتوارثة وسلوكهم المعتاد من قبل هذه المحاولة (٤)

---

(١) المزهر للسيوطي ٢ : ٢٠٩ .
(٢) وفيات الأعيان ٤ : ٣٢٨ .
(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١٣٠ .
(٤) مروج الذهب ٣ : ٢٥٧ .

وكان الى جانب ذلك ذا ثقافة واسعة يعرف تاريخ الفرس لفارسيته ، وتاريخ اليهود ليهودية آبائه وتاريخ العرب لانه نشأ بينهم وكان يفسر القرآن الكريم حسب رأيه وهواه فكان الاصمعي يؤاخذه على ذلك (١)

يقول الاستاذ احمد امين : يظهر ان كلا من الاصمعي وابي عبيدة يمثل فكرة فالاصمعي : يمثل العربية ، والتعصب لها وحب العرب واجلالهم والاشادة بذكرهم ، وابو عبيدة يمثل فكرة الشعوبية والبحث عن معايب العرب والتشهير بهم وكان كلّ منهما زعيما يلتف حوله من يؤيدون فكرته ، ويناصرونه ، ويتعصبون له ، فالعرب كانوا يناصرون الاصمعي ويلتفون حوله ، والفرس كانوا يناصرون أبا عبيدة ويلتفون حوله • فنرى اسحاق بن ابراهيم الموصلي وهوفارسي يقول للفضل بن الربيع :

عليك ابا عبيدة فاصطنعه
فان العلم عند ابي عبيدة
وقدمه وآثر عليه
ودع عنك القريد بن القريدة (٢)

ويقول أبو الفرج : ان اسحاق الموصلي كشف للرشيد معايب الاصمعي واخبره بقلة شكره وبخله وضعة نفسه ، وان الصنيعة

(١) وفيات الأعيان ٢ : ١٥٥ •
(٢) ضحى الاسلام ١ : ٧٣ •

لا تزكو عنده ووصف له أبو عبيدة بالثقة والصدق والسماحة والعلم وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به — ولم يزل حتى وضع مرتبة الاصمعى واسقطه عندهم ، وانفذوا الى ابى عبيدة من أقدمه (١)

وسئل ابو نواس — وهو شعوبى — عن ابى عبيدة والاصمعى فقال : أما ابو عبيدة فانهم ان امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والاخرين • واما الاصمعى فبلبل يطربهم بنغماته (٢) والاصمعى يذم البرامكة ويتهمهم بالشرك والزندقة في قوله :

اذا ذكر الشرك في مجلس
اضاءت وجوه بنى برمك
وان تليت عندهم آية
أتوا بالاحاديث عن «ضررك »

وابو عبيدة يشيد بذكر الفرس ويؤلف كتاب « فضائل الفرس» يصف فيه طبقات ملوكهم من سلف وخلف واخبارهم وخطبهم وتشعب انسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكسور واحتفروه من الانهار واهل البيوتات منهم ، وما وسم به كل فريق من السهارجة وغيرهم (٣)

---

(١) مروج الذهب ١ : ١١٣ •
(٢) عيون الأخبار ٢ : ١٣١ •
(٣) الأغانى ٥ : ١٠٧ •

ولعل اخطر ما وجهه ابو عبيده للحضارة العربية من ضربات ما ذهب اليه من ان الاشخاص الذين كانت لهم منزلة رفيعة في الاسلام اغلبهم من أصل فارس ويضرب على ذلك مثلا بأسرة الرقاش وهى اسرة اشتهر افرادها جميعا بملكة البيان اخصهم ابان بن عبد الحميد الرقاش وقد اشتهر بأنه كان شاعرا عربيا ممتازا ومترجما للكتب الفارسية وورث عنه هذه الملكة ابنه حمدان واخوه عبد المجيد وكان ابن اخيه الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشي احد خطباء العرب المشهرين في هذا الفن (١)

اما علم الانساب فقد برع فيه ابو عبيدة كل البراعة وعرف بطعنه في الانساب والشك فيها (٢) فقيل عنه « انه كان يقدح في الانساب ولا نسب له » (٣)

ألف أبو عبيدة كتبا كثيرة في الشعوبية ، ضاعت كلها ..منها كتاب الموالى ، وكتاب المنافرات وكتاب القبائل وكتاب ادعياء العرب وكتاب « لصوص العرب » وكتاب فضائل الفرس وغيرها (٤)

وهكذا كان ابو عبيدة من أخطر الشعوبيين على العرب وانسابهم وثقافتهم .. وقد كان لوضاعة اصله .. وثقافته الفارسية واليهودية أكبر الاثر في حقده على النصر العربى .

---

(١) الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى ص ١٢٥ د. ازهية قدورة
(٢) بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٩٥ .
(٣) الأغانى : ٢٠ : ٧٨ .
(٤) انظر الفهرست لابن النديم ص ٨٠ .

دفاع العرب :

اذا كان الاصمعي العربي الشهم الغيور كان يمثل الثقافة العربية — والحزب العربي ·· فان هناك شعراء اخرين من العرب كانوا غيورين مثله على عروبتهم وكانوا يكرهون الاعاجم ويكرهون من يقف بجانبهم من العرب حتى ولو كانوا من خلفاء بني العباس ولكن هؤلاء الشعراء كانوا قليلين بالقياس الى شعراء الشعوبيين ·· ولعلهم كانوا كثرة ·· ولكن المؤرخين من الفرس قد طمسوا ما قالوه في الأعاجم ·· وقلبوا حقائق التاريخ راسا على عقب ارضاء لنزعتهم الشعوبية وتعصبهم الاعمى ضد كل ما هو عربي ·· ومن هؤلاء ابو خالد يزيد بن محمد المهلبي وأبو الاسد نباته بن عبد الله الحماني الشيباني وابو الطيب المتنبي وابو فراس الحمداني وغيرهم ··

فأما يزيد المهلبي : فقد كان من العرب الغيورين على عروبتهم الناقمين على الموالي على العرب ، وهذا ما جر على الدولة ·· بل على الخلفاء انفسهم ابشع العواقب ··

ففي رثائه للمتوكل ·· بعد قتله من الترك تراه يظهر اللوعة والاسى لفقد الخليفة ·· ويتحسر على قتله بيد الاعاجم ، ويتمنى أو دافع عن الخليفة بسيفه وجاهد الاعداء بروحه ·· وابلى في الدفاع عنه بلاء حسنا · حيث يقول :

لا حزن الا أراه دون ما أجد
وهل كمن فقدت عيناي مفتقد
لو ان سيفي وعقلي حاضران له
ابليته الجهد اذ لم يبله احد

جاءت منيته والعين هاجعـــة
هلا اتته المنـايا والقنا قصـــد
اضحى شهيد بنى العباس موعظة
لكل ذى عزة في رأسه صـــيد
خليفة لم ينـل ما ناله احـــد
ولم يضع مثله روح ولا جسـد

ثم يلتف موجها كلامه الى بنى العباس الذين ارخوا العنـــان للموالى فيصب عليهم جام غضبه ، ويظهر سخطه عليهم ونقمتـه منهم .. وينكر عليهم استبدالهم العبيد بالاحرار ، ويشيد بالعـرب الاحرار اصحاب المجد التليد والدين القويم .. فيقول :

لما اعتقدتم اناسا لا حلوم لهم
ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الاحـــرار نعمتكم
حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعهم
والمجد والدين والارحام والبلد
ان العبد اذا اذللتهم صـلحوا
على الهوان وان اكرمتهم فسدوا
اذا قريش ارادوا شد ملكهم
بغير قحطان لم يبرح بها أود
قد وتر الناس طرا ثم قد صمتوا
حتى كأن الذى نيلوا به رشـد

من الاولى وهبوا للمجد انفسهم
فما يبالون مانالوا اذا حمدوا (١)

فهذه نفثة مصدور من شاعر عربي غيور على العروبة والاسلام قد هاله مقتل الخليفة على يد الاعاجم .. فصب جام غضبه على أولئك الخلفاء المخدوعين الذين تركوا أبناء جلدتهم .. وراحوا يقربون الاعاجم الموتورين ، الحاقدين على العرب فكان جزاؤهم القتل والتنكيل بأيدي عبيدهم ومواليهم ولو أنهم اصطفوا ابناء العرب وقربوهم لاستقامت الامور وصلحت الاحوال .. لان العرب احرار يعرفون كيف يحافظون على من يكرمهم اما الموالى فهم عبيد وشأن العبد ان لا يصلح الا اذا اهنته .. أما اذا اكرمته فيتحرر على حد قول الشاعر :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت أكرمت اللئيم تمردا

ولقد صدق الشاعر فيما قال .. فان هؤلاء الموالى قد استبدوا بالخلفاء .. وضيقوا عليهم الخناق .. وراحوا يعبثون بهم يخلعون من يشاؤون .. ويجلسون على كرسي الخلافة من يشاؤون فساءت احوال الدولة . وانفرط عقدها وتقسمت الى دويلات مازلنا نعانى من آثارها حتى اليوم .

---

(١) زهر الآداب للحصري ١ : ٢١٧ .

٣ – ابو الأسد نباته بن عبد الله الحمانى

كانت بينه وبين على بن يحيى المنجم خصومة ٠٠ وكانت تقوم بينهما مهاجاة ٠٠ وكان من المتوقع ان يكون هجاءه لابن المنجم هجاء شخصيا لا يتعداه الى سواه ٠٠ ولكنه هجا قومه من النبط ٠٠ وصب عليهم جميعا جام غضبه ، وافرغ في قصيدته كل ما في قلبــه من كره وموجده مشيدا بالعرب حيث يقول :

صنع من الله انى كنت اعرفكم
قبل اليسار وانتم في التبابين (١)
فما مضــت حتى رايتكــم
تمشون في القز والقوهى وفي اللين (٢)
وفي المشارق مازالت نســاؤكم
يصبحن تحت الدوالى بالوارشين (٣)
فصرن يرفلن في وشي العراق وفي
طرائف الخز من دكن وطارون (٤)
انسين قطع الحلاتى من معادنها
وحملهن كشوثا في الشقابين (٥)

---

(١) التباين : سراويل صغيرة مفردها تبان وهو فارس معرب ٠
(٢) القوهى : ثياب بيض رقيقة ٠
(٣)الوارشين : مفردها ورشان وهو طائر ٠
(٤) الطارون : ضرب من الحرير ٠
(٥) الكشوث : نبات طفيلي يلتف على الشجر ويضرب به المثل في الخسه
الشقابين : مفردها شقبان : وهو ذيل العباءة ٠

حتى اذا أيسروا قالوا وقد كذبوا
نحن الشـــهاريج اولاد الدهاقين
لو سيل اوضعهم قـدرا وأنذلهم
لقال من فخره انى ابن شـوبين
وقـــال اقطعنى كسرى وورثنى
فمن يفاخرنى ام من ينـــاوينى
فقل لهم وهمـوا أهـــل لتربيـة
شر الخليفـة بابخـر العثـــانين
ما الناس الا نزار في أرومتها
وهاشم سرجها الشـم العـرانين
والحى من سلفى قحطان انهموا
يزرون بالنبط اللكين الملاشين

ثم يقـــول :

اما تراهم وقد حطـوا برادعهم
عن اتنهم واسـتبدوا بالبرازين
وأفرجوا عن مشارات البقول الى
دور الملوك وابواب الســـلاطين
تغلى على العرب من غيظ مراجلهم
عداوة لرســـول الله والدين (١)

---

(١) الأغانى ١٢ : ١٧٦ .

وهذه القصيدة على قصرها تكشف بوضوح ما كان يعانيه العرب من الموالى .. وما كان يعتمل في صدورهم من حقد وموجدة نحوهم .. فلقد سيطروا على الدولة ، وتصرفوا في مصائرها وتطاولوا على العرب . بل على الخلفاء اولياء نعمتهم وراحوا يفتخرون زوراً وبهتانا على العرب .. وكل واحد منهم حتى وان كان من ارزال القوم وسفهائهم يزعم أنه من نسل كسرى .. ولقد ردد كثير من شعراء الشعوبية هذا الادعاء .. مع انهم كانوا معروفين بوضاعة الاصل .. وهوان النسب .. بل ان بعضهم كان مجهول النسب ..

وهذا ما جعل العرب يكرهونهم .. ويحاولون جاهدين ان يكشفوا حقيقتهم كما فعل هذا الشاعر .. الذى بين ان معظم هؤلاء الموالى كانوا قبل اليسار فقراء معوزين يسعون في طلب الرزق ويأكلون الفتات فاذا ما أيسروا نسوا أصلهم .. وتفاخروا على العرب وزعموا انهم اولاد الدهاقين . ولذا يقول المستشرق « فون كريمر » ان هذه القصيدة تمثل الحزب العربى تمثيلا صادقا (١)

---

(١) الحضارة الاسلامية ص ٩٦.

الفصل الثالث

الصراع بين العرب والروم

تمهيـــــد :

الصراع بين العرب والروم قديم قدم الفتوحات الاسلامية .. ذلك ان الاسلام فرض على المسلمين الجهاد في سبيل الله من اجل الدفاع عن الدين ونشره في ربوع الارض .. ومنذ خلافه ابى بكر رضي الله عنه خرج المسلمون من شبه الجزيرة بعد ان قضوا على المرتدين الى بلاد الفرس والروم .. يقتحمون البلاد .. وينشرون الاســـــلام وما أسرع ما استولوا على العراق وفارس وبلاد الشام ومصر في زمن وجيز .. ولذا فقد اضطر الخليفة معاوية أن ينقل عاصمة ملكه الى الشام حتى يكون على مقربة من بلاد الروم وحتى يستطيع ان يدافع عن حدود الدولة الاسلامية المترامية الاطراف وبعد القضـــاء على دولة الفرس في العراق وفارس .. لم تكن هناك دولة مجاورة للمســـلمين تستطيع ان تهدد حدودهم الا دولة الروم الشرقية .. التى اخـذت تتربص بالمسلمين الدوائر .. بعد ان اخذ المسلمون منهم بلادالشام ومصر .. ومنذ ذلك الحين بدا الصراع بين العرب والروم .. العـرب يريدون حماية حدودهم الجديدة وتأمينها .. ويريدون الانطلاق منها الى قلب بلاد الروم لنشر الاسلام . وتحقق نصر حاسم على عاصمة الكفر القسطنطينية والروم يرون انهم مهددون بالعرب .. وبهـذا الدين الجديد الذى انتشر في ربوع الارض .. وهو بما اشتمل عليه من عقيدة التوحيد والاتفاق مع الفطرة السليمة التى فطر الله الناس

عليها تهدد عقيدة التثليث التى يؤمنون بها في الصميم ٠٠ ومن ثم يرون انه لا بد لهم من حماية بلادهم ودينهم من هـذا الخطر الجديد ومن هنا بدأ الصراع بين الطرفين ٠٠

ولان بلاد الروم التى كانت تشمل آسيا الصغرى كثيرة الجبال ، وعرة المسالك شديدة البرودة شتاء كان أنسب وقت يقوم فيه العرب بغزواتهم لهذه البلاد هو فصل الصيف ومن ثم اطلق على هـــذه الغزوات او على المحاربين المشتركين فيها اسم « الصـــائفة » أو « الصوائف » ومنذ عهد عمر بن الخطاب صار غزو الصائفة عملا تقليديا يحرص عليه خلفاء المسلمين من الامويين والعباسيين ٠٠

وكانت اول صائفة هى التى وجهها عمر بن الخطـــاب الى بلاد الروم في سنة ٢١ هـ وجعل قيـادة الجيش فيهـــا لعمير بن ســـعد الانصارى ٠٠ واذا لم يتهيأ للخليفة نفسه الخروج على رأس هـــذه الغزوة الصيفية فانه كان يعقـد لواء الجيش لواحـد من اقــربائه المقربين والا فقائد من قوادهم الذين يثق في مقدرتهم (١)

فقد ارسل معاوية بن ابى سفيان ابنه يزيد على راس جيش كبير لغزو بلاد الروم وسار حتى وصل الى القسطنطينية سنة ٤٩ هـ وحاصرها واظهر في القتال بطولة فائقة حتى اذا انتهى الصيف عاد بجيشه الى الشام ٠٠ وقد استشهد في هذه الغزوة الصحابى الجليل أبو أيوب الانصارى ودفن بناء على رغبته تحت اسوار المدينة ٠

---

(١) فى الشعر العباسى ص ١٢٨ د٠ عز الدين اسماعيل ٠

وقد ظلت هذه الغزوات الصيفية دأب الخلفاء الامويين وحققوا فيها انتصارات ساحقة على الروم ٠٠

وكانت المنطقة بين القسطنطينية وانطاكية مسرحا لحروبهم مع الروم وفتحوا كثيرا من البلدان مثل اماسية وخرشنة وعمورية وسلاقوية وقيسارية والمصيصة وفيها حصون فتحها العرب كحصن بولاق والاخرم وبولس وقمقم وحصن المرأة (١)

ومما يؤكد استمرار هذه الغزوات متدح به الاخطل عبد الملك بن مروان في قوله :

وفي كل عام منك للروم غزوة
بعيدة آثار السنابك والسرب
وان لها يومين : يوم اقامة
ويوما تشكى القض من حذر الدرب

وعلى الرغم من ان الامويين قد وصلوا الى القسطنطينية وحاصروها ثلاث مرات ـ فيما يقول المؤرخون ـ فانهم لم يتمكنوا من اقتحامها ٠٠ والاستيلاء عليها ٠٠ ومن اجل ذلك ظل الروم مصدر قلق واضطراب للدولة الاسلامية طوال العصر العباسي ٠

ومن هنا ظل الصراع مستعرا بين الروم والعرب وكان له آثار في الادب العباسي ٠

---

(١) شعر الحرب في ادب العرب ١٣٨ د٠ زكي المحاسني ٠

٢ – الصراع في العصر العباسي

كان الجيش الاسلامى في العصر العباسي يتكون من الجنود النظاميين الذين تجندهم الدولة وتدون اسمهم في الدواوين وتجرى عليهم الارزاق .. وهؤلاء كانوا يقيمون في الثغور المتاخمة لبلاد الروم ويسهرون للدفاع عن حدود الدولة الاسلامية .. وفي الصيف كانوا يغيرون على بلاد الروم يفتحون البلاد وينشرون الاسلام حتى اذا اقبل الشتاء ببرده الشديد عادوا ادراجهم الى بلاد المسلمين محملين بالغنائم والاسرى .. وظل هذا دابهم في العصر العباسي الاول ..

وكان الى جانب هؤلاء الجنود النظاميين متطوعون .. قد نذروا انفسهم للدفاع عن الاسلام .. وحماية بلاده لا يطلبون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا .. وانما كان الدافع عندهم هو الفوز باحدى الحسنيين اما الظهور واما الشهادة وهؤلاء هم المرابطون في سبيل الله .

« وكانت الثغور نوعين : ثغور برية واخرى بحرية »

وفي هذه الثغور بنوعيها كانت تقع الحروب بين العرب والروم فمرة يغلب هؤلاء ومرة هؤلاء .. ومن اجل ذلك كونت هذه المناطق بيئة لها طبيعتها الخاصة وكان لها – نتيجة لذلك – آثار بعيدة المدى في حياة الشعبين العربى والرومى على السواء فكما كانت مجالا للصراع الحربى بين الشعبين كانت مجالا كذلك للاحتكاك

الحضارى بينهما : الاجتماعى والفكرى والادبى والفنى (١)

ومنذ قيام الدولة العباسية لم تنقطع الغارات الاسلامية على بلاد الروم ..

ففى عهد أبى جعفر المنصور اغار الروم على « ملطية » وكانت اذ ذاك من الثغور الاسلامية فدخلوها عنوة فى سنة ١٣٨ هـ وقهروا أهلها وهدموا أسوارها وحين علم المنصور بذلك أغزى الصائفة عمه صالح بن على ومعه أخوه العباس ابن محمد بن على فبنى ماكان صاحب الروم هدمه من ملطية ثم خرجا معا للغزو من درب الحدث وتوغلا فى ارض الروم فى حين توغل جعفر بن حنظلة البهرانى من درب ملطية وقد انتهى هذا الغزو بتبادل الاسرى وبهذا استنقذ المنصور من الروم أسرى المسلمين (٢) .

وفى سنة ١٤٠ هـ غزا الصائفة الحسن بن قحطبة مع عبدالوهاب ابن ابراهيم الامام واقبل قسطنطين صاحب الروم فى جيش كثيف فنزل جيحان فبلغه كثرة المسلمين فأحجم عنهم ثم لم تكن صائفة بعد ذلك الى سنة ١٤٦ هـ لاشتغال المنصور بأمر محمد بن عبد الله العلوى فى المدينة ثم استؤنفت الصوائف بطريقتها التقليدية حتى سنة ١٥٥ وفى هذه السنة طلب صاحب الروم الصلح على أن يؤدى للمسلمين الجزية (٣) .

---

(١) فى الشعر العباسى ١٢٩ د. عزالدين اسماعيل .
(٢) فى الشعر العباسى ص ١٣٠ .
(٣) المرجع السابق ١٣٠ .

وفي عهد المهدى ساءت العلاقات بين العرب والروم .. واتسع نطاق الحرب بين الفريقين فاصبحت في البر والبحر على السـواء ففى سنة ١٦٣ هـ ارسل المهدى بابنه هارون الرشـيد على راس جيش ضخم الى بلاد الروم ففتح حصن « سمالا » بعد حصار دام ثمانيا وثلاثين ليلة واستخدم في ضربه المنجنيق وقد تم الفتح على اساس الا يقتل هارون احدا من الاهالى والا يرحلوا والا يفرق بينهم .

وفي سنة ١٥ هـ غزا هارون الصائفة مرة اخرى بجيش قارب مائة الف رجل فأوغل في بلاد الروم حتى بلغ القسطنطينية وهناك جرت بينه وبين « ايرينى » أم الملك التى كانت تحكم نيابة عن ابنهـا مكاتبات في طلب الصلح والموادعة واعطاء الفدية فقبلَ منها هارون ذلك وكان الصلح على ان تدفع للمسلمين جزية قدرها تسعمائة ألف دينار مرتين كل عام وهناك كتبت شروط الهدنة لثلاث سـنوات وتبودل الاسرى (١)

وقد ذكر مروان بن ابى حفصه هذه الواقعة في قوله :

أطفت بقسطنطينية الروم مسندا
اليها القنا حتى اكتسي الذلّ سورها
وما رمتهـا حتى اتتك هكسـركها
بجزيتها والحرب تغلى قدورها (٢)

---

(١) نفسه ١٣١ .
(٢) شعر مروان بن أبى حفصة ص ٦٠ جمع تحقيق د. حسين عطوان

وبعد هذه الهدنة عاد الرشيد الى بغداد وكان الروم قد نقضوا العهد قبل انقضاء السنين الثلاث وغدروا بالمسلمين فوجه الديه المهدى جيشا بقيادة يزيد بن بدر البطال فردهم من حيث اتوا وظفر منهـــم ٠

وقد أشاد مروان بن ابى حفصة بالدور الذى قام به المهدى في حماية الثغور وحماية بلاد المسلمين في قوله :

هل تعلمون خليفــة من قبلـــه
اجرى لغايته التى اجرى لهـــا
طلع الدروب مشمرا عن ســاقه
بالخيل منصلتا يجــد نعــالها
قودا تريع الى اغــر الوجهـــه
نور يضيء امامها وخلالها (١)
قصرت حمائله عليه فقلصـت
ولقد تحفظ قينها فأطالها(٢)
حتى اذا وردت اوائل خيلـــه
«جيحان» بث على العدو رعالها(٣)

---

(١) القود : جمع أقواد وهو الذلول السهل من الخيل ، تريع تصغى وترجع ٠
(٢) الحمائل : نجاد السيف والرجل يمدح بالطول ٠ والقين : صانع السيوف ٠ تحفظ : احتاط ٠
(٣) جيحان : نهر بالشـــام ينبع من بلاد الروم ٠ الوعال : جمع وعيل وهو الطليعة ٠

احمى بلاد المسلمين عليهم
وأباح سهل بلادهم وجبالها
أدمت دوابر خيله وشكيمها
غاراتهن والحقت آطالها (١)
لم تبق بعد مقادها وطرادها
الا نحائرها والا آلها (٢)

وهكذا لم يتوان المهدى في حرب الروم ٠٠ ولم يتراخ في تاديبهم كلما ارادوا كيدا للاسلام ٠٠ وظل على هذا الحال حتى توفي ٠

ولما تولى الرشيد خلافة المسلمين سار على طريقة والده ،وكان كما يقول ابن خلدون يحج عاما ويغزو عاما ويصلى في كل يوم مائة ركعة (٣)

وفي بداية عهده قام الروم بانقلاب ضد الملكة « ايرينى » وخلعوها من عرشها وولوا مكانها « نقفور » سنة ١٨٦ ٠٠ وجعلوه ملكا عليهم ٠٠ وقد بدأ نقفور عهده بتهديد المسلمين اذا ارسل الى الرشيد كتابا يقول فيه « من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب اما بعد ٠٠

(١) الدابر : المؤخر ، الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس ٠
الآطال : جمع اطل : وهو منقطع الأضلاع من الخاصرة ، الحقت ضمرت ٠
الآطال : جمع اطل : وهو منقطع الأضلاع من الخاصرة ، الحقت ضمرة ٠
(٢) شعر مروان بن أبى حفصة ص ٩٨ ، ٩٩ ٠
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٣ ٠

فإن الملكة التى كانت قبلى اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيذق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل امثاله اليها ولكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فاذا قرأت كتابى فاردد ماحصل قبلك من اموالها وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك والا فالسيف بيننا وبينك »

فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم : من هارون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ان تسمعه والسلام » (١)

وخرج الرشيد في غزوة تأديبية ردا على تهديد « نقفور » فدمر البلدان وأخذ الغنائم وتوغل في بلاد الروم حتى اناخ بباب هرقلة فطلب منه نقفور السلم على جزية يؤديها كل عام .. فقبل الرشيد ذلك منه ولكن ما كاد يقفل راجعا الى بلاد المسلمين حتى كان «نقفور» قد نقض العهد فاحتال المسلمون بالشاعر أبى محمد بن عبد الله ابن يوسف كى يبلغ الرشيد الخبر فأنشد بين يديه :

نقض الذى اعطيته نقفور
وعليه دائرة البوار تدور
أبشر امير المؤمنين فانه
فتح اتاك به الاله كبير

(١) تاريخ الأمم الاسلامية ص ١٣٠ محمد الخضرى .

فلقد تباشرت الرعيــة ان أتى
بالنقض عنــه وافــد وبشــــير
ورجت يمينك ان تعجل غــــزوة
تشفي النفــوس مكانها مذكور
اعطاك جزيتــه وطأطــا خــده
حذر الصــوارم والردى محــــذور

الى ان يقول :

نقفور أنك حين تغــدر ان نأى
عنـــك الامام لجــاهل مغــرور
أظننت حين غدرت أنك مفلت ؟
هبلتك امك ما ظننــت غــرور
ألقاك حينك في زواخر بحــــره
فطمت عليك من الامام بحــور
ان الامام على اقتسارك قــادر
قربت ديارك ام نأت بك دور
ليس الامام ـ وان غفلنا ـ غافلا
عما يســـوس بحــزمه ويدير
ملك تجــرد للجهــاد بنفســـه
فعدوه ابدا به مقهــــور (١)

---

(١) في الشعر العباسي ص ١٣٣ .

وادرك الرشيد ما حدث من نقض نقفور للعهد فكر مفاضباً الى « هرقله » وانزل بها الخراب وشفى غليل نفسه وفي ذلك يقول ابو العتاهية :

ألا نادت هرقلة بالخراب
من الملك الموفق بالصواب
غدا هارون يرعد بالمنايا
ويرقب بالمذكرة القضاب
ورايات يحل النصر فيها
تمر كأنها قطع السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم
وابشر بالغنيمة والاياب

وظل هارون الرشيد طوال حكمه ساهراً على حماية الثغور مجاهداً في سبيل الله .. غازياً للاعداء قائداً للجيش بنفسه فان تعذر ذلك عليه أرسل قواده العظماء أمثال : هرثمة بن أعين ، وعقبة بن جعفر وغيرهما وقد أشاد الشعراء بجهوده الموفقة في الدفاع عن المسلمين وحماية حدود الدولة الاسلامية ، ومطاردته للروم وغزوهم في عقر دارهم كلما استطاع الى ذلك سبيلاً .

يقول مروان بن ابى حفصة :

وسدت بهارون الثغور فاحكمت
به من امور المسلمين المدائر (١)

(١) المرائر : العزائم .

وما انفك معقودا بنصر لواؤه
له عسكر عنه تشظى العساكر
وكل ملوك الروم اعطاه جزية
على الرغم قسرا عن يد وهو صاغر (١)

وكان من أهم الاحداث في حروب الرشيد ما حدث من عداء الاسرى بين المسلمين والروم في سنة ١٨٦ هـ حيث استعاد المسلمون جميع اسراهم لدى الروم .. والى هذا يشير مروان بن حفصة في قوله :

وفكت بك الأسرى التى شيدت لها
محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أعيا المسلمين فكاكها
وقالوا سجون المشركين قبورها (٢)

ومهما يكن من شيء فقد أبلى الرشيد في هذه الحروب بلاءا حسنا ولقن الروم دروسا قاسية طوال حكمه وكانت كفته راجحة في هذه الحروب .. وقد تركت هذه الحروب بصماتها على الشعر العربي .. حيث اشاد بهذه الانتصارات شعراء كثيرن .

---

(١) شعر مروان بن أبي حفصة ص ٥٣ .
(٢) شعر مروان بن أبي حفصة ص ٦١ .

المـــــــأمون

وصلّ المأمون الى الخلافة بعد حرب ضروس قامت بينه وبين أخيه محمـد الامين •• والتى انتهـت بمصرع الامين وتولى المأمون خلافة المسلمين بعد احداث جسـام ادمت قلوب المسـلمين •• فكان طبيعيا ان تخلو السنوات الاولى من حكمه من الحروب ريثما يلتقـط انفاسه التى تقطعت بعد طول معاناة ••

وما كاد الامر يستتب له حتى خرج بنفسه غازيا بلاد الروم في شهر المحرم من سنة ٢١٥ هـ بعد ان استخلف على بغداد اسـحاق ابن ابراهيم بن مصعب واجتاز في طريقه منبج ثم دابق ثم انطاكية ثم المصيصة ثم طرسوس ومنها أخذ يوغل في بلاد الروم ففتـح حصن « قرة » وامر بهدمه ثم اخضع غيره من الحصون وحين قفل المأمون الى الشام بلغه اغارة ملك الروم على طرسوس والمصيصة وقتله لعدة آلاف منها فعاد الى بلاد الروم وظـل حتى بلغ هـرقله فاستسلم اهلها وطلبوا الصلح في حين افتتح اخوه اسحاق عـددا كبيرا من الحصون ، كما اغار وزيرة يحيى بن اكثم اغـارات غنم فيها وحين رضيت نفس المأمون بذلك رحـل الى مصر وكان ذلك في سنة ٢١٦ هـ ومن مصر عاد المأمون الى دمشق في السنة التالية ومنهـا دخل الى بلاد الروم للمرة الثالثة حتى اذا بلغ حصـن لؤلؤة ضرب عليه حصارا استمر مائة يوم ثم غادره بعد ان اقام عجيفا ـ احـد قواده خلفا له على الحصار وانتهى الامر بخروج اهـل لؤلؤه الى عجيف بالامان (١)

(١) في الشعر العباسي ص ١٣٤ •

وهذا الصراع بين المأمون والروم يدلنـــا على ان الصراع كان متبادلا بينهما .. ففى الوقت الذى كان يجد كل منهما فرصة للنيل من الاخر لم يكن يتراجع عن اغتنامها .. وحين كانت الحرب تضـع اوزارها كانت تعقد هدنة بين الطرفين لالتقاط الانفاس وفك الاسرى وتبادل التجارة وتأمين الطرق ..

ومما يدل على وجود هذا التبادل الحضـــارى بين الشـــعبين العربى والرومى في فترات الهدنة والاسترخاء العسكرى رســـالتان تبادلهما ملك الروم والخليفة المأمون بشأن هذا الامر ..

« وخلاصة رسالة ملك الروم انه يذكر المأمون بما كتبه اليـــه من قبل ينشد السلام والموادعة بين الشعبين مع اتصـــال المرافق بينهما وتبادل التجارة وانه مازالت هذه الرغبة وانه اذا رفض المأمون هذا العرض فانه ــ أى ملك الروم ــ سيقود اليه الجيوش الجـرارة التى لا تبقى ولا تذر ثم ينهيها بقوله « وان أفعل فبعـــد ان قدمت اليك المعذرة وأقمت بينى وبينك الحجة .

فرد عليه المأمون بقوله :

اما بعد : فقد بلغنى كتابك فيما سألت من الهدنة ، ودعـوت اليه من الموادعة وخلطت فيه من اللين والشدة فما استعطفت فيـه من فسح المتاجر ، واتصال المرافق ، وفك الاسارى ، ورفع القتـــل والقتال ، فلولا ما رجعت اليه من أعمـــال التؤدة والأخذ بالحـــظ في تقليب الفكرة ، وان لا اعتقد الرأى في مستقبله الا في اصـــلاح ما اوثره في معتقبه لجعلت لجواب كتابك خيلا تحمل عن اهـل البـــأس

والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثكلكم ويتقربون الى الله بدمائكم، ويستقلون في ذات الله ما نالهم من الم شوكتكم ثم اوصل لهم من الامداد ، وابلغ لهم كافيا من المدد والعتاد ، هم أظمأ الى المنايا منكم الى السلامة ومن مخوف معرتهم عليكم ، موعدهم احدى الحسنيين ، عاجلَ غلبة ، او كريم منقلب غير انى رأيت ان اتقدم اليك بالموعظة التى يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ، ولمن معك الى الوحدانية ، والشريعة الحنيفة فان ابيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة ، وان تركت ذلك ففى يقين المعاينة لقوتنا ما يغنى عن الابلاغ في القولَ ، والاغراق في الصفة والسلام على من اتبع الهدى (١)

وتستطيع ان تستخلص من رسالة المأمون الحقائق التالية في شأن الصراع بين العرب والروم :

١ — ان كلا من العرب والروم كان حريصا على هزيمة صاحبه والسيطرة عليه واخضاعه لنفوذه .. وأن كلا منهما يتوجس خيفة من الآخر .

٢ — ان هناك فترات كانت تستريح فيها الجيوش وتستعد لجولات تالية .. وفي هذه الفترات كان يقوم بين الطرفين نوع من السلام والمسالمة حيث يفكون الاسرى ويتبادلون التجارة ويؤمنون الطرق ويعمرون ما خربته الحرب ويعالجون الجرحى .. ومن خلال ذلك يتأثر كل طرف بحضارة الطرف الاخر ويحاكيه في اسلوب حياته رغم أم كره بحكم المجاورة والاحتكاك ..

---

(١) تاريخ الأمم الاسلامية ص ٢٢٤ محمد الخضرى .

٣ ـ ان هذه الحروب كانت في المقام الاول حروب دينية يحرص كل طرف فيها ان يحافظ على دينه ومعتقداته من هيمنة الطـــــرف الطرف الآخر ٠٠وان المســلمين كانوا يعدون قتال الروم جهــادا في الآخر ٠٠٠ وأن المسلمين كانوا يعـدون قتال الـــروم جهـــادا في سبيل الله واعلاء لكلمته فكانوا يتقربون الى الله بدمائهم ولذا كان المأمون حريصا على أن يعرض على ملك الروم واصحابه التوحيـد والدخول في رحاب الاسلام والشريعة السمحاء فان ابى جرى عليـه وعلى الروم حكم الشريعة الاسلامية في اهل الذمة في دفع الجــزية فان أبى فالسيف ٠٠

فالجهاد في سبيل الله هو الهدف الاول من هذه الحروب ولم يكن الدافع كذلك حب السيطرة والظهور واستبداد الشــعوب والتحكم في مقدراتها وانما كان الهدف هو اعلاء كلمة التوحيد حتى يكون دينا عالميا كما أراد الله له ان يكون ٠ ولذلك كانوا ينتصرون ٠٠

ـ المعتصـــم بالله ـ

تولى المعتصم الخلافة بعد المأمون ٠٠ وكانت اول مشكلة قابلته في بداية حكمه هي فتنة بابك الخرمي ٠٠ وهي الفتنة التي بدأت في سنة ٢٠٢ هـ حين رفع بابك هذا راية العصيان على الخلافة العباسية في شمال فارس بعد ان ادعى الالوهية وأحل لاتباعه السلب والنهب والاغتصاب والقتل والتمثيل بالغير (١) ٠

وقد اتعب بابك هذا المأمون اذ لم تستطع الجيوش التي كان يرسلها اليه ان تقضي عليه نظرا لكثرة اتباعه وتحصنه في الجبال

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٩٤ ٠

الوعرة ٠٠ ولذا فقد أوصى المأمون اخاه ان يولى هذه الفتنة اهتمامه الكامل ٠٠

من اجل ذلك فقد جعل المعتصم اكبر همه بعد ان تولى الخلافة القضاء على بابك واصحابه ٠٠ وأدرك « بابك » الخطر الذي يتهدده فارسل الى « تيوفيل » ملك الروم يخبره بأن الفرصة اصبحت سانحة له لغزو المسلمين حيث ان جيوشهم قد أصبحت مشغولة بأمره وكان هدفه من ذلك تخفيف الضغط عليه من ناحية وارهاق المسلمين بحربهم في جبهتين من ناحية ثانية ٠٠

ولذا فقد اغتنم ملك الروم الرفصة وعبا جيوشه واتجه الى « زبطرة » احدى ثغور المسلمين فأحرقها وقتل الرجال وسبى النساء والذرية ثم انتقل منها الى « ملطيه » فألحق بها وبأهلها الخراب والدمار وكذلك صنع في عدد من حصون المسلمين ٠٠ ولما قفل «تيوفيل» بالغنيمة الى بلاده هرب من زبطرة عدد من أهلها الذين تحرقت دورهم وساروا حتى بلغوا قصر الخليفة المعتصم في سامراء ٠٠ ويضيف ابو الفدا في تاريخه ان امرأة عربية من اهل زبطرة صاحت وهى أسيرة في ايدى الروم : وامعتصماه ٠٠

فلما بلغ المعتصم استغاثتها وهو جالس على سريره صرخ لبيك ٠٠ لبيك (١)

---

(١) المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء ٢ : ٣٣ ٠

ومن سوء حظ الروم ان المعتصـــم كان قـــد قضي على بابك الخرمى حيث وقع أسيرا في يد « الافشين » قائد جيش المعتصـــم فساقه اسيرا الى سامراء حيث أمر المعتصم بقتله وصلبه عندئذ تفرغ المعتصم لقتال الروم وكانت « زبطره » التى هدمها «تيوفيل» مسقط راس المعتصم وحين سأل عن امنع حصون الروم قيـــل له « عمورية » وتصادف ان كانت عمورية هى مسقط رأس « تيوفيل » فقرر المعتصم تدميرها ردا على تدمير « زبطرة » والانتقام للمسلمين الذين نكبوا في زبطرة على ايدى الروم ..

ومن هنا استعد المعتصم للغزو وللجهاد في سبيل الله فركب جواده ، وحمل معه حقيبة فيها زاده . ثم عبأ جيشه واحضر قاضي بغداد وجمعا من العدول فأشهدهم على ما وقف من الضياع وما يجب ان يصير بعده من آمر الخلافة وهنا دليل على صدق اغاثته ووثبتـه الخالصة لنصرة العرب والمسلمين .. وسار بجيشه الى بلاد الـروم بعد أن أعده احسن اعداد وجعل عليه جماعة من اعظم القـــواد امثال : الافشين ووصيف وبغا ، واشناس ، وعجيف بن عنبســـه وغيرهم وقد قسمه الى كراديس على كل فريق واحد من هؤلاء القواد وسير بين يديه الطلائع وكانت خطته الحربية أن يهدم « انقرة » قبل حصار « عمورية » في بهرة الاناضول وانقرة في شمالها الشرقي بمثابة حصن لها وملجأ (١) .

وقد نجحت خطته في الاستيلاء على انقرة فاستسلمت له دون

---

(١) شعر الحرب ص ١٨٦ د. زكي المحاسني .

كبير عناء .. ثم نظم جيشه لمداهمة عمورية فجعل الأفشين على الميمنة واشناس على الميسرة وكان هو على القلب وضرب حصارا على عمورية ثم آخذ يضرب اسوارها وابراجها بالمنجنيق حتى تهدم جزء من السور فتدفق المحاربون من الثغرة التي فتحت في سـور المدينة والتحموا مع جند الروم وأوسعوهم قتلا واشـعلوا النار في المدينة حتى تداعت جدرانها وتهاوت ابراجها وتهدمت مسـاكنها واصبحت آثرا بعد عين ..

والذى يهمنا من سرد هذه الاحداث هو دراسـة الادب الذي واكبها وعزف على قثارتها وسجل خطواتها .. وقد استطاع الشاعر الملهم ابو تمام ان يسجل بصدق وامانة احداث هذه الواقعـة وان يرسم بقلمه خطوطها المتشابهة وان يعطينا صورة صادقة لعـز العرب وقوة المسلمين أيام المعتصم ، كما نجح في رسـم ما حل بعمورية ، من خراب ودمار على ايدى أبطال المسلمين ..

بدا ابو تمام قصيدته بالسخرية من المنجمين وبيان كذبهم وكشف دجلهم حينما زعموا ان عاقبة هذه الغزوة غير مـأمونه ، وأن الوقت غير مناسب لفتحها ولكن المعتصم لم يعبأ بقولهم .. ونجح فيمـا عزم عليه ضاربا بأقوالهم عرض الحائط يقول ابو تمام في مطلـع هذه الملحمة الرائعة :

السيف أصدق انباء من الكتب

في حده الحـد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في

متونهن جلاء الشـك والريب

ثم يعلمهم ان القول الفصل للرماح اللامعة وليست في النجـــوم السامقة فيقول :

والعلم في شهب الارماح لامعــة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وتثبت الاحداث كذب المنجمين ودجلهم وأن كلامهم عن هـــذه الغزوة كان احاديثا ملفقة لا تساوى شيئا فيقول :

تخرصــا واحاديثــا ملفقــة
ليست بنبع اذا عــدت ولا غرب

ثم ينتقل بعد ذلك الى الحديث عن فتح عمورية فيقول :

فتح الفتوح تعالى ان يحيط به
نظم من الشعر او نثر من الخطب

انه الفتح الذى يرضي الله عنه في عليائه ويفرح المسلمون به في ارضـــه :

فتــح تفتــح أبواب الســماء له
وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ويتحرك الشاعر بعد ذلك في اطار من البهجة الروحية حيـــث لم يكن هذا النصر الذى احرزه المسلمون سوى انتصار للحـــق على الباطل انتصار للتوحيد على الكفر فيقول :

يا يوم وقعة عمـــورية انصرفت
عنك المنى حفلا معسـولة الحلب
ابقيت جد بنى الاسلام في صــعد
والمشركين ودار الشرك في صبب

ثم مثل عمورية بغادة سافرة الوجه ، رائعة الحسن خطـب ودها العشاق والخطاب فتابت عليهم فلم ترض بكسرى ولا بملك تبع وما تزال من عهد الاسكندر وحتى عصر المعتصم في ميعـة الصبا وقمة الشباب والجمال .. وذلك كناية عن عزتها ومنعتهـا ومنزلتها في نفوس الروم فيقول :

وبرزة الوجه قد اعيت رياضـتها
كسرى وصدت صدودا عن ابي كرب (١)
من عهد اســكندر او قبـل ذلك قد
شابت نواصي الليالى وهي لم تشـب

وعلى الرغم من سخرية أبى تمام من كلام المنجمين تراه هنـا يؤمن بالفأل والنحس حيث يذكر ان النحس الذى حل بأنقره قد اعدا عمورية كالجرب فلحقت بأختها أنقره ـ فيقول :

جرى لها الفـأل نحسـا يوم انقـرة
اذ غودرت وحشـة الساحات والرحب

---

(١) أبو كرب : هو أسعد بن مالك الحميرى اليمانى وكان ملكا من ملوك التبابعة .

لما رأت اختها بالامس قد خـربت
كان الخراب لها اعـدى من الجـرب

وفي هذه الغزوة يلقى الكفر مصرعه على ايدى المسلمين وبسلاحهم الفاتك ٠٠ لقد طال به الامد ، وامتد به العمر واستعصي على الدهر ولكن أجله قد حان على ايدى المعتصم وجنوده الابطال :

لو يعلم الكفـر كم من اعصر كمنـت
له المنية بين السمر والقضب

وهذا الفتح المبين تم بتدبير محكم وتخطيط دقيق وثقة في الله كبـيرة :

تدبير معتصـم ، بالله منتقم
الـه مرتقـب في الله مرتغـب

ويتابع أبو تمام وصفه للمعتصم بالله الذى ارهبت جيوشـه الاعداء ٠٠ قبل ان تصل اليهم ٠٠ فلقد نصره الله بالرعب ٠٠

لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد
الا تقـدمه جيش من الـرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها في جحفـل لجب

ثم يعزف ابو تمام مرة اخرى على قيثارة الاسلام والاعتقـاد الراسخ في نصر الله وتأييده ٠٠ وهل كان هذا الغزو سينجح ويحقـق أهدافه لو لم يكن بنصر من الله وتأييده

رمى بك الله برجيهـــا فهـدمها

ولو رمى بك غــير الله لم تصب

من بعد ما أشبوها واثقــين بهـا

والله مفتاح باب المعقل الأشب

ولما كانت عمورية هي اقوى الحصون فهي بذلك آقــوى مـراكز الشرك ومن اجل ذلك اختار المعتصم غزوها حتى يهـدم الشرك في أقوى حصونه فتنهار بعد ذلك بقية الحصون :

حتى تركت عمود الشرك منقعرا

ولم تعرج على الأوتار والطنـب

وما قيمة الاوتاد والطنب بعد ان انكسر عمود الخيمة ؟

ثم يدعو الله ان يجازي المعتصم خيرا على ما قدم للاســلام والمسلمين لانه ادرك ان الراحة الكبرى لا تدرك الا بالتعب فيقول :

خليفة الله جازى الله سعيك عن

جرثومة الدين والاسلام والحسب

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها

تنال الا على جسر من التعــب

ثم ربط ابو تمام بين انتصار المعتصم في عمورية وبين انتصار المسلمين في بدر فقال :

ان كان بين صروف الدهر من رحم

موصولة أو زمام غـير منقضــب

فبين ايامك اللاتى نصرت بهـا
وبين أيام بدر أقرب النسـب

ثم يدعو على الروم ان يختم الله على وجوههم بالصغار وان يجلو اوجه العرب فيقول :

ابقت بنى الاصفر المصـفر كاسمهم
صفر الوجوه وجلت أوجه العـرب

وتتجلى براعة ابى تمام الفنية في وصفه عمورية وهى تحترق فصورها في لوحة فنية رائعة اختلط فيها ضوء النيران بسحب الدخان المتصاعد حيث يقول :

لقـد تركت – أمـير المؤمنين بهـا
للنار يوما ذليل الصخر والخشـب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يشله وسطها صبح من اللهب
حتى كأن جلابيب الضحى رغبت
عن لونها او كأن الشمس لم تغب
ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضحى شحب
فالشمس طالعة من ذا قد أفلت
والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وواضح استمداده من قانون الاضداد في وصف حريقها ليلا

وهو استمداد تخلق في تضاعيفه هذا الخيال بل الحلم العجيب فهو في الليل البهيم ويتصور كأنه في الصبح المضيء بل هو في الضحى المنير وكأنما خلع الليل ثيابه بل لكأنما رغب عنها بل كأن الشمس لم تغب ولم تغرب بل لقد غربت ولم تلبث ان أشرقت في ربوع عمورية (١)

وفي غمرة هذه الاحداث والمشاهد لم ينس ابو تمام ان يصور مشاعره الخاصة ازاء هذه المدينة التى احترقت وتهدمت وصارت أطلالا خربة ، ان خرابها ليروق في عينيه بل انه يتلذذ بمشهد الكفار وهم يعذبون فاذا نشوة الظفر يجرى رحيقها في نفسه فاذا هو يحس ازاءها احاسيس لذيذة كأحاسيس ذى الرمه عندما كان يتذكر ميـة وقد طاف بديارها فيقول :

ما ربع ميـة معمـورا يطيـف بـه
غيـلان أبهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخـدود وان ادمين من خجـل
أشهى الى ناظـرى من خـدها التـرب
سماجـة غنيت منا العيـون بهـا
عن كل حسـن بدا او منظـر عجب

وفي القصيدة الى جانب ذلك اشارات تاريخية كمحاولة «تيوفيل» ملك الروم الصلح مع المعتصم عندما ادرك أنه لا قبل له بملاقاته عن طريق دفع الجزية ثم اخفاق هذه المحاولة لان المعتصم ما خرج

---

(١) العصر العباسى الأول ص ٢٨٥ د. شوقي ضيف .

لاخذ الجزية او جمع الاموال وانما خرج محتسبا اجره عند الله تعالى
ولم يكن هدفه هو الكسب المادى فيقول :

لما رأى الحرب راى العين « توفلس »
والحرب مشتقة المعنى من الحرب
غدا يصرف بالاموال جريتها
فعزة البحر ذو التيار والعبب
هيهات زعزعت الارض الوقور به
عن غزو محتسب لا غزو مكتسب
لم ينفق الذهب المربى لكثرته
على الحصي وبه فقر الى الذهب

ويتضح من كلام ابى تمام ان « تيوفيسل » قد خاب في مسعاه في بذل المال لايقاف الحرب فولى هاربا وهو اخرس الحجة فقال عنه :

ولى وقد الجم الخطى منطقه
بسكتة تحتها الاحشاء في صخب

وبعد ان ذكر صورة تيوفيل الهارب ذكر عدد القتلى من الروم في هذه الموقعة فقال :

تسعون الفا كآساد الشرى نضجت
جلودهم قبل نضج التين والعنب

ومهما يكن من شيء فقد نجح ابو تمام في تسجيل هذه الموقعة

وتصويرها تصويرا رائعا في أطول قصيدة يكتبها شاعر لتصوير الصراع بين العرب والروم ..

ابو سعيد الثغرى

هو ابو سعيد محمد بن يوسف الثغرى المروزى عامل المعتصم على أرمينية ..

واذا كانت المراجع التاريخية قد ظلمته ولم توليه ما كان يجب من الرعاية والحفاوة فان ابا تمام والبحترى قد سجلا بطولاته النادرة في حرب الروم اصدق تصوير واضفيا عليه من البطولة والشجاعة ما هو جدير بهما ..

ومن هنا يظهر فضل الادب على التاريخ فالادب مرآة صادقة للاحداث التى كثيرا ما يغفل عنها المؤرخون ولقد كان أبو سعيد هذا بطل الثغور دون منازع ومن ثم كان تلقيبه « بالثغرى » ولقد أمضى ايامه منذ ولاه المعتصم على امينية سنة ٢٢٠ هـ الى موته في خلافة المتوكل سنة ٢٣٧ هـ يبنى الحصون ويقاتل الروم (١)

وقد اعجب أبو تمام بهذا البطل وسجل معاركه مع الروم في كثير من قصائده ومن خلالها يتبين ان أبا سعيد كان البطل العظيم في حروب عصره وانه لم يكن كما أشار اليه المؤرخون عاملا من العمال

(١) الحدود الاسلامية البيزنطية ٣ : ٢٨٩ د. فتحى عثمان ط دار الكتاب العربى بالقاهرة .

على الثغور وانما كان سورا انسانيا منيعا حصنت به الخلافة العباسية نفسها من الروم طول سبع عشرة سنة غلب عليه لقب الثغرى وكان لقبه من قبل المروزى (١)

وكان ابو تمام معجبا بأبى سعيد لبطولاته النادرة ، وكفاحه المستمر ضد الروم طوال مدة حكمه وايضا لجودة وكرمه واغداقه على الشعراء بالاموال الطائلة والجوائز السنية .

ومن غزوات ابى سعيد المشهورة والتى سجلها أبو تمام في شعره تلكم الغزوة التى سار فيها أبو سعيد الى بلاد الروم يقود جيشا عرمرما فاجتاز خليج البسفور وحاصر مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ومحاولته فتحها وفرار « سنويل » قائد الروم من وجهة وقد سجل ابو تمام هذه الواقعة في قصيدته التى مطلعها :

لا انت انت ولا الديار ديار

خف الهوى وتولت الاوطار

ومنها :

خبر جلا صدأ القلوب ضياؤه

اذ لاح ان الصدق منه نهار

لولا جلاد أبى سعيد لم يزل

للثغر صدر ما عليه صدار

---

(١) شعر الحرب فى ادب العرب ص ١٩٥ د. زكى المحاسنى .

قدت الجيـــاد كأنهن أجـادل

بقرى « درولية » لهـــا أوكار

حتى التوى من قسطلها على

حيطان قسطنطينية الاعصـــار

ثم يصف النار التى اوقدها ابو سعيد في القرى على مقربة من الخليج فحمل الهواء شررها الى البسفور وعلل رجوعه عن حصـــار القسطنطينية بأن أهلها قد كفاهم ترويعه حصارا وهم الذين تولاهم سلطان صولته فكان لهم بمكانة الموت من النفوس فيقول :

اوقدت من دون الخليج لاهلها

نارا لها خلـف الخليـــج شرار

الا تكن حصرت فقد اضحى لها

من خوف قارعة الحصار حصار

فهناك نار وغى تشب وهاهنـا

جيش له لجب وثم مغـــار

خشعوا لصولتك التىهىعندهم

كالموت يأتى ليس فيـــه عار

ثم مثل كيف سار جيش العرب من درب لرو موكان لجبا تضج منه الارض فيسمع له صوت وكأنه خوار الثـــيران فمضى مبـكرا في النهار ساريا في الليل حتى بلغ حصن « الحمة البيضاء » والخليـــج الذى هو من جسم القسطنطينية بمنزله الشعار على البدن وفرت جيوش الروم امامه ساكنة تختنق انفاسها خوفا من بأسه وسطوته وانتقـــامه :

ولقد فصلت من الدروب اليهم
بعرموم للارض منه خوار
ان يبتكر ترشده أعلاه الصوى
او يسر ليلا فالنجوم منار
« فالحمة البيضاء » ميعادلهم
والقفل ختم والخليج شعار
والمشي همس والنداء اشارة
خوف انتقامك والحديث سرار

ثم يتحدث ابو تمام بعد ذلك عن هروب « منويل » قائد الروم وبكائه على جيشه المهزوم فيقول :

أن لا تنل « منويل » أطراف القنا
او تثن عنه البيض وهى حرار
فلقد تمى ان كل مدينة
جبل أشم وكل حصن غار
ان لا تفر فقد اقمت وقد رأت
عيناك قدر الحرب كيف تفار
لما أتتك فلولهم امددتهم
بسوابق العبرات وهى غزار

وفي قصيدة اخرى لابى تمام يشيد ببطولات ابى سعيد في موقعة من اشرس مواقع ابى سعيد واضراها وهى وقعة « عقرقس » وفي هذه القصيدة يصور ابو تمام أبا سعيد بأنه داهية نزلت على الروم

ويصف جنوده وعليهم الدروع السلوقية وكيف انهم يستعذبون طعم الموت ثم يذكر مواقع الروم وحصونهم التى راح ابو سعيد يفتحها الواحد بعد الآخر ، وما يقع بأهلها من التنكيل على يديه وما يقع له من المغانم حتى وصل الى وادى « عقرقس » حيث كانت المعركة الفاصلة فاستبسل الابطال واستماتوا وصاح المسلمون صيحتهم الكبرى مستعينين بأبى سعيد استعانة الغريق .. يقول ابو تمام :

في كماة يكسون نسج السلوقى
وتعدو بهم كلاب سلوق
يتساقون في الوغى كاس موت
هى موصولة بكأس الرحيق
وطئت هامة النواحى فلما
ان قضت حقها من «القبذوق»(١)
الهمتها السياط حتى اذا أشـ
ـفت باطلاقها على «الناطوق»(٢)
شنها شزبا فلما استباحت
« بالبقلار » كلّ سهب ونيق (٣)
سار مستقدما الى البأس يزجى
وهجا باسقا الى الابسيق (٤)

---

(١) القبذوق : مدينة محصنة من مدن الروم .
(٢) الناطوق : ارض الاناضول .
(٣) البقلار : اسم منطقة من بلاد الروم .
(٤) الابسيق : بلدة رومية ذات حصون .

ثم ألقى على « درولية » البرك
محـــلا بـاليـمن والتوفيـــق (١)
فحوى سوقها وغادر فيهــــا
سوق موت طمت على كل ســوق
فهموا هـاربون بين حـريق الـ
ـسيف صلتا وبين نار الحـــريق
واجدا « بالخليج » ما لم يجد قط
« بما شان » لا ولا « بالزريق » (٢)
وقعة زعزعت مدينة قسطنطين
حتى ارتجت بســـوق فـــروق
كم اســـير من سربهم وقتيـــل
رادع الثـــوب من دم كالخلـوق
يستغيث البطريق جهـلا وهـــل
يطلب الا مبطرق البطريق ؟ (٣)
ثم ناهضت في الفنـــول رجـالا
ورجالا بالضرب والتحـــريق
وبوادى « عقرقس » لم تعـــرد
عن رســيم الى الوغى وعنيق (٤)

---

(١) القى البرك : أى أناخ ابله فى هذه البلدة •
(٢) الخليج : هو خليج البسفور ، وماشـان والزريق : بلدتان من بلاد الروم •
(٣) مبطرق البطريق : هو من جعله بطريقا وهوملك الروم وهوالرأس الذى يطلبة أبو سعيد •
(٤) العنيق : ضرب من سير المطايا كالرسيم •

جار الدين واستغاث بك الإســـ
سلام من ذاك مستغاث الغـــريق

وهكذا يتتبع ابو تمام هذه الغزوة مرحلة بعد اخرى ليجعل ذلك كله في اطار نجدة الدين وتلبية لداعى السلام ثم يبين وقع هـــذه الانتصارات في نفوس المسلمين فيرى أن ما حل بالروم من خــراب ودمار ما هو الا عيد عند المسلمين :

ان أيامك الحســـــان من الر ومإحمر الصبوح حمر الغبوق
معلمات كأنها بالدم المهـــ ـراق يوم للنحر والتشريق

وفي قصيدة اخرى يتفنن أبو تمام في أداء المعانى التى تدل على قهر ملك الروم واذلاله وترويع بلاده حتى شـــبه الردى بعاشق يعشقه فهو أنى هرب فالردى يلاحقه كقوله :

ولما راى « توفيل » رايتك التى
اذا ما استقامت الا يقاومها الصلب
تولى ولم يأل الردى في اتبــاعه
كأن الردى في قصده هائم صب
كان بلاد الروم عمت بصـــيحة
فضمت حشاها اورغا وسطها الشعب

« ومن الاشياء الطريفة والدالة في الوقت نفسه أن شخصية أبى سعيد الثغرى كانت قد صارت معروفة لدى أبناء الشـــعب الورمى

لا بوصفه قائدا من قواد جيوش المسلمين بل بوصـــــفه شخصية أسطورية مهولة كشخصية الغول أو الجنى او ما أشبه مما تحفل به الحكايات الشعبية الخرافية ومن اجل ذلك كانت نساء الروم يخوفن أطفالهن به حتى ينصاعوا لهن ويكفوا عن البكاء والى هذا أشـــــار البحترى في قوله :

فزعـــوا باسمك الصبى فعادت حركات البكاء منه سكونا (١)

وهذا البيت وحده يغنى عن قصائد مطولة في تصوير بطولة أبى سعيد الثغرى وبطشه في ديار الروم وحماية حدود المسلمين ..

ثم يتابع البحترى في القصيدة نفسها وصفه لمعركة «عقرقس» التى وصفها استاذه ابو تمام من قبل فيصور اذلال أبى سعيد لكل الروم ويذكر انهم ليسوا بناجين منه ولو اعتصموا بالنجوم فيقول :

ربما وقعة شملت بها الروم فباتوا اذلة خاضـــعينا
قد أمنا أن يأمنوك على حال ولو صيروا النجوم حصونا

ثم يصف خيول ابى سعيد فيذكر انها خيول عبوســـــة في يوم عبوس وانها تجوس ديار الروم وعليهن الدارعون وقد اهزلهن طول السير واضمرهن السفر فأصبحت خفافا ضامرات كوعول الجبال .. ولكن الوعول لها قرون . وهذه الخيول لا قرون لها الا الرماح الطويلة في ايدى الفرسان فيقول :

(١) فى الشعر العباسى د. عز الدين اسماعيل ص ١٤٩ .

وتوافت خيلاك من أرض

(طرسوس وقلاقيلا باروندونا)

عابسات يحملن يوما عبوسا

لاناس عن خطبه غافلينا

زرن بالدارعين أرض (البقلار)

فاجلوا عن (صاغرى) صاغرينا

قد طواهن طيهن الفيافي

واكتسينا الوجيف حتى عرينا

كوعول الهضاب رحن وما يملكن

الا صم الرماح قرونا

والبحترى كأبى تمام في رؤيته لهذه الحروب وما تحدثه انتصارات المسلمين في نفسه من البهجة والسرور . ان منظر دماء الاعداء يطربه .. وخراب بلادهم ينعشه تماما كما فعل ابو تمام في وصفه خراب عموريه واثرها في نفسه .

وان كلا منهما ينطلق من واقع ايمانه بالله وحبه للاسلام .. فخراب الروم في نظر كل منهما انهزام للكفر .. وارتفاع لكلمة الله ومن هذا المنطق نجد البحترى يطرب لمناظر الدم وهذا يصور لنا المغزى الدينى لهذه الحروب والابيات التالية التى يتحدث فيها البحترى عن ابى سعيد توضح ذلك يقول :

همه في غد بتلفيق هام في قرى (العازرونا، المازرونا)

ولعمرى ما ماء زمزم احلى عنده من دم (بزارمينا)

غير وان في طاعة الله حتى يطمئن الاسلام في (طمينا)

وفي البيت الثاني يبرز بشكل ملموس تأثر البحتري بموقف ابي تمام أزاء مواطن القبح والبشاعة ومواطن الحسن والجمال حيث يفضل الاولى على الثانية ويراها أجمل في نفسه اذ كانت صورة لما حل بالروم الكفرة من خراب وتكير وتفضيل أبي تمام منظر عمورية الخربة على الربع العامر الانيق ما تزال قريبة من اذهاننا والبحتري هنا يرى دم الروم المسفوك بسيوف المسلمين أكثر ارواء التعطش ابي سعيد الروحي لنصرة الاسلام من ماء زمزم لبدنه (١) ٠

وعلى الرغم من البطولة الفائقة التي اظهرها ابو سعيد في حرب الروم ٠٠ فقد عزل من منصبه زمن المتكل على الله وصودرت املاكه ٠٠ وذلك أن حساده قد نقموا عليه من المجد الذي حققه ومن الشهرة التي نالها ٠٠ فوشوا به عند المتوكل متهمين اياه بأخذ أموال الثغور ٠٠ وربما كان مدح أبي تمام والبحتري له من الاسباب التي جعلت المتوكل ينقم عليه ٠ فقد اضيفا عليه من البطولة والشجاعة ما لم يحظ بمثله الخليفة نفسه ولذا فقد خلع وعذب وصودرت أمواله ٠٠ وما كان ينبغي ان تكون هذه نهاية بطل مغوار حمى ثغور المسلمين طوال سبعة عشر عاما فروع الروم ، واقض مضاجعهم ٠٠ وجعلهم يرتجفون من ذكر اسمه ولقد سكت المؤرخون عن تسجيل بطولاته ٠٠ ولم يعطوه من التقدير والاحترام ما هو جدير بهما ولم يتحدثوا عن نكبته الا في كلمات مقتضبة لا تشفي غليل الباحثين ٠٠

وحين سكت التاريخ تكلم الشعر فسجل كل ما يدور حوله من

---

(١) في الشعر العباسي ص ١٤٩ ٠

احداث ولذا يقول البحترى عنه بعد أن عزل وسلم الى أعدائه لينكلوا به ويصادره :

هذا ابن يوسف في يدى أعدائه ... يجزى على الايام بالايام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن ... عنه امية لو رعت بنيام

ثم يتحسر على ما صار اليه امر البطل الذى دوخ بلاد الروم واذل رجالهم فيقول :

صرفوك عن حرب الثغور بقدر ما ... عرفوك يابن محمد بسواكا
والروم تعلم أن سيفك لم يزل ... حتفا لصيد ملوكها وهلاكا
لن يأخذ الحساد مجدك بالمنى ... ان أعطاك الذى أعطاكا

ويبدو انه بعد مصادرته وتعذيبه قد عاد الى أرمينية وفيها اهله وبنيه مؤثرا الا بتعدد عن دار الخلافة حيث الحاشية الفاسدة والقواد الكاشحين فمات بعيدا في أرمينيه حيث لا يزار ولا يلم به انيس في قبر اذا مر به الابطال ذكروا بطولة صاحبه فكسروا فوقه رماحهم وشققوا عليه الرايات ..

وقد استراح الروم من حروبه فناموا ملء جفونهم بعد أن ايقظتهم سيوفه طوال سبعة عشر عاما قضاها واليا على أرمينيه وحارسا لحدود المسلمين فيقول البحترى :

ليهنأ الروم استراحتهم فقد ... هدءوا بأفواه الدروب وناموا
امنوا وما أمنوا الردى حتى انطوى ... في الترب ذاك الكر والاقدام
يا صاحب الجدث المقيم بمنزل ... ما للانيس بحجرتيه مقام
قبر تكسر فوقه سمر القنا ... من لوعة وتشقق الاعلام

وهكذا تنتهى حياة بطل همام ·· واسد من اسود الله وهب نفسه للدفاع عن بلاد المسلمين ·· فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء ··

ويبدو أن المتوكل قد ندم على فتكه بأبى ســـعيد ·· فولى ابنه يوسف خلفا له على أرمينيه ·

وكان بطلا مغوارا كأبيه ، وقد سكتت المراجع التاريخيـــة عن دوره في حرب الروم سواء مع أبيه أو في زمن ولايته ولكن البحترى قد سجل بطولاته كما سجل بطولات ابيه من قبل فيذكر في احدى قصائده أنه توغل في بلاد الروم حتى بلغ « مجمع البحرين » اى خليج البسفور مارا بعدد من مواقع الروم الحصينة فيقول :

اظالمة العينين مظلومة الحشـــا	ضعيفته كفى الخيالَ المورقا
ولا وصل حتى تقضي الحرب أمرها	بمفترق او فضل عمر فملتقي
وما هو الا يوسف بن محمـــــد	واعداؤه والموت غربا ومشرقا
وعارضه المستمطر الجـــود انه	تجهم فوق «اناطلوق» فاطرقا
وأضعف « بالقبازقين » سجاله	وارعد«بالابسيق»شهرا فابرقا
فحــــرق ما بين الدروب اتيه	الى مجمع البحرين حتى تحرقا
وبرد خريف قد لبســنا جـديده	فلم تنصرف حتى نزعناه مخلقا
وبدرين افضـــيناهما بمد ثالث	آكلناه بالايجاف حتى تمحقا

الى ان يقولَ عن يوسف :

حوى كلَّ ما دون الخليج ولم يدع	فؤادا بما دون الخليج معلقا

وفي عهد يوسف هذا اضطرب أمر ارمينية وشغب عليه النصارى بزعامة كبير البطارقة « بقراط بن آشوط » الذى طلب الامارة لنفسه فحاربه يوسف وانتصر عليه وأخذه مكبلا بالاغلال وساقه الى دار الخلافة حيث أسلم بين يدى الخليفة المتوكل هو وابنه ..

والى هذه الواقعة يشير البحترى في قوله :

اذا خرس الابطال في حمس الوغى
علت فوق اصوات الحديد زماجره
ولا عز للاشراك من بعد ما التقت
على السفح من عليا «طرون» عساكره
وما كان بقراط بن آشوط عنده
بأول عبد اسلمته جرائره
وقد شاغب الاسلام خمسين حجة
فلا خوف ناهيه ولا العام زاجره
ولما التقى الجمعان لم تجتمع له
يداه ولم يثبت على الخوف ناظره

ثم وصف البطريق وقد سيق قلبلا بالحديد فقال :

تضمنه ثقل الحديد واحكمت
خلاخله من صوغه واساوره
ولم يبق «بطريق» له مثل جرمه
«بأران» الا عازب اللب طائره(١)

---

(١) لم يكن البطريق عند البيزنطيين رجل دين فحسب بل كان قائدا حربيا كذلك .

كسرتهمو كسر الزجاجة بعده
ومن يجبر الكسر الذى أنت كاسره؟
وقد علم العاصي وان أمعنت به
محلته في الارض أنك زائره
حسام وعزم كالحسام وجحفل
شداد قواه محكمات مرائره

وهكذا استمرت هذه الحروب المتبادلة بين العرب والروم غزوة من هنا تخرب وتقتل وتأسر وتأخذ الغنائم ٠٠ وأخرى من هناك تصنع نفس الصنع ٠٠ ولكن فيما بين الغزوات كانت هناك فترات راحة لإلتقاط الانفاس حيث كانت تتم فيها عمليات تبادل الاسرى بين الطرفين المتحاربين كما كان يقوم نوع من التبادل التجارى بين الدولتين الكبيرتين في فترات الهدنة ٠٠

وكان الشعر دائما هو السجل الخالد لهذه الحروب فكان وثيقة من وثائق العصر ولولاه لما عرفنا الا القليل عن هذا الصراع ٠

وقد ارتبط هذا الصراع بأكبر شعراء العصر العباسي فظهرت آثاره في كثير من اشعارهم ، فلم يكونوا ٠٠ بمعزل عن هذا الصراع الكبير الذى تحشد الدولة له كلما سنحت لها الفرصة واسعفتها الظروف فقد كان صراعا بين أقوى دولتين في الشرق كما كان صراعا بين حضارتين وان اصطبغ بصبغة دينية ٠

الفصل الرابع

١ – الصراع بين العباسيين والعلويين

٢ – التاريخ السياسي للصراع :

يرجع نسب العباسيين والعلويين الى هاشم بن عبد مناف ٠٠ فالعباسيون ينتسبون الى العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبى صلى الله عليه وسلم والعلويون يرجع نسبهم الى على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عم النبى صلى الله عليه وسلم فكلا البيتين وثيق الصلة بالنبوة ٠

ومن ثم لم ينشأ أى خلاف بين البيتين طوال العصر الراشدى والاموى ٠٠ فالعباس بن عبد المطلب كان من المرشحين لعلى بالخلافة بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى ٠٠ وابنه عبد الله بن عباس كان من المؤازرين لعلى رضي الله عنه بعد أن تولى الخلافة وقد انبرى للخوارج بعد أن انشقوا عليه يفند آراءهم ويبطل حججهم ٠٠

ولم يكن يدور بخلد احد من المسلمين في العصر الاموى أن البيت العباسي سوف ينافس العلويين في طلب الخلافة او الاستئثار بها دونهم ذلك لان الصراع كان على اشده في العصر الاموى بين العلويين خاصة وبين بنى أمية ٠

ويشهد تاريخ العلويين صراعا دمويا مع بنى أمية فقد استشهد على بعد صراع طويل مع معاوية واستشهد الحسين في عهد يزيد ابن معاوية ٠

وفي سنة ٦٥ هـ قامت حركة التوابين للأخذ بثأره في خـــلافة عبد الملك بن مروان وخرج زيد بن على بن الحسين يطالب بالخلافة في زمن هشام بن عبد الملك فقتلوه وصلبوه وأحرقوا جثته وقد لقى ابنه يحيى ما لقى أبوه من القتل والصلب والتحريق ٠

أما العباسيون فقد استغلوا قرابتهم للعلويين استغلالا ذكيــا فقد غلفوا دعوتهم بالغموض وراحوا يدعون للرضا من آل محمد دون ان يحددوا اسمه وهذا ما دفع الكثيرين من المسلمين للانضمام للثورة العباسية على اساس ان الامام من أولاد على فلما نجحت الثـــورة واستتب الامر لبنى العباس نقم العلويون عليهم ونافسوهم في طلب الخلافة فكان هذا بداية الصراع بين العلويين والعباسيين : الاولون يدلون بجدهم على بن أبى طالب ابن عم النبى وزوج ابنته فاطمة والآخرون يدلون بجدهم العباس عم النبى صلى الله عليه وســـلم واحتدم القتال بينهم سرا وجهرا ورأى العلويون أن ثار بنى أميــة كانت جنة اذا قيست بنار العباسيين ولذا يقول شاعرهم :

ياليت جور بنى مروان عاد لنا   ياليت عدل بنى العباس في النار (١)

وروى ابو الفرج ان اباعدى العبلى الشاعر الاموى قال في بداية العصر العباسي قصيدة في رثاء بنى امية جاء فيها :

تقـــول أمامـــة لمـا رأت   نشوزى عن المضجع الانفس
وقلة نومى عـــــلى مضجعى   لدى هجمة الاعين النعس
أبى ! ما عراك ؟ فقلت الهموم   منعن أباك فـــلا تلبس

---

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٢٨٢ ٠

وقد قصد هذا الشاعر عبد الله والحسن ابنا الحسين – الامامان العلويان – فاستنشداه هذه القصيدة فأنشدها فلما اتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن فقال له عمه الحسن بن حسن : اتبكى على بنى امية ؟ فقال والله يا عم : لقد كنا نقمنا على بنى أميـــة ما نقمنا فما بنو العباس الا أقل خوفا لله منهم وان الحجة على بنى العباس لاوجب منها عليهم ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم ليست لابى جعفر فأعطوا أبا عدى مالا كثيرا (١) .

ومعنى هذا ان العلويين لم يسعدهم قيام الدولة العباسية ولم يهنأوا بالعيش في ظلالها .. وانما لاقوا من العنت والخسف على يد بنى عمهم أكثر مما لاقوه على يد بنى امية .

ولقد كانت حجة العلويين على بنى أمية هى القرابة لرســـول الله صلى الله عليه وسلم فجاء العباسيون ينازعونهم هـذه القرابة بل وزعموا أنهم أقرب الى رسول الله صلى الله عليــه وسلم منهم لانهم ينتسبون الى العباس عم النبى عليـــه الصلاة والســـلام والعلويون ينتسبون الى على بن ابى طالب ابن عم النبى والعم أقرب من ابن العم في النسب ..

وكان العباسيون يركزون على هذه القرابة في جميع المناسبات فعندما بويع أبو العباس السفاح بالخلافة صـــعد المنبر وقال : الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره

---

(١) الأغانى ١٠ : ١٠٥ .

لنا وأيده بنا وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والقوام به ، والذابين عنه، والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها واهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، وأنشأنا من آبائه، وانبتنا من شجرته ، واشتقنا من نبعته ، جعله من انفسنا عـزيزا عليه ما عنتنا حريصا علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ووضـعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذاك على اهل الاسـلام كتابا يتلى عليه فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا (١) ..

وقال : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى .

وقال : « وانذر عشيرتك الاقربين » وقال : ما افاء الله عـلى رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى » وقال : واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القـربى واليتـامى » .

فاعلمهم جل ثناؤه فضلنا واوجب عليهم حقنا ومودتنا ، واجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا ، وفضلا علينا ، والله ذو الفضل العظيم (٢) .

ولمـا ولى داود بن على الحجاز من قبل السـفاح قام فخطب فقال : « أتزعم الضلال – خطئت أعمالهم – ان غير آل رسـول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتراثه ؟ ولم ؟ وبم معاشر الناس ؟ الكم

(١) تاريخ الطبرى ٩ : ١٢٦ .
(٢) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٤٢٢ .

الفضل بالصحابة دون القـــرابة ؟ الشركاء في النسب ، والورثة للسلب ٠

لم ير مثل العباس بن عبد المطلب ، اجتمعت له الامة بواجب حق الحرمة ابو رســـول الله بعد أبيه وجلدة ما بين عينيــه يوم خيبر لا يرد له امرا ، ولا يعصي له قسما (١) ٠

وناقش المـأمون يوما على بن موسي الرضا فسأله بم تدعـــون هذا الامر ؟ قال : بقرابة علي من النبى صلى الله عليه وسلم وبقرابة فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال المأمون : ان لم يكن هنـاك شيء الا القرابة ففى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من هو أقرب اليه من على ومن هو في القرابة مثله وان كان بقـرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحق بعد فاطمـــة للحسن والحسين وليس لعلى في هذا الامر حق وهما حيان ، واذا كان الامر على ذلك فان عليا قد ابتزهما جميعا وهما حيان واستولى على ما لا يحب له فما احار على بن موسي نطقا (٢) ٠

واذا كان العلويون يدعون ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بشر بدولتهم وان جدهم على بن ابى طالب هو الوصي الذى قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه ٠٠

اقول اذا كان العلويون يدعون ذلك فان العباسيين يزعمون مثل هذه الدعوى فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمه

---

(١) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٤٢٢ ٠
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١٤١ ٠

العباس : انها تكون في ولدك ، وانه حين اتاه بابنه عبد الله أذن في أذنه وتفل في فيه وقال : اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل ثم دفعه الى ابيه وقال له : خذ اليك ابا الاملاك (١) ٠

ومهما يكن من أمر فقد استتب الامر لبنى العباس وتربعوا على عرش الخلافة بعد ان تخلصوا من الامويين وقضوا عليهم قضـــاء مبرما ٠٠ أما العلويون فقد سكتوا على مضض حتى اذا تولى أبو جعفر المنصور الخلافة خرج عليه رجل من البيت العلوى من فـــرع الحسن بن على بن ابى طالب هو محمد بن عبد الله الذى كان يلقب بالنفس الزكية وقد كان يرى نفسه أحق بالخلافة من العباسيين ولذا فقد امتنع عن مبايعة ابى العباس السفاح كما امتنع عن مبايعـــة المنصور من بعده ٠٠

ولما ضاق به المنصور ذرعا طلبه في المدينة ولكنه اختفى فأمر بكل ما كان بالمدينة من ابناء الحسن فحبسا بها ثم حملهم الى العراق وأذاقهم صنوف العذاب فظهر النفس الزكية بالمدينة وأخـــذ لنفسه البيعة من اهلها لانهم كانوا يجلونه ويقدرونه ويرونه افضـــل من المنصـــور ٠

واثر ذلك قامت بين الطرفين مكاتبات غاية في الجـــودة البلاغة وهى تعد من أعلى درجات أدب الحوار ، كما تعد في الوقت نفســـه وثيقة تاريخية على درجة كبيرة من الاهمية والخطورة ٠

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ١٨٨ ٠

كتب المنصور الى النفس الزكية لما علم بخروجه :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عبد الله امير المؤمنين الى محمد بن عبد الله اما بعد: « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا او تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم »(١)

ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن أقدر عليك ان أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وأن اعطيك الف الف درهم وانزلك من البلاد حيث شئت وان أقضي لك ما شئت من الحاجات وأن اطلق من في سجني من أهل بيتك وشيعتك وانصارك ثم لا أتتبع أحدا منكم بمكروه فان شئت أن تتوثق لنفسك فوجه الى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام (٢) .

فأجابه النفس الزكية بكتاب شارحا وجهة نظره وموقفه من الخلافة واحقيته وأهل بيته فيها دون سواهم .. قال :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله محمد المهدى امير المؤمنين الى عبد الله بن محمد أما بعد « طسم : تلك آيات الكتاب المبين نتلو

(١) سورة المائدة ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) الكامل للمبرد ٤ : ١١٤ .

عليك من نبأ موسي وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمه ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»(١).

وأنا اعرض عليك من الامان مثل الذى اعطيتنى وقد تعلم أن الحق حقنا ، وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وخبطتموه (٢) بفضلنا وأن ابانا عليا عليه السلام كان الوصي والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت انه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وانا بنو ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة في الاسلام من بينكم فأنا اوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وابا لم تلدنى العجم ولم تعرق في أمهات الاولاد ، وان الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما وأكثرهم جهادا على بن ابى طالب ومن نسائه أفضلهن : خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى الى القبلة ومن بناته افضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ثم قد علمت أن هاشما

---

(١) سورة القصص من ١ : ٥ .

(٢) خبطتموه : من الخبط وهو ضرب الشجر بعصا ليتناثر ورقه فتطعمه الدواب ، يريد : جاهدا فيه حتى جنوا ثماره .

ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين وان رســـول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل جدى الحسن والحســين. فما زال الله يختار لى حتى اختار لى في النار فولدنى ارفع النــاس درجة في الجنة وأهون اهل النار عذابا فانا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت في بيعتى ان اؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله ؟ وحقا لمسلم او معاهد فقد علمت ما يلزمك في ذلك .. فانا اوفى للعهد منك وأحرى لقبول الامان فأما امانك الــذى عــرضت على فأى الامانات هذه : أمان ابن هبيرة ؟ أم امان عمك عبــد الله ابن لعى ؟ أم امان ابى مسلم ؟ والسلام .

ويتضح من هذا الكتاب ان النفس الزكية يقيم برهانه عــلى الدعائم الآتية :

١ – ان العلويين واتباعهم هم أصحاب الفضل الاول في نجــاح الثورة ، وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا ، وجعلتموه بفضلنا ..

٢ – ان النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصي بالخلافة لعلى وأن أبناءه أحق بميراثه ما داموا احياء .. وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصي والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن احياء ؟

٣ – ان محمد بن عبد الله النفس الزكية ـ أفضل من أبى جعفر المنصور حسبا ونسبا ومحتدا ..

٤ ـ ان ابا جعفر المنصور لا امان له ولا خلاق اذ أنه غـــدر بابن هبيرة والى الامويين على العراق بعد ان كان قد امنــه وقــربه من نفسه كما غدر بعمة عبد الله بن على الذى كان قد طلب الامر لنفسه في الشام وكذلك غدر بأبى مسلم الخراسانى القائد الاعلى لجيوش الثورة العباسية .

وقد رد عليه المنصور بالكتاب التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد ابن عبد الله ..

اما بعد : فقد أتانى كتابك ، وبلغنى كلامك فاذا جـل فخـــرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعصـــبة والاولياء ، ولقد جعل العم ابا وبدأ به على الوالد الادنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه الصلاة والسلام « واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعـــة فأجابه اثنان احدهما أبى وكفر به اثنان أحدهما أبوك ، فأما ما ذكرت من النساء وقرابتهن فلو اعطين على قرب الانساب وحق الاحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ، ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه ، فأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد ام على بن أبى طالب ، وفاطمــة أم الحسن وأن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين محمد صلى الله عليــه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ، ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحـــدة ، واما ما ذكرت من انك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل ابى ذلك فقال « ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله

وخاتم النبيين » ولكنكم بنو ابنته ، لقرابة قريبة غير انها لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ؟ وقد طاب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصما ومرضها سرا ، ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ، ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ٠ ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا اباك فيهم ثم كان في اصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب اباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده ٠٠ وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم في يد شيعته وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير اهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم شيء فقد بعتموه ، فأما قولك ان الله اختار لك في الكفر فجعل اباك أهون أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ولا من عذاب الله هين » ٠

ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وسترد فتعلم « وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » وأما قولك أنك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد وأنك اوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وابا فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك اولا وآخرا واصلا وفضلا كخرت على ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ولده ٠ فانظر ويحك اين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من على بن الحسين وهو لام ولد ٠

ولقد كان أخير من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على

خير من أبيك وجدته ام ولد ثم ابنه جعفر خير منك ولقــد علمت ان جدك عليا حكم حكمين واعطاهما عهد الله وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة (١) فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتاب بغير أو طيه – كالسبى المجلوب – الى الشام ثم خرج منكم غــير واحد فقتلتكم بنو امية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جزوع النخل. ثم خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا اقــدراكم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد ان كانوا يلعنــون أباك في أدبار الصلوات المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله واشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت انا لما ذكرنا من فضل على أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل اولئك مضوا سالمين مسلما منهم وابتلى ابوك بالدماء.

ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا فيها أبوك الى عمر فقضي لنا عمر وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في عمومته احد حي الا العباس فكان وارثه دون بني عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس انه أب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادة والخلفاء فقــد ذهب بفضل القديم والحديث ، ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرها لمــات عمك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتبة وشيبة فاذهب

(١) ابن مرجانة : هو عبيد الله بن زياد.

عنهما العار والشنار ، ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التى اصـــابتهم ، ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد علنـــاكم في الكفر وفديناكم من الاسر وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وادركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا انفسكم والسلام (١) ٠

ونستطيع ان نستخلص من هذا الكتاب الادلة التى اعتمد عليها بنو العباس في أحقيتهم بالخلافة وهى :

أولا : انهم أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأن العم مقدم في الميراث على ابن العم وعلى ابناء البنات ٠٠ والامامة لا تورث من قبل البنات وانما تورث من قبل الاعمام ومن ثم فهم اولى بهـــذا الامر من العلويين ٠

٢ — ان التاريخ السياسي للعلويين أثبت فشـــلهم الذريع في الحصول على الخلافة ٠٠ وذلك أن شيعتهم في كل مرة كانوا ينفضون من حولهم ويسلمونهم الى بنى أمية حيث القتل والصلب والاحراق ٠٠ ولم يصمد امام بنى أمية ويهزموهم في كل ميدان الا العباسيون ومن ثم فهم أولى من العلويين لانهم امهر منهم في شـــئون الســـياسة وقيـــادة الامة ٠

٣ — ان العباسيين انتقموا من بنى أمية الذين نكلوا بالعلويين

(١) الكامل للمبرد جـ ٤ : ١٢١ ٠

وانهم بذلك أصحاب الفضل على العلويين لانهم أخذوا بثأرهم من أعدائهم واعادوا لهم مكانتهم التى اهدرها بنو امية ومن ثم فهم أحق بالامر منهم ٠

وقد انتهى هذا الجدل الى الحرب المسلحة بين الطرفين حيث جهز ابو جعفر جيشا بقيادة عيسي بن موسي ارسله الى المدينة فدهمها وقتل محمد بن عبد الله النفس الزكية ٠ وارسل راسه الى المنصورة سنة ١٤٥ هـ

ثم خرج اخوه ابراهيم بن عبد الله ومضى الى البصرة واظهر امره هناك وكثرت جموعه وانضم اليه كثير من الزيدية والمعتزلة فارسل اليه عيسي بن موسي ايضا فكانت الغلبة لعسكر المنصور كذلك وقتل ابراهيم في قرية قريبة من الكوفة وقتل معه في هذه المعارك كثير من البيت العلوى وقبض على عدد عديد منهم حبسهم المنصور في سراديب على شاطىء الفرات بالقرب من الكوفة لا يصل اليهم ضوء حتى ماتوا » (١)

ويبدو ان وقع هذه الاحداث كان ثقيلا على المنصور فخشي ان تحدث بسببها فتنة بين اشياع بيته من الخراسانيين وغيرهم فاضطر الى أن يجمع جمعا منهم وأن يلقى فيهم خطبة يبرر لهم فيها ما حدث ٠

---

(١) ضحى الاسلام أحمد أمين ص ٣ : ٢٨٩ ٠

فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم صلى على النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم قال :

« يا اهل خراسان : أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا وان اهل بيتى هؤلاء من ولد على بن ابى طالب تركناهم والله الذى لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير فقام فيها على بن ابى طالب فتلتاغ وحكم عليه الحكمان فافترقت عنه الامة واختلفت عليه الكلمة ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه ثم قام من بعده الحسن بن على فوالله ما كان فيها برجل قد عرضت عليه الاموال فقبلها فدس اليه معاوية انى اجعلك ولى عهدى من بعدى فخدعه فانسلخ له مما كان فيه وسلمه اليه فأقبل على النساء بتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غدا فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه • ثم قام من بعده الحسين بن على فخدعه اهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والاغراق في الفتن اهلهذه المدرة السوداء — واشار الى الكوفة — فوالله ما هى بحرب فأحاربها ، ولا سلم فاسالمها فرق الله بينى وبينها فخذلوه ، وأسلموه ، حتى قتل ثم قام من بعده زيد بن على فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما اخرجوه واظهروه اسلموه • ثم وثب علينا بنو أمية فأماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم فنفرنا من البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالشراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وانصارا فأحيا شرفنا واظهر حقنا واصار الينا ميراثنا عن نبينا

صلى الله عليه وسلم فقر الحق مقره واظهر منارة واعز انصـــاره، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا ، وثبـوا علينا ، ظلما ، وحسدا ،منهم لنا ، وبغيا لما فضلنا الله به عليهـم واكرمنا به من خلافته وميراث نبيه — صلى الله عليه وسلم —

جهلا على وجبنا من عـــدوهم
فبئست الخلتان الجبن والجهل

كانى والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الامر ما أتيت بجهالة بلغنى عنهم بعض السقم والتعرم ، وقد دسست لهم رجالا فقلت : قم يا فلان قم يا فلان فخذ معك من المال كذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه فخرجوا حتى اتوهم بالمدينة فدسوا اليهم تلك الاموال فوالله ما بقى منهم شيخ وشاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم بيعة استحللت بها دماءهم واموالهم وحلت لى عند ذلك بنقضهم بيعتى وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج على فلا يرون انى ابيت ذلك على غير يقين ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية : « وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشـــياعهم من قبل انهـم كانوا فى شـــك مريب » (١)

وواضح ان المنصور هنـــا يركز على فشـل العلـــويين فى كل محاولاتهم التى قاموا بها لطلب الخلافة فى العصر الاموى ٠٠ ولـــذا

(١) تاريخ الطبرى ٩ : ١٣٢ ٠

فهم لا يصلحون للحكم لهذا الامر وهنا هو السر في حسد العلويين لهم ونقمتهم عليهم كما ان المنصور يخشى الخراســانيين من جــراء الفظائع التى ارتكبها في حق البيت العلوى ٠٠ فهو يســترضيهم ويبرر امامهم اخطاءه حتى لا يفلت الزمام من يده وبخاصة ان الدولة العباسية كانت ما تزال في بداية عهدها ٠٠

وبهذا الوضع اصبحت حجة العلويين على العبسيين اضــعف من حجتهم على بنى امية لاشتراك الجميع في القربى من رســول الله – صلى الله عليه وسلم – وهى الاساس الذى يبنون عليــه احقيتهم في الخلافة ٠ ولم ينته الصراع العلوى العباسي بقضــاء المنصور على الفرع الحسنى من العلويين في المدينة بل استمر هذا النزاع بين الطائفتين حقبة طويلة من العصر العباسي ٠٠

ففى عهد الهادى خرج العلويون في المدينة بزعامة الحسين بن على بن الحسن والتف حوله العلويون وغيرهم من شــيعتهم ٠ وفي الطريق بين مكة والمدينة التقى بجيش العباسيين عند وادى «فخ» على بعد اميال من مكة وكانت معركة عصيبة قتل فيها الحسين وكثير من أهل بيته وكانت هذه المعركة من الشدة على العلويين بحيث قيل « لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ وقد كثر شــعر الشيعة في رثاء قتلاهم ومن ذلك قول احدهم :

فلأبكين على الحسين بعولة وعلى الحســن
وعلى ابن عاتكـــة الـــذى
واروه ليس بـــذى كفـــــن

تركو بفـــخ غـــدوة
في غــير منـزلة الـوطن
كـانوا كـراما هيجـبوا
لا طـائشين ولا جـبن
غسـلوا المذلة عنهـم
غسـل الثياب من الدرن
هـدى العبـاد بجـدهم
فلهـم على الله المنن (١)

« وقد اتيح لاثنين من العلويين الفرار من مذبحة « فخ » همـا ادريس ابن عبد الله بن الحسن واخوه يحيى .. اما ادريس فقـد فر الى مصر ومنها الى بلاد المغرب الاقصي فالتف حوله البربر وظهر فيهم امره ولم يكن للرشيد – الذى كان قد ولى الخلافة بعد الهادى – طاقة بتوجيه الجيوش اليه في تلك الاصقاع النـائية فدبر له من احتال له ويدس له السم وهكذا مات ادريس غدرا في سنة ١٧٧ﻫ وحين وضعت امه له ولد اسماه اتباعه باسم ابيه وبايعوه وبهذا نشأت دولة الارسة في بلاد المغرب .

اما اخوه يحيى فانه فر الى بلاد الديلم واخذ لنفسه البيعة من اهلها لاقتناعهم بأحقيته بها وظهر امره على نحو ازعج الرشـيد فسير اليه جيشا ضخما بقيادة الفضل بن يحيى البرمكى واستطاع الفضل بدهائه ان يستميل يحيى العلوى الى الصلح وأن يأخذ لـه

(١) تاريخ الاسلام السياسي ٢ : ١٣٩ د. حسن ابراهيم حسن .

عهد امان من الرشيد واستقبله الرشيد بحفاوة واكرم منزله ، ولكنه ما لبث ان حبسه بسعاية من بعض اعداء العلويين » (١)

وفي عهد الامين لم يحدث خروج عليه من العلويين نظرا لانشغاله باللهو والمجون ، ثم تفرغه لامر الحرب التى دارت رحاها بينـــه وبين أخيه المأمون والتى انتهت بوفاته ..

اما المأمون .. الذى آلت اليه الخلافة بعد الامين فقد كان يعطف على العلويين ومن ثم فقد فكر في نقل الخلافة من البيت العباس الى البيت العلوى حتى تستقر اوضاع الدولة ويتعاون الطرفان في مصلحة المسلمين وتقدمهم ..

ولذا فقد رشح من العلويين على بن موسي الرضا ليكون خليفة للمسلمين من بعده بمشورة وزيره الفضل ابن سهل الذى كان يتشيع للعلويين فبايع الناس لعلى بن موسي من بعد المأمون وسمى الرضـا من آل محمد وأمر المأمون الناس بخلع لباس السواد ولبس الخضرة شعار العلويين وكان ذلك في خراسان فلما سمع العباسيون في بغداد بهذا الأمر انكروا ذلك وخلعوا المأمون من الخلافة وبايعوا عمه ابراهيم من المهدى (٢)

ولكن شاءت الاقدار ان يموت على الرضا قبل المأمون فعــادت الامور سيرتها الاولى ..

---

(١) فى الشعر العباسى ٥٠ د. عز الدين اسماعيل .
(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ٢٦٠ .

هذا وقد ظل المأمون يعطف على العلويين حتى بعد وفاة علي الرضا وكان مما أوصي به المعتصم قوله : وهؤلاء بنو عمك امير المؤمنين علي بن أبي طالب فأحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم واقبل من محسنهم وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محاها فان حقوقهم تجب من وجوه شتى (١)

وهناك اسباب دعت المأمون — دون غيره — الى العطف على العلويين والحدب عليهم منها :

١ — انه كان معتزليا على مذهب معتزلة بغداد وهم يرون ان عليا اولى الصحابة بالخلافة من أبي بكر وعمر وسائر الصحابة وذريته من بعده احق من غيرهم ٠

٢ — انه كان تحت تأثير الفضل بن سهل والحسن بن سهل وهما فارسيان — والفرس يجرى في عروقهم التشيع — فمازالا بالمأمون حتى اوصي بها لاحد العلويين ٠

٣ — انه استعرض الفتن التي قامت من عهد علي الى يومه فرآها فتنا مضعفة للدولة مفرقة للكلمة فرأى أن يفتح السبيل أمام البيتين العلوى والعباسي ليتولى الخلافة أفضلهما ٠

٤ — انه راى ان عدم تولي العلويين للخلافة يكسب ائمتهم شيئاً من التقديس فاذا ولوا الحكم ظهروا للناس وبان خطؤهم وصوابهم فزال عنهم هذا التقديس (٢) ٠

(١) تاريخ الطبري ١٠ ، ٢٩٥ ٠
(٢) انظر ضحى الاسلام ٣ : ٢٩٥ ٠

ومهما يكن من شيء فلم يعرف أحد من بني العباس قد عطف على العلويين وعاملهم مثل معاملة المأمون .. وما انتهى عصر المأمون حتى عاد الصراع على أشده بين الطرفين من جديد ففي عهد المعتصم خرج محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين في خراسان فبعث المعتصم اليه جيشا بقيادة عبد الله ابن طاهر فانتصر عليه وقبض على محمد بن القاسم وبعث به الى المعتصم فأودع السجن ثم هرب ولم يعرف له خبر ..

أما المتوكل فقد كان من اشد الكارهين للشيعة العلوية وكان الاتراك قد بلغوا في عهده مرحلة متقدمة من النفوذ والسلطان والاستبداد بأمر الدولة فاتفقت ميولهم مع ميول المتوكل في القضاء على الشيعة ولذا فقد ولى المتوكل القضاء لرجل سني شافعي هو يحيى بن اكثم وقد بالغ يحيى هذا في التنكيل بالشيعة والقضاء على مقدساتهم حيث هدم قبر الحسين في كربلاء ومنع الناس من اتيانه (١)

وفي عهد المستعين خرج من العلويين من الفرع الزيدي يحيى بن عمر في الكوفة وما حولها ودعا للرضا من آل محمد واشتد أمره فارسل اليه محمد بن عبد الله بن طاهر جيشا بقيادة الحسين بن ابراهيم بن مصعب فتمكن من القضاء عليه وقتله . وفي الوقت نفسه خرج الحسن ابن زيد — من أبناء الحسن بن علي — ليقود ثورة كانت قد قامت في أرض طبرستان ضد محمد بن عبد الله بن طاهر فبايعه الناس كما

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ٢ : ٥٢ بروكلمان ترجمة أمين فارس .

بايعه رؤساء الديلم وزحف الحسن بمن معه فاستولى على مدينة آمل عاصمة طبرستان وقوى شأنه فتقدم الى مدينة سارية ثم بعث بجيش الى مدينة الرى فاستولى عليها وطرد منها عمال بنى طاهر واستقرت الاهوال بالحسن في منطقة طبرستان فأنشأ هناك دولة عرفت باسم الدولة الزيدية ٠ وتداول الحكم فيها الحسن بن زيد ثم محمد بن زيد القائم بالحق ثم الحسن الاطروش بن على بن عمر بن زين العابدين واخيرا الحسن بن القاسم بن على بن عبد الرحمن ومعه اولاد الاطروش فكانوا يتنازعون حتى قضي النزاع على دولتهم (١)

وهكذا استمر النزاع بين البيتين العباسي والعلوى منذ قيام الدولة العباسية كل يريد الخلافة لنفسه وكل له وجهة نظره التى تؤكد حقه مما اضعف الدولة وقسمها الى شيع واحزاب ٠٠ وكان العلويون مصممون على طلب الخلافة وكان العباسيون في منتهى القسوة عليهم ويكفى ان تقرأ كتاب « مقاتل الطالبيين » لأبى الفرج الأصفهانى لتدرك الى أى حد وصل الصراع بين البيتين ولتعلم عدد القتلى من العلويين الخارجين على العباسيين ٠٠

واذا كان هذا الصراع قد شتت الامة ، واضعف كيانها فانه كان خيرا وبركة على الادب العباسي ٠

---

(١) فى الشعر العباسى ص ٥٢ ٠

فالصراع يغذي الادب وينعشه .. ولقد خلف لنا الفـريقان ادبا قويا غزيرا مازال نابضا بالحياة والحيوية حتى الان وكان كل فريق يدلي بحجته وحاول ان يفرض رايه على الاخرين وكان الادب سلاحهم القوى .. ووسيلتهم في اقناع الجماهير ..

ب ـ ادب الصراع بين العلويين والعباسيين

اتسم ادب الشيعة بالحزن على ما اصاب ائمتهم من نكبــات على يد بني امية وبني العباس فمن حين لحين كانت تحدث مجزرة يروح ضــحيتها العــديد من العلـويين ولا يكــاد يجف دم حتى يسيل دم جديد .. وتفنن كل من الامويين والعبـاسيين في تعـذيب العلويين والتنكيل بهم وكل هذا ونحوه جدير بأن يقطع القلــوب ويمزق الافئدة ويسيل العيون بالدموع من أجل هذا الدم الطـــاهر المهــــراق ..

لقد بدات هذه الاحداث الجسام بمقتل الحسين عليه الســلام وكثير من اهل بيته في كربلاء فكانت القصــائد الباكية والخطــب الحزينة والاقوال الدامية صدى لهذه الدماء المســفوحة ، والجثث المطروحة وكانت ذكراها تبعث في كل حين حزنا ويبعث الحـزن أدبا وتتابعت الاحداث فتتابع الادب وكان ادبا حيا غزيرا باكيا حزينا ..

ولما جاء العصر العباسي وسلب العلــويون حقهم من ابنــاء عمومتهم .. اتسم ادبهم بطابع اخر بالاضافة الى طابع الحزن على مآسيهم .. الا وهو طابع الجدل والحجاج ذلك ان العباسيين قــدا

شاركوهم في قرابة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل انهم زعموا انهم أحق بميراث الرسول منهم ٠٠ ولذا فقد كان كل طرف منهما حريصا على ان يظهر حجته على الاخر ٠٠ ويؤكد شرعيته ويقنع جماهير المسلمين بذلك ٠٠ وقد انعكس ذلك على الأدب شعرا ونثرا ٠

« واذا كان الجدل الكلامى الذى دار بين محمد بن عبد الله النفس الزكية وابى جعفر المنصور قد رسم الخطوط الرئيسية لمنهج كلا الحزبين الشيعى والعباسي فان هذا الجدل قد استمر بعد ذلك على المستوى الفقهى فكان الصراع بين فقهاء الشيعة وفقهاء السنة كما انعكست اصداؤه على المستوى الادبى فظهر الشعر السياسي المعبر عن وجهة نظر العباسيين ووجهة نظر معارضيهم من الشيعة ويشغل هذا الشعر قدرا غير يسير من أدب ذلك العصر كان له فعله وتأثيره وخطره لدى الفريقين المتصارعين ولدى جمهور الناس حيث كان الشعر ما يزال في ذلك العصر ـ كما كان في العصر الاموى – يقوم بدور الصحافة الحزبية السياسية (١)

وسأتكلم هنا أولا عن شعراء الحزب العباسي الذين يتعصبون له ويدافعون عن حقه ويقيمون الحجة على خصومهم من العلويين وغيرهم ٠٠ ومعظم هؤلاء كانوا ينحازون للبيت العباسي رهبة منهم او رغبة ٠ ومن أشهر هؤلاء الشعراء ٠٠

---

(١) فى الشعر العباسى الرؤية والفن ص ٥٣ د٠ عز الدين اسماعيل ٠

١ – مروان بن ابى حفصة

أ – مولده ونشأته :

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن ابى حفصه وكنيته أبو الهندام ولقبه ذو الكمر .. كان جده الذى يكنى ابا حفصه من موالى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وأصله من سبى اصطخر .

ولد مروان باليمامة سنة خمس ومائة للهجرة .. وهو من أسرة عريقة في قرض الشعر توارث ابناؤها نظمه كابرا عن كابر ..

وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الدولة الاموية والدولة العباسية واخباره في العصر الاموى قليلة بل تكاد تكون نادرة أما أخباره في العصر العباسي فكثيرة .. وهى تدل على انه لم يقصد ابا العباس السفاح ولم يمدحه ولا أبا جعفر المنصور ..

ولما بويع المهدى سنة ١٥٨ هـ وفد عليه وامتدحه ولم يزل يقصده ويمدحه ويحظى بهباته الزاخرة وجوائزه السنية ، وصلاته الغامرة حتى توفي فتحول الى مديح الهادى ونال جوائزه ثم انقطع الى الرشيد بعد الهادى وكان مقربا من العباسيين اثيرا الى قلوبهم ، مستوليا على فئدتهم بسبب دفاعه عنهم واحتياجه لهم حتى كان رسمهم ان يعطوه بكل بيت يمدحهم به الف درهم .

وعلى الرغم من الاموال الطائلة التى جمعها من خلفاء بنى العباس فقد كان بخيلا شحيحا ضرب ببخله الامثال ، ورويت عنه

الحكايات بل لقد عده ابو عبيده معمر بن المثنى من البخلاء اللئام (١)

ولشدة تعصبه للعباسيين ، ولطول انقطاعه اليهم وانتصاره لهم وتعريضه بالعلويين وسلبه لحقوقهم في الخـــلافة غاظ ذلك العلويين وأحنقتهم عليه مما حمل بعض الشـــيعة المتطرفين على اغتياله سنة اثنتين وثمانين ومائة • على خلاف في ذلك (٢)

ويمتاز مديحه لبنى العباس عن غيره من الشعراء المداحين بأنه لم يكن يكتف فيه بالمعانى المتوارثة والمتداولة بين الشـــعراء من عراقه الاصل وسداد الرأي والكرم والجود والعدل والســـهر على مصالح الرعية وانما تحـــول به الى ما يشـــبه الدفاع السياسي عن العباسيين والدعوة لاحقيتهم في خلافة المسلمين وابطال حق اعـدائهم من العلويين الذين يشتركون معهم في قرابة الرسول ـ صـــلى الله عليه وسلم ـ ونقض ما كانوا يعتمدون عليه من الادلة والبراهين وقد مضي يكرر معنى واحدا مستمدا من القرآن الكريم ، وهو ان العـــم اولى من البنت في الوراثة مما أرضي خلفاء بنى العباس واســـتولى على قلوبهم ومما جعلهم يجرون عليه من الاموال ما لا يعد كثرة على نحو ما يتضح في قوله للمهدى :

هل تطمسون من السماء نجومها
بأكفكم أم تسترون هلالهـــا

---

(١) العقد الفريد ٦ : ١٧٧ •

(٢) انظر ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة وطبقات ابن المعتز ، والأغاني للاصفهاني والموشح للمرزباني ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٢٧٦ وغيرها •

أم تجحدون مقـــالة عن ربكـم
جبريل بلغها النبى فقـــالها
شهدت من الأنفـــال آخـر آية
بتراثهم فأردتم ابطـــالها (١)

فهو يحتج على العلويين ، مبطلا لحقهم في الخلافة ومدللا على ذلك بآخر آية من سورة الانفال وهى قوله تعالى « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم »

يشير بذلك الى حق العباسيين في وراثة الخلافة وانهم مقدمون في هذا الحق على ابناء بنت الرسول – صلى الله عليه وسلم – فاطمة الزهراء اذ العم مقدم على الاسباط في الوراثة على نحو ما هو معروف في الشريعة الاسلامية وعلى هذا النحو اخذ يردد هذا المعنى في المدحة بعد المدحة مشيرا في كل مرة الى حق العباسيين في وراثة الخلافة دون غيرهم من بنى هاشم كقوله مخاطبا المهدى أيضا :

يا ابن الذى ورث النبى محمـدا
دون الأقارب من ذوى الارحــام
الوحى بين بنى البنات وبينكم
قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجـــال فريضـــة
نزلت بذلك ســـــورة الانعـــام

---

(١) شعر مروان بن أبى حفصة ص ٩٩ تحقيق د. حسين عطوان .

انى يكـون وليس ذاك بكـائن
لبنى البنات وراثة الاعمـام
ألغى سهامهم الكتاب فحاولوا
أن يشرعوا فيهـا بغـير سهام
ظفرت بنو ساقى الحجيج بحقهم
وغـررتم بتـوهم الاحـلام
خلوا الطريق لمعشر عـاداتهم
حطم المنـاكب كل يوم زحـام
وارضوا بما قسم الاله لكم به
ودعوا وراثة كل أصيد حام (١)

ولقد بلغ من فرط اعجاب المهدى بالقصيدة ان زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال كم عـدد ابياتها ؟ فقال مروان مائة فأمر له بمائة ألف درهم فكانت اول مائة الف درهم اعطيها شاعر في أيام بنى العباس (٢)

والحق ان مروان قد دافع عن العباسيين دفاعا مجيدا في هـذه القصيدة فقد ذكر ان القرآن الكريم يؤكد هذا الحق لان العم في قانون المواريث يحجب ابناء البنت ثم ينتقل من هـذا الى تثبيـط همم العلويين ويعود مرة أخرى الى القضية نفسها فينكر أن يكـون لبنى البنات حق في حجب الاعمام عن الوراثة ٠٠ وان العلويين بعد ان

(١) شعر مروان بن أبى حفصة ص ١٠٤ ٠
(٢) الأغانى ٩ : ٤٢ ٠

ووجهوا بهذه الادلة القوية اسقط في أيديهم فأصبحوا في المعركة بغير سـلاح .

ثم يشير الي عنصر من عناصر المفاخرة بين الطرفين وهو ان العباس ابن عبد المطلب جد العباسيين قد نال شرف سقاية الحجيج في الجاهلية والاسلام .

ثم يؤكد في نهاية الابيات ان العباسيين قوم أقوياء لا يستطيع احد ان ينافسهم أو يقف في طريقهم .. او يطاولهم في شـرف أو مجد وفي النهاية ينصح العلويين بأن يقنعوا بما كتبـه الله عليهم ولا يتطلعوا الى ما ليس من حقهم ويتركوا ذلك لمن هم أهل لكل مجد وشرف وهم العباسيون ..

ويقال انه كان أشد ما أزعج العلويين في هذا الشعر بيته الـذى يقول فيـه :

أنى يكـون وليس ذاك بكـائن
لبنى البنات وراثة الأعمـام

ولذا فقد رد عليهم شاعرهم جعفر بن عفان الطائى بقوله :

لم لا يكون ـ وان ذلك لكائن ـ
لبنى البنـات وراثة الاعمـام
للبنت نصـف كامل من ماله
والعم متروك بغـير سـهام

ما للطليـــق وللتراث وانمــــا
صلى الطليق مخافة الصمصام (١)

حجة بحجة وبرهان ينقض برهان العباسيين .. فقـد فرض القرآن الكريم للبنت النصف ولم يجعل للعم أي سهم مفروض ..

والطليق المذكور : المقصود به العباس بن عبـد المطلب جـد العباسيين الذي حارب مع المشركين يوم بدر واخذ اسيرا لدى المسلمين فافتدى نفسه وأطلقه النبي – صلى الله عليه وسلم – ولذا فقد اطلق عليه ذلك ثم يذكر جعفر الطائي أن العباس ليس له ان يتحدث عن ميراث النبي – صلى الله عليه وسلم – لانه أسلم كرها مخافة السيف ومن ثم فلا حق لاولاده في طلب الخلافة ..

ولقد كانت ابيات مروان السابقة كذلك سببا في اغتياله فقـد روى صاحب الاغاني ، ان صالح بن عطية – احد الشيعة – لما سمع منه هذا البيت عاهد الله ان يقتاله فلم يزل يلاطفه الى ان أنسي به ثم مرض مروان بالحمى فخلا البيت به وبصالح فوثب عليه صالح حتى آخذ بحلقة فما فارقه حتى مات (٢)

وكما انقطع مروان الى العباسيين أيام المهدي فعل ذلك ايام موسى الهادي وهارون الرشيد ابني المهدي .. وله فيهما شعر كثير يدل على حبهما والانقطاع اليهما والدعوة الى حقهما في الخـلافة يقـول فيهما :

---

(١) في الشعر العباسي ص ٥٤ .
(٢) الأغاني ٩ : ٤٨ .

موسي وهـارون همــا اللــذان
في كتــب الاخبـــار يوجـدان
من ولـد المهــدى مهـــديان
قدا عنانين على عنــــان (١)
قد أطلـق المهـدى لى لسـانى
وشـــــد ازرى ما بلّ حبـــانى
من اللجـــين ومن العقيـــان
عيـدية شـــاحطة الاثمانّ (٢)

وواضح من هذه الابيات ان مروان كان يمدح العباسيين من أجل النوال .. فالمال هو الذى يحرك لسانه .. ويفجر ينابيع شعره .. ويدفعه الى الجوده والاتقان .. ولم يكن كشعراء الشــيعة يحبهم لذواتهم ، او ايمانا بحقهم في الخلافة على نحو ما سنشاهد عنــــد دراستنا لشعراء الشيعة العلوية ..

وربما كان خلفاء بنى العباس يعرفون ذلك عنه فكانوا يغدقون له في العطاء ليحملوه على الاجادة ، وكانوا يبالغون في نواله .. حتى ليروى أنه حين انشد الرشيد قصيدته الرائية التى يقول فيها :

أمور بميراث النبى وليتهـــــا
فأنت لها بالحـــزم طاو وناشر

(١) العنان السير : يريد أنهما يشبهان المهدى .
(٢) اللجين : الفضة ، والعقيان : الذهب .
والعيدية ضرب من نجائب الابل ، شحط فلان فى السوم : بلغ أقصى الثمن .

ابوك ولى المصطفى دون هاشم
وان رغمت من حاسديك المناخر (١)

اعطاه خمسة آلاف دينار فقبضها بين يديه وكساه خلعة ، وأمر له بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برذون من خاص مراكبه (٢).

والحق ان مروان بن ابى حفصه كان من أبرز شعراء الحزب العباسي ومن اكثرهم انقطاعا للعباسيين يدافع عن مذهبهم ويؤكد حقوقهم ويهجو اعداءهم .. وظل كذلك حتى دفع حياته في النهاية ثمنا لهذا الاتجاه .

٢ ـ منصور النميرى

ومن شعراء الدعوة العباسية كذلك الشاعر منصور النميرى وهو عربى من ابناء النمر بن قاسط نشأ في الجزيرة بين النهرين وكان تلميذا للشاعر كلثوم بن عمرو العتابى عنه اخذ ومن بحره استقى .. قدمه القبانى الى البرامكة فمدحهم ثم وصلوه بالرشيد . وكان النميرى ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسره ان يمدح بنفى الامامة عن العلويين والطعن عليهم لما كان يراه من تقديم مروان بن ابى حفصه بسبب ذلك ، فسلك مذهبه ونحا نحوه ونال منزلة عند الرشيد تقارب منزلة مروان عند العباسيين .. (٣)

(١) شعر مروان بن أبى حفصة ص ١١ .
(٢) تاريخ الطبرى ١١ : ٧٤٣ .
(٣) راجع ترجمة منصور النميرى فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٤٦ وتاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٧٤ .

وله قصيده رائيه يمدح فيها الرشيد ويدافع عن حقه في الخلافة ويبطل دعوى العلويين في طلب الخلافة : يقول في مطلعها مخاطبا الرشيد :

آمير المؤمنين اليك خضنا
غمار الهول من بلد شطير
بخوص كالاهلة خافقات
تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالا ثقالا
ومثل الصخر والدر النثير
فقد وقف المديح بمنتهاه
وغايته وصار الى المصير

ثم توجه الى العلويين يجادلهم ويبطل دعواهم ويفضل العباسيين عليهم حيث يقول :

فان شكروا فقد أنعمت فيهم
والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق
وردوا ما يناسب للذكور
وما لبنى بنات من تراث
مع الأعمام في ورق الزبور (١)

(١) تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان ٢ : ٨٩ .

ويقول من قصيدة اخرى مخاطبا الرشيد وحاملا فيها على بنى تيم رهط أبى بكر الصديق رضي الله تعالىعنه وبنى عدى رهط عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعلى بنى أمية وعلى العلويين·· ومدعيا ان بنى العباس هم وحدهم الاحق بميراث النبى – صلى الله عليه وسلم – دون سواهم حيث يقول ··

يابن الائمة منبعد النبى ويا ابـ
ن الاوصـيـاء أقر الناس او رفعوا
ان الخلافة كانت ارث والـدكم
من دون تيـم وعفو الله متسـع
لولا عـدى وتيم لم تكن وصـلت
الى اميـة تمريهـا وترتضـع
ومـا لآل عـلى في امـارتكم
وما لهم – ابدا – في ارثكم طمـع
يا ايها الناس لا تعزب حلومكم
ولا تضفكم الى اكنافها البـدع
العم أولى من ابن العم فاستمعوا
قول النصيحة ان الحق مستمع(١)

فهو يؤكد حق العباسيين في ميراث النبى – صـلى الله عليـه وسلم – دون سواهم ·· ويلقى باللائمة على ابى بكر وعمر فلولاهما لمـا وصلت الخلافة الى بنى امية كما أن العلويين لا حق لهم في هذا

---

(١) في الشعر العباسي ص ٥٥ ·

الميراث ·· فهم ادنى منزله من العباسيين فهم ينتسبون الى على ابن ابى طالب ابن عم النبى – صلى الله عليه وسلم – والعباسيون ينتسبون الى العباس بن عبد المطلب عم النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو اولى من ابن العم وهو على بن ابى طالب ·

وهناك شاعر علوى النزعة استطاع العباسيون بنفسوذهم واموالهم ان يصرفوه عن الشيعة وان يصيروه اليهم ·· وهو

٣ – ابان بن عبد الحميد اللاحقى

وهو من الشعراء الموالى اتصل بالبرامكة ونظم لهم كتاب كليلة ودمنه شعرا حيث يقول في مطلع الترجمة الشعرية :

هـذا كتـاب ادب ومحنـة
و هو الذي يدعى كليلة ودمنة
فيه اختيالات وفيـه رشـد
وهو كتاب وضـعته الهنـد

فأعطاه يحيى بن خالد البرمكى عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ·· وارتقى ابان في أيام البرامكة حتى اسند اليه يحيى بن خالد امتحان الشـعراء وترتيبهم في الجـوائز فامتحنهم ورتبهـم ··

واغتنم ابان فرصة قربه من البرامكة وطلب منهم ان يتوسطوا له عند الرشيد حتى ينال المنزلة التى نالها مروان بن ابى حفصة في بلاطهم فلم يفعلوا ولما عاتبهم في ذلك قالوا له : ان مروان كان

يتقرب اليهم بهجاء آل ابى طالب فهل تفعل ؟ قال : لا استحل ذلك
فقالوا : فماذا تصنع ؟ لا تأتى الدنيا الا بما لا يحل !! ثم غلب عليه
التماس الرزق فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلما
أعم بما قد قالته العجب والعرب
أعم رسول الله أقرب زلفة
لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وايهما اولى به وبعهده
ومن ناله حق التراث بما وجب
فان كان عباس احق بتلكم
وكان على بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس هموا يرثونه
كما العم لابن العم في الارث قدحجب

فقدموها الى الرشيد فأجازه عليها واتصل به منذ ذلك الحين (١)

ثانيا : شعراء العلويين

١ – السيد الحميرى

وهناك شاعر اخر متلون استطاع بطريقة ماكرة ان يجمع بين
ميوله العلويه وبين مدحه للعباسيين مستخدما مبدأ التقية التى كانت

---

(١) انظر أخبار ابان فى الأغانى ٢٠ : ١٦٣ وطبقات ابن المعتز ص ٢٤١،
والأوراق للصولى • وحديث الأربعاء لطه حسين ودائرة المعارف الاسلامية ج ١

الشيعة تؤمن به وهو السيد الحميرى وهو شـــاعر مخضرم عاش في الدولتين الاموية والعباسية من ١٠٥ هـ حتى سنة ١٧٣ هـ وهو شاعر مجيد مكثر ويقال انه نظم ثلاثمائة والفين من القصائد الشـــعرية ولكن معظمها ضاع ولم يصلنا منها الا القليل نظرا لانه كان ســـليط اللسان مقذع الهجاء « فكان يفرط في سب اصحاب رســـول الله — صلى الله عليه وسلم — وازواجه ويستعمل شعره في قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره وهجره النـاس تخـــوفا وترقبا وله طراز من الشعر ، ومذهب قلما يلحـــق به أو يقـــاربه ولا يعرف له من الشعر كثير وليس يخلو من مدح بنى هاشم او ذم غيرهم ممن هو عنده ضدهم (١)

ومن شعره في مدح بنى العباس قوله :

دونكمو ها يا بنى هاشـــــم
فجددوا من عهدها الدارســـا
لو خير المنـــبر فرســـــانه
ما اختار الا منكم فارســـــا
قد ســـــاسها قبلكم ســـاسة
لم يتـــركوا رطبـــا ولا يابســـا
ولست من ان تملكـــــوها الى
مهبط عيسى فيـــكم آيســـا

---

(١) الأغاني ٧ : ٣ .
(٢) تاريخ آدا ب اللغة ٢ : ٦٧ .

فهو يبشر بأن الخلافة ستظل في بنى هاشم الى نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان •• ومعروف ان العلويين من بنى هاشم كذلك كالعباسيين فكأنه يمدح الفريقين في وقت واحد ••

ومن قوله يمدح المهدى ويحرضه على بنى عدى رهط عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعلى بنى تيم بن مرة رهط ابى بكر رضي الله تعالى عنه قوله :

قل لابن عباس سمى محمد
لا تعطين بنى عدى درهما
احرم بنى تيم بن مرة انهم
شر البرية آخرا ومقدما
ان تعطهم لا يشكروا لك نعمة
ويكافئوك بأن تذم وتشتما
ولئن منعتهم لقد بدأوكم
بالمنع اذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تراث محمد أعمامه
وابنيه وابنته عديلة مريما

وعلى الرغم من مدحه لبنى العباس •• واخلاصه الظاهر لهم •• فقد كان علويا متطرفا •• « قال القصائد الطويلة في فضائل على حتى وقف يوما بالكوفة فقال : من اتانى بفضيلة لعلى بن ابى طالب ما قلت فيها شعرا فله دينار » (١) •

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٣٠٨ •

ومن شعره في الامـــام على قوله :

أقســـم بالـلــه وآلائه
والمرء عما قال مسئول
ان على بن أبى طـــالب
على التقى والبر مجبول

ومن شعره المفعم بحرارة العاطفة قوله في رثاء الحسين رضي الله تعالى عنه :

أمرر على جـــدث الحسي
ن فقل لاعظمه الزكيـــة
آ اعظـــما ما زلت مـــن
وطفـــاء ساكبة روية
واذا مـــررت بقبـــره
فأطـــل به وقف المطيـــة
وابـــك المطهـــر للمطه
ر والمطهـــرة التقيـــة

« وتقول الشيعة ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يشأ آن يوصي من بعده خشية ان يقع الخلاف بين الناس الى ان نزل قوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعـــل فما بلغت رسالته .. فقالوا ان المراد بما انزل اليك خلافه على (١) ولذا فقد أوصي النبى صلى الله عليه وسلم بالخلافة لعلى بن أبى طالب يوم « غدير خم » اذ أخذ بيـــده وقال : « من كنت مولاه فعلى

---

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٢٤٨ .

مولاه » وبهذا يزعمون ان الوصية قد تمت لعلى وان الامامة فيه وفي اولاده من بعده .. وحول هذه الافكار يدور قول السيد الحميرى :

عجبت من قوم أتوا احمدا
بخطة ليس لها موضع
قالوا له لو شئت اعلمتنا
الى من الغاية والمصرع
اذا توفيت وفارقتنا
وفيهم في الملك من يطمع
فقالوا : لو أعلمتكم مفزعا
كنتم عسيتم فيه ان تصنعوا
كصنع اهل العجل اذ فارقوا
هارون فالترك له أروع
ثم أتته بعده عزمه
من ربه ليس لها مدفع
ابلغ والا لم تكن مبلغا
والله منهم عاصم يمنع
فعندها قام النبى الذى
كان بما يؤمره يصدع
يخطب مأمورا وفي كفه
كف على نورها يلمع
رافعها اكرم بكف الذى
يرفع والكف التى ترفع

من كنت مولاه فهـــذا لـــه
مولى فلم يرضوا ولم يقنعـوا
وظـــل قـــوم غاظهـم قـــوله
كأنمـــا آنا فهـــم تجـــدع
حتى اذا واروه في لحـــده
وانصرفوا عن دفنـه ضـيعوا
مـــا قال بالامس واوصي بـه
واشـــتروا الضر بمـــا ينفع
وقطعـوا أرحـــامهم بعـــده
فسوف يجزون بما قطعوا (١)

وهكذا نجد السيد الحميري شيعيا مغاليا في تشيعه ولكنـــه كان أحيانا يتخذ التقيه في مداراة بنى العباس حتى يسلم من اذاهم وينجو من عقابهم فكان يمدحهم حتى يسكتهم ويرضيهم ولكنه لم يتنكر أبدا لعقيدته الشيعية التى يؤمن بها الى حد الغلو ٠٠ حتى انه كان يسب الصحابة من أجلهم ومن اجل ذلك ضاع شعره لأن المســـلمين تحرجوا من روايته ٠٠

(١) ضحى الإسلام ٣ : ٣١٠ .

دعبل بن علي الخزاعي

اما الشاعر الذى وقف موقف المعارضة الصريحة لبنى العباس، فلم يكتف بالتفجع لما اصاب العلويين من مصائب ونكبات ولم يقنع بتأكيد حقهم في خلافة المسلمين بل هجا العباسيين هجاء مقذعا فهو دعبل بن على الخزاعى ..

ولذا ينبغى ان نقف عنده وقفة .. قبل أن نتعرض لميوله السياسية واتجاهاته الحزبية .. لنعرف شيئا عن نشأته واسرته وموطنه واخلاقه حتى نعرف اى نوع من الرجال ذلكم الشاعر المقدام .. فالمعروف ان الناس وبالاخص الشعراء في ذلك العصر كانوا يداهنون الحكام ويتقربون اليهم رهبة ورغبة وكانوا يسعون الى ذلك سعيا حثيثا ، والسعيد فيهم من يحظى بالقرب من الخليفة لتنهال عليه الاموال .. فيعيش عيشة رغدة يحسده عليها سائر الشعراء .. وكان الشعراء في ذلك العصر كالطير يتكاثرون حيث يتناثر الحب ويكثر الرزق ويتزاحمون على أبواب الحكام .. ويتملقونهم ويمدحونهم بما ليس فيهم من الصفات حتى ينالوا الحظوة لديهم والقرب من قلوبهم وافئدتهم .. كان ذلك شأن معظم الشعراء في ذلك العصر .. ولم يشذ عن ذلك الا القليلون من أصحاب المبادىء .. الذين آمنوا بها – وتمسكوا بأهدابها فهان عليهم كلّ شيء في سبيلها رضوا بالفقر والتشرد في سبيل غاياتهم المجيدة ومبادئهم الرفيعة وكان دعبل بن على من هؤلاء القلة الذين آثروا الفقر على الغنى والتشرد والضياع على الامن والامان .. ووهب حياته للدفاع عن

العلويين الذين آمن بحقهم في خلافة المسلمين فمن هو ذلكم الشاعر الشجاع ..

١ – مولده وأسرته :

عاش دعبل (١) قرابة قرن من الزمان هو النصف الاخير من القرن الثانى الهجرى والنصف الاول من القرن الثالث من ١٤٨ هـ – ٢٤٦ هـ وقد عاصر كثيرا من الخلفاء العباسيين وقضي معظم هذا العمر في قلق وحيرة واضطراب .

وقد اختلف المؤرخون في اسمه وكنيته ونسبه فذكروا له ثلاثة اسماء هى الحسن وعبد الرحمن ومحمد ويكنى دعبل بأبى على وابى جعفر .

ويقول بروكلمان : دعبل هو ابو جعفر الحسن وقيل عبد الرحمن وقيل محمد بن على الخزاعى (٢)

ولم يعرف دعبل بأى اسم من هذه الاسماء الثلاثة وانما عرف باسم دعبل الذى اشتهر به ولم يعرف بغيره .. ولم نظفر بشيء يعتد به عن هذا اللقب سوى الرواية المنسوبة الى اسماعيل بن على

---

(١) دعبل كزبرج : الناقة القوية ، لسان العرب لابن منظور مادة دعبل ص ٩٦٠ .

(٢) تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ٢ : ٣٥١ ترجمة د. عبد الحليم النجار ط دار المعارف .

الخزاعى عن الجارية التى لقبته بذلك « وانما لقبته دايته لدعابة كانت فيه فأرادت زعبلا فقلبت الذال دالا (١)

ومن طريف ما يروى ما حكاه ابو الفرج عن دعبل قال : كنت جالسا مع بعض اصحابنا فلما قمت سأل رجل عنى فقالوا هذا دعبل . فقال : قولوا في جليسكم خيرا وكأنه ظن اللقب شتما (٢)

وعن دعبل أيضا قال « صرع رجل مرة بحضرتى فصحت في اذنه ثلاث مرات « دعبل » فأفاق (٣)

وكما اختلفت الاراء في اسمه اختلفت في نسبه فيذكر الخطيب البغدادى المتوفي سنة ٤٦٣ . وابن عساكر المتوفي سنة ٥٧٠ ان دعبلا هو ابن على ابن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى (٤)

ويذكر ابو الفرج الاصفهانى واليافعى وياقوت الرومى ان «دعبل ابن على بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل بن انس بن خزيمة بن سلامان الخزاعى (٥)

وذهب بعض المؤرخين ان دعبلا خزاعى بالولاء كما جاء في لسان

---

(١) تاريخ بغداد ٨ : ٣٨٥ .
(٢) الاغانى ١٨ : ٣١ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٩ .
(٣) الاغانى ١٨ : ٣١ . ووفيات الأعيان ٢ : ٣٨ .
(٤) تاريخ بغداد ص ٣٨٢ وتاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٢٧ .
(٥) ياقوت الرومى : معجم الأدباء ٤ : ١٩٤ .

الميزان للعسقلانى « ان دعبلا خزاعى بالولاء وكان جده رزين مولى عبد الله بن خلف الخزاعى والد طلحة الطلحات (١)

وفي رأيى ان دعبلا خزاعى بالنسب وليس بالولاء ·· وأن محاولة التشكيك في نسبه افتراء محض ·· وأقدم من صرح بولائه في خزاعه عبد الله بن طاهر الذى زعم ان دعبلا مدخول النسب وكان بينه وبين دعبل ما دفعه الى هذا الافتراء والطعن في نسبة والحط من مكانتـــه واظهاره بالمظهر الشائن ووصمة بالاعتداء وقلة الوفاء والتناقض في المديح والهجاء (٢)

وهناك نصوص وردت في الاغانى تؤكد خزاعية دعبل منها :

١ – ذكر الحسين بن على قال : قلت لابن الكلبى : ان دعبـلا قد قطعنا ولو أخبرت الناس انه ليس من خزاعة ؟ فقال لى : يا فاعل: مثل دعبل تنفيه خزاعة ؟ والله لو كان في غيرها لرغبت فيـه حتى تدعيه ، دعبل والله يا أخى خزاعة كلها (٣)

٢ – سؤال المأمون لابى دلف : اى شيء تروى لاخى خــزاعة يا قاســم ؟

قال : اى اخى خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شــاعرا ؟

---

(١) لسان الميزان ص ٤٣٠ ·
(٢) انظر موقف ابن طاهر من دعبل في الأغانى ١٨ : ٥٦ ·
(٣) الأغانى ١٨ : ٤٤ ·

قال : اما من أنفسهم فأبو الشيص وابنه ودعبل وداود واما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله فقال : ومن عني من هؤلاء ان تسأل عن شعره سوى دعبل (١)

٣ ــ اعتراض محمد بن موسى الضبي على عبد الله بن طاهر وكان عبد الله قد ادعى بأن دعبلا مدخولا بقوله : من أين قال الامير انه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة لا يتقدمهم غير بني أوهبان ؟ (٢)

٤ ــ ما وصل الينا من شعره يدل دلالة قاطعة على صحة نسبه في خزاعة احدى قبائل اليمن الشهيرة مثل قوله من قصيدة طويلة :

احببت قومي ولم أعدل بحبهم
قالوا تعصبت جهلا قول ذي بهت

قومي بنو مذحج والازد اخوتهم
وآل كندة والأحياء من علة (٣)

ويقول القلقشندي : سموا خزاعة لان بني مازن من الازد لما تفرقت من اليمن من البلاد نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان، واقبل بنو عمرو فانخزعوا عن قومهم فنزلوا مكة وكانت لخزاعة ولاية البيت بعد جرهم (٤) •

---

(١) الأغاني ١٨ : ٤٤ •
(٢) الأغاني ١٨ : ٥٧ •
(٣) ديوان دعبل ص ١٥٢ •
(٤) نهاية الارب في معرفة انساب العرب للقلقشندي تح ابراهيم الأبياري ص ٤٥ •

١٢٠

اسرته :

اجمع المؤرخون والمصنفون ان دعبل من بيت رفيـع ومن أسرة فاضلة اشتهر جل افرادها بالعلم والادب وقرضهم للشعر فابوه على ابن رزين كان شاعرا مقلا ترجم له المرزباني في معجم الشعراء (١).

وفي الاغاني ابيات له رواها القاسم بن مهرويه منها قوله :

خليلي ماذا أرتجي من غـــدا امرىء
طوى الكشح عني اليـوم وهو مكين
وان امرءا قد ضن منــــه بمنطـــق
يسد به فقر امرىء لضـــــنين (٢)

كما روى له ابن النديم قوله :

أقـول لمــــا رأيت المـوت يطلبني
يا ليتني درهـــم في كيس ميـــاح
فياله درهمــا طــالت ســــلامته
لا هالك ضيعة يوما ولا ضاحي (٣)

وعمه عبد الله بن رزين كان شاعرا كذلك وكذلك أخوه على ابن على بن رزين واخوه الاخر رزين بن على بن رزين كلّ منهمــا كان شـــاعرا . (٤)

---

(١) معجم الشعراء ص ٢٨٣ .
(٢) الأغاني ٢٠ : ٧١ .
(٣) الفهرست ١٢٩ .
(٤) انظر الأغاني ١/٤٨ وما بعدها .

اما ابنه الحسين بن دعبل فقد كان شاعرا مطبوعا وشعره يقع في نحو مائتي ورقة (١)

ومن افراد اسرته المعروفين بالشعر كذلك ابو جعفر محمد بن عبد الله بن رزين المعروف بابى الشيص وهو من مشاهير الشعراء في العصر العباسي توفي سنة ١٥٦ هـ وله شعر كثير جيد وله ديوان عمله الصولي (٢)

وقد ولد دعبل سنة ١٤٨ هـ في خلافة ابى جعفر المنصور وكان مولده بمدينة الكوفة على ارجح الاراء في ذلك ٠

وكان لنشأة الشاعر في الكوفة معقل الشيعة والثورة والدراسات الدينية واللغوية والكلامية اثر كبير في تكوين الشاعر الفكري فقد نشأ فيها الفراء وابن السكيت من النحاه ؛ والمفضل الضبي وحماد الراوية وأبو عمرو الشيباني وابن قتيبة وابن الاعرابي من علماء اللغة (٣)

وعلى الرغم من عبقرية دعبل واجادته لفن الشعر ونشأته في بيت من بيوتات العلم والادب فقد كان هجاء خبيث اللسان كما كان صعلوكا يصحب الشطار ويقطع الطريق على المارة ٠٠

روى ابو الفرج ان دعبلا ٠٠ كان يتشطر ويصحب الشطار

(١) الفهرست ٢٢٩ ٠
(٢) انظر ترجمة ابى الشيص فى الأغانى ٥:١٠٨ وتاريخ بغداد ٥:٤٠١
(٣) الصورة الفنية فى شعر دعبل ص ٢٨ د٠ على ابراهيم ابو زيد ٠

فخرج هو ورجل من اشجع فيما بين العشاء والعتمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة وكان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله فلما طلع مقبلا اليهما وثبا اليه فجرحاه واخذا ما في كمه فاذا هي ثلاث رمانات في خرقة ولم يكن كيسه ليلتئذ معه ومات الرجل مكانه واستتر دعبل وصاحبه ، وجد اولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان في ذلك فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى الهرب من الكوفة فما دخلها حتى كتب اليه اهله انه لم يبق من أولياء الرجل أحد (١)

ويضيف ابو الفرج « انه كان يقبل الشراة والصعاليك فلا يؤذونه بل كانوا يؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه وكان الصعاليك يواصلونه ويصلونه بدلا من أن ينهبوا امواله ويصادروا متاعه ،وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه ثقيف وشغف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وانشدهم فكانوا قد عرفوه والفوه لكثرة اسفاره (٢)

ويؤكد بعض الباحثين ان الصعلكة لم تكن السمة الغالبة على دعبل فقد عاش في عصر حل الاسلام فيه المشاكل التى ثار الصعاليك من اجلها في الجاهلية اذ سوى بين الناس وكفل لهم الحياة الكريمة وأحاط المجتمع بالحدود التى تحافظ على النظام وتضرب بشدة على أيدى المنحرفين من لصوص وقطاع طريق كما عانى الصعاليك

---

(١) الأغانى ٢٠ : ٨٣ .
(٢) الأغانى ١٨ : ٣٦ .

من أهمال قبائلهم لهم ولم يشك دعبل من هذا ولو رغب مالا لمدح ووقف بباب الملوك ونال جوائزهم وغنم عطاياهم لكنه كان صاحب مبدأ وعقيدة (١) ٠

وربما وقعت منه تلك الحوادث التى تدل على تشرده وصعلكته في بداية حياته بدافع من الطيش والنزق والجهل فلما كبر أقلع عن هذا واتجه الى الثورة على الحكام الذين اغتصبوا الخلافة من العلويين فأصلاهم نارا حامية ولم يسلم من لسانه احد من خلفاء بنى العباس ٠٠

ب - صلته بحكام عصره

اجمع المؤرخون ان دعبلا قد زامن تسعة من الخلفاء العباسيين هم المنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ٠

وقد اتاحت الاسفار للشاعر فرصة الاتصال بالخلفاء والوزراء والقادة والولاة كما التقى بالشعراء والادباء وزار كثيرا من البلدان٠٠

وكانت علاقته بالخلفاء العباسيين علاقة يشوبها التوتر والحذر وعدم الثقة ٠٠ بسبب ميول دعبل الشيعية وايمانه بحق العلويين في الخلافة ٠٠ ولذا فقد كانت علاقته بالخلفاء من بنى

---

(١) الصورة الفنية فى شعر دعبل ٣٢ ٠

العباس تحكمها علاقته بالعلويين واخلاصه لتلك العقيدة .. ولذا لم يسلم احد من خلفاء بنى العباس من هجائه وسخريته .

التقى دعبل اولا بالرشيد . ومدحه ونال جوائزه واعطياته ، ولكنه ما لبث ان تكشفت له خطة الرشيد في تقريب الشعراء وتشجيعهم حيث ادرك ان الرشيد يغدق امواله على هؤلاء الشعراء ليرفعوا من قدره ، ويعلوا من ذكره ويدافعوا عن حقه ويبطلوا حجج عدوه .. ومن هنا فقد ثار دعبل على الرشيد وانفض من حوله ..

وعندما مات الرشيد ودفن في طوس قال دعبل قصيدة يمدح فيها العلويين ويعرض بجرائم العباسيين في حقهم ويهجو الرشيد ويشير الى دفنه في مدينة طوس وهى المدينة التى دفن فيها على الرضا العلوى فقال :

وليس حى من الاحياء نعلمه
من ذى يمان ومن بكر ومن مضر
الا وهم شركاء في دمائهم
كما تشارك ايسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة
فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
ارى أمية معذورون ان قتلوا
ولا ارى لبنى العباس من عذر
أربع بطوس على القبر الزكى اذا
ما كنت تربع من دين الى وطر

قبران في طوس : خير الناس كلهم
وقبر شرهم هذا من العبر (١)
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا
على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت
له يداه فخذ ما شئت او فذر (٢)

وكان موقف دعبل من المأمون كموقفه مع الرشيد .. حيث اتصل أولا بالمأمون واعجب به ومدحه نظرا لعطف المأمون على العلويين .. واستبداله علم العباسيين الاسود بعلم العلويين الاخضر .. وتنازله للخلافة من بعده للامام على بن موسي الرضا العلوى ولهذا فقد احتفظ دعبل برضاء المأمون مدة طويلة وعندما رد المأمون «فدكا» للعلويين امتدحه دعبل في قوله :

واصبح وجه الزمان قد ضحكا
برد مأمون هاشم فدكا (٣)

وكان دعبل يخرج الى خراسان والمأمون بها والرضا فيمدحهما ويجزلان له العطية (٤).

---

(١) يقصد بشر الناس : هارون الرشيد ويقصد بخير الناس الامام علي بن موسي الرضا .
(٢) ديوان دعبل ص ١٠٥ .
(٣) ديوان دعبل ص ٢٤٧ .
(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٤ .

ومما يستجاد لدعبل ارجوزته في المأمون التى يقول فيها :

يا سلم ذات الوضح العذاب
وربة المعصم والخضاب
والكفل الرجراج في الحقاب
والفاحم الاسود كالغراب
بحق تلك القبل الطياب
بعد التجنى منك والعتاب
ألا كشفت اليوم عنى ما بى (١)

ولما خلع المأمون الخضرة شعار العلويين وعاد الى لبس السواد شعار العباسيين ارضاء لبنى العباس الذين كانوا قد ثاروا عليه عندما ترك شعارهم واوصي بولاية العهد لغيرهم .. عندما فعل ذلك ـ تغير عليه دعبل .. واتخذ منه موقفا عدائيا وهجاه هجاء مرا في قوله :

أيسومنى المأمون خطة عاجز
او ما راى بالامس راس محمد
توفي على هام الخلائف مثلما
توفي الجبال على رؤوس القردد (٢)

---

(١) ديوان دعبل ١٢٠ .
(٢) المرجع السابق ١٧٥ .

ثم يهدد المأمون بقــوله :

انى من القــوم الذين سـيوفهم
قتلت اخاك وشرفتك بمقعــــد
رفعوا محــلك بعد طــول خموله
واستنقذوك من الحضيض الاوهد(١)

ثم يحذر المأمون من التمادى في غيه فيقــول :

ان التراث مســـــهد طلابها
فاكفف لعابك عن لعاب الاسـود
لا تحسبن جهلى كحــلم ابى فما
حلم المشاريخ مثل جهل الامرد (٢)

وهكذا نجد دعبلا يتقرب الى بنى العباس أو يعاديهم بمقـدار موقفهم من العلويين قربا أو وبعدا وهذا يدل على ثباته على مبدئه وايمانه بمذهبه وتمسكه بعقيدته فلم يتلون ولم ينــــافق او يداهن وانما كان رجلا صادقا مع نفسه ومع الناس ··

أما المعتصم فقد كان يكره دعبلا كرها شديدا لسلاطته وجرأته وطول لسانه وهجائه لملوك بنى العباس وسخريته منهم فهـــدده باغتياله فخاف دعبل وهرب منه الى الجبل وقال يهجوه :

(١) المرجع السابق ١٧٦ ·
(٢) المرجع السابق ١٧٦ ·

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
ولم يأتنا عن ثامن منهم الكتب
كذلك أهل الكهف في الكتب سبعة
خيار اذا عدوا وثامنهم كلب (١)

وكان المعتصم هو الثامن بالنسبة لمن سبقه من الخلفاء العباسيين ويقابله في اهل الكهف الكلب لانه ثامنهم وهذا هجاء موجع ويقال ان المعتصم هدده بالقتل عندما سمع ذلك منه فهرب الى مصر وعندما بلغه نبأ وفاة المعتصم وتولى الواثق الخلافة من بعده هجا الاثنين دفعة واحدة فقال :

الحمد لله لا صبر ولا جلد
ولا رقاد اذا اهل الهوى رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد
وآخر قام لم يفرح به احد
فمر هذا ومر الشؤم يتبعه
وقام هذا فقام الويل والنكد (٢)

ولما مات المعتصم رثاه محمد بن عبد الملك الزيات بقوله :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا
في خير قبر لخير مدفون

(١) الأغاني ٢٠ : ٩٦ .
(٢) ديوان دعبل ص ١٤٩ .

لن يجبر الله امة فقـــــدت
مثـــلك الا بمثـــلْ هارون

فقالْ دعبل يعارضه :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفـوا
في شر قبر لشر مدفــــون
اذهب الى النار والجحيم فما
خلتـــك الا من الشـــياطين

وهكذا لم يسلم المعتصم من لسان دعبلْ حتى وهو ميت وهنا يدلّ على أن دعبلا قد تشبع قلبه بحب العلويين وكراهية خصومهم .. فهم في نظره صورة سيئة للاستبداد والظلم وسلب الحقوق من أصــحابها .

وكما هجا دعبلٌ الخلفاء العباسيين فقد هجا أقاربهم وولاتهم وقوادهم ولم يسلم احد من رجال الدولة العباسية من هجائه بقــول في ابراهيم بن المهدى – وكان يعشق الغناء – وتهفو نفســـه الى الخــلافة :

نعر ابن شكلة بالعراق واهله
فهفا اليـــه كلّ أطلس فائق
ان كان ابراهيم مضطلعا بها
فلتصلحن من بعده لمخارق ★

(★) مخارق وزلزل والمارق من المغنين فى العصر العباسى .

ولتصلحن من ذاك لزلزل

ولتصلحن من بعده لأخارق

أنى يكون وليس ذاك بكائن

يرث الخلافة فاسق عن فاسق(١)

وهجا دعبل كذلك ابا عباد كاتب المأمون هجاء ساخرا مضحكة حيث يقول فيه :

أولى الامور بضيعة وفساد

أمر يدبره أبو عباد

وكأنه من دير هزقل مفلت

قرد يجر سلاسل الاقياد

فاشدد أمير المؤمنين وثاقه

فاصح منه بقية الحداد (٢)

وكان المأمون اذا نظر الى أبى عباد يضحك ويقول لمن يقرب منه والله ما كذب دعبل في قوله ويردد الابيات السابقة (٣) .

ولم يترك دعبل احدا من الولاة أو الوزراء او صاحب منصب في الدولة العباسية الا صب عليه جام غضبه واصلاه نارا حامية .. فهم جميعا في نظره ممثلون لرغبات الخلفاء .. فنراه يهجو طاهر بن الحسين في قوله :

وذى يمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة

(١) ديوان دعبل ٢٤٥ .

(٢) ديوان دعبل ١٨١ .

(٣) الأغاني ٢٠ : ٩٣ .

كما هجا الكاتب احمد بن ابى دواد لطعنه دعبل بحضرة المأمون والمعتصم تقربا اليهما • ـ وكان ابن أبى داود قـــد تزوج إمراتين من بنى عجل في سنة واحدة فقال فيه :

غضبت عجلا على فرجين في سنة
أفسدتهم ثم ما اصلحت من نسبك
ولو خطبت الى طوق واسرته
فزوجوك لمـا زادوك في حسبك
ان كان قوم أراد الله خـزيهم
فزوجوك ارتغابا منك في ذهبك
فذاك يوجب أن النبع نجمعـه
الى خلافك في العيدان او غربك
عد البيوت التى ترضي بخطبتها
تجد فزارة العكلى من عربك (١)

وهجا كذلك الوزير محمد بن عبد الملك الزيات بعد ان مدحـه لانه لم يرض بما أمر به فقال فيه :

يا من يقلب طومارا ويلثمه
ماذا بقلبك من حب الطـــوامير
فيه مشابه من شيء تمر به
طولا بطول وتدويرا بتـــدوير

---

(١) ديوان دعبل ١١٤ •

لو كنت تجمع امــوالا كجمعكها

اذن جمعت بيوتا من دنانير (١)

وفي هجائه للكاتب عمرو بن مسعدة أخرجه من ديوان الكتـــابة الى ديوان الشحاذة والتسول فقال :

لولا تكون ككاتب لك ربعة

يقضي الحوائج مستطيل الراس

لم تغد بالملبون عند فطامه

يوما ولا بمطجن القلقـــاس

يغدو على أضيافه مستطعما

كالكلب يأكل في بيوت الناس (٢)

وهكذا كان الشاعر مثالا للثورة والتمرد والتحدى لســـلطان العباسيين الذين هم في نظره مثالا صارخا للظـــلم والاســـتبداد والغصب لحقوق بنى عمومتهم من العلويين الذين أحبهم الشـــاعر واخلص لمبادئهم .. وراى فيهم صورة حية للعدل . والرحمة فسخر نفسه وقلمه للدفاع عنهم واظهار حقوقهم .. وهجاء أعدائهم .. وكان مثله في ذلك كمثل الكميت بن زيد في العصر الاموى الذى وهب حياته للدفاع عن بنى هاشم متحديا في ذلك سلطان الامويين..ودفع حياته في النهاية ثمنا لهذا الحب واذا كان الكميت قد اضـــطر الى

---

(١) المصدر السابق ٢٠٥ .
(٢) ديوان دعبل ص ١٥٧ .

مهادنة الامويين ومداحهم فان دعبلا لم ينحن ابدا لسلطان العباسيين وظل طوال حياته حرا طليقا لا يخضع لقيد ولم تغره العطايا كما لم ترهبه السلطة ..

جـ ـ التشيع في شعر دعبل

كان الشاعر دعبل بن على يعتنق مذهب الشيعة الامامية وهم القائلون بامامة على رضي الله عنه بعد النبى صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا ، ويقينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل اشارة اليه بالعين (١) .

وكان الامامية يرون أن عليا عليه السلام يستحق الخلافة لا من طريق الكفاية ولا من طريق ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم من اوصاف لا تنطبق الا عليه بل عن طريق النص عليه بالاسم ثم يرون أن الائمة هم على وأبناؤه من فاطمة ، واذا كان على معنيا بالاسم من النبى فأبو بكر وعمر مغتصبان ظالمان يجب البراءة منهما (٢) .

ويرون ان النبى صلى الله عليه وسلم قد ولى عليا بالنص يوم « غديرخم » عندما قال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد آمن دعبل بهذه الافكار بيد أنه لم يكن مغاليا في تقديس على وابنائه كما يفعل بعض الشيعة الامامية .

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٥ ط بالقاهرة .
(٢) الملل والنحل للشهرستانى ١ : ٢٠٨ .

ولقد صاغ دعبل كثيرا من افكار الشيعة التى آمن بها صياغة شعرية رائعة فنراه يضمن شعره الحديث السابق فيقول :

فقال ألا من كنت مولاه فيكم
فهذا له مولى بعيد وفاتى
اخى ووصي وابن عمى ووارثى
وقاضي ديونى من جميع عداتى(١)

كذلك يصوغ قول النبى صلى الله عليه وسلم في مؤاخاته لعلى « انت أخى في الدنيا والآخرة » عندما آخى بين المهاجرين والانصار .

وقوله عليه الصلاة والسلام لعلى « اما ترضي أن تكون منى بمنزلة هارون من موسي الا أنه لا نبى بعدى » بقوله عن على :

اخو المصطفى بل صهره ووصيه
من القوم والستر للعوارت
لهارون من موسي على رغم معشر
سفال لئام شقق البشرات (٢)

ومن المبادىء الشيعية التى رددها دعبل في شعره مبدأ الرجعة وهو الاعتقاد في المهدى ، والايمان بعقيدة رجوع الامام بعد غيبته أو موته يقول في تائيته الكبرى :

---

(١) ديوان دعبل ص ١٤٢ .
(٢) ديوان دعبل ص ١٤٨ .

خـــروج امام لا محالة خارج
يقوم على اسم الله والبركات..

يميز فينــا كل حــق وباطل
ويجزى على النعماء والنقمات

ومن المبادىء التى آمن بها كذلك واعتنقها مبــدا الارث الذى ينادى بأن العم الشقيق مقدم على العم غير الشقيق وأن عليا رضي الله تعالى عنه مقدم على العباس في ارث النبى صلى الله عليه وسلم لان عليا ابن عم شقيق يقول دعبل في هذا :

فيا وارثى علــم النبى وآله
عليكم ســلام دائم النفحات

هم اهل ميراث النبى اذا اعتزوا
وهم خير سادات وخير حماة (١)

« وكان دعبل من الشعراء المخلصين في تشيعهم ولم يكن من هؤلاء الذين يتخذون من التشيع مأوى يلجأ اليه كل من أرد هـــدم الاسلام لعداوة او حقد أو ممن يتخذون حب اهل البيت ســـتارا يصنعون وراءه كل ما شاءت اهواؤهم فساعده اخلاصــه وايمانه الخالص بمذهبه على أن يرقى الى مصاف شـعراء الشــيعة الاول حتى عرف عنه بأنه شاعر اهل البيت (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٢ .
(٢) الصورة الفنية في شعر دعبل ص ١١٤ .

ولذا نجد دعبلاً يؤكد دائما حبه لاهل البيت ويعد ذلك تقـــربا الى الله عز وجل ويطلب من الله ان يزيده حبالهم حتى يكون ذلك ذخرا له عن ربه ٠٠ فيقول :

ملامك في آهل النبى فانهم
أحبائى ما عاشوا واهل ثقاتى
فيارب زدنى من يقينى بصيرة
وزد حبهم يا رب في حسناتى
ســـأبكيهم ما حج لله راكب
وما ناح قمرى على الشجرات (١)

ويستمر الشاعر في بكائه على اهل البيت وماحل بهم من نكبات واهوال ، فيجعل دموعه تهطل دائما ما رات الشمس تشرق عـــلى الدنيا فيقول :

سأبكيهم ما ذر في الارض شارف
ونادى منادى الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها
وبالليل أبكيهم وبالغـدوات (٢)

ولا يرمى الشاعر من وراء هذه الدموع المسكوبة الا رضـــا الله تعالى ٠٠ فلم يكن يطمع في نوالهم ٠٠ أو جاههم ونفوذهم فلقد كانت بأيدى اعدائهم وانما كان يرجو ثواب الله وجناته فيقول :

---

(١) ديوان دعبل ص ١٤٠ ٠
(٢) ديوان دعبل ص ١٤٢ ٠

فانى من الرحمن أرجو بحبهم
حياة لدى الفردوس غيرشبات (١)

ويعلن دعبل الحداد العام على ما أصاب اهل البيت من نكبات فيقـــــول :

لا اضحك الله سن الدهر ان ضحكت
وآل احمـــد مظلومون قد قهروا
مشردون نفوا عن عقر دارهم
كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر (٢)

ويتحدث دعبل عما اصاب عليا وابناءه من نكبات ‥ حـــــديثا يقطر اسى ويفيض حزنا ومرارة ‥ وهو لا يستخدم أسلوب الجدل والحجاج كما كان يفعل الكميت بن زيد وانما يلجأ الى اثارة العاطفة وتحريك الوجدان ‥ وسكب الدموع ‥ فيقول :

تعــز فكم لك من اســـوة
تسـكن عنك قليل الحـــزن
اذا عظمت محنة عن عـــزاء
فمادل بهـــا صلب زيدتهن
وأعظم من ذاك قتل الوصي
وذبح الحسين وسم الحسن (٣)

---

(١) ديوان دعبل ص ١٤٤ ٠
(٢) المرجع السابق ١٦٨ ٠
(٣) نفسه ٣٠٣ ٠

ويكرس الشاعر مديحه لآل البيت قاصرا به على الهداة من بيت الكرامات فيقول في تائيته الكبرى :

سقيا ورعيا لايام الصبابات
أيام ارفل في أثواب لذاتى
أيام غصنى رطيب من لدونته
أصبو الى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه
واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح انت قائله
نحو الهداة بنى بيت الكرامات (١)

ويعدد فضائل الامام على ويصوغها اشعارا مؤثرة .. ويسلك أحيانا طريقا خطابيا ليؤكد فكرته ويرسخها في أذهان السامعين فيصوغ حادثة مبيت على على فراش النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة شعرا فيقول :

وهو المقيم على فراش محمد
حتى وقاه كائدا ومكيدا
وهو المقدم عند حومات الوغى
ما ليس يذكر طارفا وتليدا (٢)

(١) نفسه ١٤٦ .
(٢) ديوانه ص ١٧٢ .

وفي نهاية حديثه عن علي يرسل الى قبره سلاما حارا بالغداة وبالعشي ويعرض بالشيخين تعريضا خفيفا حيث يؤكد ان الناس اذا كان هدفهم زيارة قبر الشيخين فان له وجهة أخرى غيرهم وهو التوجه الى قبر الامام فيقول :

سلام بالغداة وبالعشي
على جدث بأكناف الغرى ★
آلا يا حبذا ترب بنجد
وقبر ضم اوصال الوصي
لئن حجوا الى البلد القصي
فحجي ما حييت الى علي
وان زاروا هم الشيخين زرنا
عليا وابنه سبط الرضي (١)

اما حادثة استشهاد الحسين في كربلاء فقد ألهبت عواطف شعراء الشيعة واستدرت دموعهم وسارعوا الى تصويرها تصويرا يحز في النفس ويوجع القلب ٠

وفي أشعار دعبل التى تصور مصرع الحسين معان صادقة معبرة عن شعور صادق وايمان راسخ وعقيدة ثابتة بحب آل البيت والتألم لما أصابهم من نكبات فيقول :

(★) الغرى والغريان بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة بالقرب من قبر الامام علي ٠
(١) ديوان دعبل ص ٣١٤ ٠

اسبلت دمع العين بالعبـــرات
وبت تقـــاسي شدة الزفرات
الا فأبكهم حقا وأجر عليهم
عيونا لريب الدهر منسكبات
ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم
بداهية من أعظم النكبـــات
وصلى على روح الحسين وجسمه
طريحا لدى النهرين بالفلوات
فقل لابن سعد ابعد الله سعده
ستلقى عذاب النار واللعنات(١)

« فالشاعر يعبر عما رواه التاريخ عن مصرع الحســين في تلك الحملة النادرة التى اوعز بها يزيد بن معاوية وجهزها عبيد الله بن زياد بن أبيه وقادها عمر بن سعد بن أبى وقاص وشمر بن ذى الجوشـــــن ٠

وتشير الصورة الى ما عرف من اخبار كارثة كربلاء عندما حال جيش بنى أمية بين الحسين والماء فتســتدر عطف المســـلمين وتسيل دموع العين عبرات باكية وتشحن الصدر حسرة وزفرة على الشهيد المظلوم وتصب اللعنات على القتلة الظـالمين ، فالصـورة تبدو هادئة رزينة تميل الى الحزن القاتم وتعبر عن عواطف صادقة

---

(١) ديوان دعبل ص ١٥٠ ٠

خالية من التطرف بعيدة عن الغلو والمبالغة ولكنها لم تصور المعركة وما دار فيها ولم تصف بطولة الامام وصـــحبه ، ولم تهتم بما دار في القتل والنصب جل همها على اثارة الوجدان وتحريك الهمـة وهي السمة الغالبة على صورة التشيع عند دعبل » (١) .

د - التـائية الكبـــرى

من القصائد التى نالت شهرة واسعة في عالم الادب الشيعي تائية دعبل بن على في آل البيت وتعد فريدة في هذا الباب . . اذ سجل فيها دعبل آراءه ومواقفه من اهل البيت ومن خصومهم .. كما بكى فيها مصارع العلويين بكاء حارا مؤثرا ..

وقد اختلف المؤرخون في مطلعها .. ويكادون يجمعون على أن مطلعها هـو :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر العرصـات

بينما يطالنا الدكتور محمد يوسف نجم محقق ديوان دعبــل بمطلع آخر التائية هو :

ذكرت محل الربع من عرفات
فأجريت دمع العين بالعبرات

---

(١) الصورة الفنية في شعر دعبل ص ١٣٣ .

وقد نالت التائية شهرة واسعة ونسجت حـــولها القصص والاساطير من ذلك ما يرويه دعبل نفسه حيث يقول : دخلت على علي ابن موسي الرضا فقال لي : انشدني شيئا مما احـــدثت بعـــدي فأنشـــدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات

حتى انتهيت منها الى قولي :

اذا وتروا مدوا الى واتريهم   أكفا من الاوتار منقبضات

قال : فبكى حتى أغمى عليه واوما خادم كان على رأسه الى أن اسكت . فسكت ساعة ثم قال لي أعد ، فاعدت حتى انتهيت الى هذا البيت ايضا فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الاولى واوما الخادم الى أن اسكت فسكت ثم مكث ساعة أخرى وقال لي : أعد فاعدت حتى انتهيت الى آخرها فقال لي احسنت ثلاث مرات ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه وقدمت العراق وبعت كل درهم منها بعشرة دراهم فحصل لي مائة الف درهم (١) .

وهناك خبر اخر لا يقل غرابة عن ســـابقه بل هو يعد من باب الاساطير حيث يذكر الشاعر ان الجن طلبت منه ان ينشدها وذلك انه سمع من يقول له والباب مردود عليه السلام عليكم أألج يرحمك الله يقول دعبل .. فاقشعر بدني ونالني امر عظيم . فقال لي : لا ترع

(١) الأغاني ١٨ : ١٠٢ .

ــ عافاك الله ــ فانى رجل من اخوانك من الجن ثم من ساكنى اليمن طرأ علينا طارىء من اهل العراق فأنشدنا قصيدتك « مدارس آيات » فأحببت سماعها منك قال : فأنشدته اياها فبكى حتى خر (١)

ويبدو ان الشيعة كانوا يصنعون هذه الاحاديث على لسان دعبل ليشغلوا الناس بأمر هذه القصيدة ويحملونهم على قراءتها والتعلق بهــــا ..

وهناك خبر ثالث في الاغانى يجسم امر هذه التائية ومدى انشغال الشيعة بها .. فيحكى صاحب الاغانى « ان الشاعر استوهب من الرضا عليه السلام ثوبا قد لبسه ليجعله في اكفانه فخلع جبة كانت عليه فأعطاه اياها وبلغ اهل «قم» خبرها فسألوه ان يبيعهم اياها بثلاثين الف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها منه غصبا وقالوا له : ان شئت أن تأخذ المال فافعل والا فأنت اعلم فقال لهم : انى والله لا اعطيكم اياها طوعا ولا تنفعكم غصبا واشكوكم الى الرضا فصالحوه على ان اعطوه الثلاثين الف درهم فردهم » (٢)

وأحتلت التائية اهتمام كثير من الباحثين .. وقام بشرحها عدد وفير من الادباء والمؤلفين منهم :

١ ــ محمد بن باقر بن محمد تقى المتوفي سنة ١١١١ هـ بالفارسية

٢ ــ السيد نعمة الله الجزائرى المتوفي سنة ١١١٢ هـ .

---

(١) المرجع السابق ١٨ : ٩٤ .
(٢) الأغانى ١٨ : ٩٤ .

٣ ـ كمال الدين محمد بن معين الدين الشيرازي المتوفي سنة ١١٠٣ في طهـــران ٠

٤ ـ الميرزا حسن بن عبد الكريم المتوفي سنة ١٣١٠ هـ

٥ ـ على بن عبد الله التبريزى المتوفي سنة ١٣٢٧ هـ

وتسيطر على التائية نزعة البكاء المؤثر والعويل والانات المؤلمة التى تحرك المشاعر وتثير العاطفة والوجدان حيث يبدؤها بقوله :

بكيت لرســـم الدار من عـرفات
واذريت دمع العـــين بالعــبرات
مدارس آيات خلـــت من تلاوة
ومنزل وحى مقفـــر العرصـــات
ديار عفـــاها كل جـون مـــادر
ولم تعـــف الايام والســـنوات
ســـأبكيهم ماحج لله راكب
وما ناح قمرى على الشـــجرات
فيا عين بكيهم وجـودى بعـــبرة
فقد آن للتســـكاب والهمـــلات
سأبكيهم ما ذر في الارض شـارق
ونادى منادى الخير بالصلوات (١)

---

(١) ديوان دعبل ص ١٤٢ ٠

ثم يتحدث في مقطع منها عن حق العلويين في الخلافة بوصفهم ورثة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وان أعداءهم ليسوا سوى حاسدين لهم على هذا الشرف ومكذبين بما تواتر من خبر الوصية لعلى وحاقدين عليهم •

فيقول :

قفا نسألِ الدار التى خف أهلها
متى عهدها بالصوم والصلوات
واين الالى خفت بهم غربة النوى
افانين في الافاق مغتربات
هم أهلُ ميراث النبى اذا اعتزوا
وهم خير سادات وخير حماة
وما الناس الا حاسد ومكذب
ومضطغن ذو احنه وتراث

ومن اهم المعانى التى حفلت بها التائية الاشارة الى بعض المواقف التاريخية التى تثبت احقية الشيعة في الحكم من ذلك أنها تصور ما دار في اجتماع السقيفة وبيعة غديرخم ، وتسجيل ما دار في غزوة بدر وخيبر وحنين كما صورت ايضا استشهاد الحسين في كربلاء وتمثل تلك اللوحه الجانب التاريخى في التائيه حيث يقول الشاعر :

وما نالَ أصحاب السقيفة امرة
بدعوى تراث بلْ بأمر تراث

فان جحدوا كان الغدير شـــهيده
وبدر واحد شـــامخ الهضـــبات
اذا ذكروا قتلى ببـــدر وخيـــبر
ويوم حنين اسـبلوا العـــبرات
افاطم لو خلت الحســـين مجـدلا
وقد مات عطشانا بشـــط فرات
اذن للطمت الخـــد فاطم عنـــده
وأجريت دمع العين في الوجنـــات

ثم يمضي فيقدم فيما يشبه المناجاة المبررات التى تجعله شديد التعلق بهم سائلا الله ان يثبت يقينه فيهم ويزيده بصيرة متقـــربا اليه تعالى بحبهم حيث قول :

ملامك في اهـل النبى فانهـــم
أحباى ما عاشـوا وأهل ثقـــاتى
تخـــيرتهم رشـدا لامرى فانهم
على كل حال خـــيرة الخـــيرات
فارب زدنى من يقينى بصـــيرة
وزد حبهـم يارب في حســـناتى

ثم يشير الى ما كان من استصفاء العباسيين اموالهم وحرمانهم من فيئهم وتركهم مشتتين في الارض يعانون الضنك والحـــرمان فيقـــول : ـ

---

(١) ديوان دعبل ص ١٤٥ ٠

الــــم ترانى من ثلاثين حجـــــة
اروح واغــــــدوا دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقســـــما
وايديهـــــم من فيئهم صـــفرات
فآل رســول الله نحــف جســومهم
وآل زياد حفــــــــــل القصرات
بنات زياد في القصـــور مصــونة
وآل رســول الله في الفــــلوات

ومع ذلك كله فالشاعر غير يائس من ان يأتى اليوم الذى يظهر فيه منهم امام الهدى ليكبح الظلم ويقر العدل بل انه في ذلك لعلى يقين يقول :

فلولا الذى ارجوه في اليوم او غــد
تقطع قلبى أثر هــم حسرات
خروج امام لا محـــــاله خــــارج
يقــــوم على اسم اللــه والبركات
يمــــيز فينـــــا كل حق وباطــل
ويجزى على النعماء والنقمات
سأقصر نفسي جاهدا عن جدالهم
كفـــانى ما ألقى من العـــبرات

ومن دراسة مضمون التائية الفكرى بصفة عامة يمكن القول بأنه يغلب عليها الطابع الحزين حيث يعبر الشاعر عن حزنه الدفين

والمه العميق لما نزل بأحبائه من الشيعة ويتضح ذلك في اختيار الشاعر ألفاظ القصيدة التى يتوسل بها في تشيعه مثل الزفرات والعبرات والحسرات .. وتعد التائية ملحمة بكائية كبرى ولذا فقد اهتم بها الشيعة ايما اهتمام وحفظوها ورددوها في كل المناسبات فهى لوحة فنية كبرى ..

ولم يخرج الشاعر في تائيته عن منهجه المعروف في اثاره العاطفى وتحريك المشاعر وتأليب النفوس في طلب الثأر وارجاع الحق الى نصابه ..

هـ – منزلة الشاعر بين شعراء الشيعة

من شعراء الشيعة المرموقين الذين تأثر بهم دعبل بن على – الكميت بن زيد الاسدى . ولقد قرأ دعبل – من غير شك – شعر الكميت وأعجب به .. كما شاهد اعجاب الناس بالكميت وتقديسهم له بوصفه شاعر اهل البيت ..

ولقد كانت هناك امور مشتركة بين الشاعرين الكبيرين فكل منهما نشأ في الكوفة موطن التشيع ومعقل الثورة والتمرد فلا غرابة ان ينشأ كل منهما محبا لاهل البيت ناقما على اعدائهم من امويين وعباسيين ..

وكان الكميت مخلصا لعقيدته صادقا في حبه لآل البيت – وهو لم يمدح اعداءهم الا مرغما .. وكذلك كان دعبل صادقا في حبه لاهل البيت مخلصا لهم لم يهادن اعداءهم ولم ينثن امام التيارات

العاصفة ·· بل وقف كالطود الراسخ والجبل الاشم يدافع عن عقيدته ويحرض الناس على العباسيين الذين كانوا في نظره مغتصبين للخلافة من العلويين ··

ومن يقرأ شعر دعبل ·· يجد أنه قد تأثر في كثير من صورة وافكاره بشـعر الكميـت ··

وأول هذه الامور أن الكميت كان كثير الهجاء لبني اميـة حتى يؤلب الناس عليهم ويزلزل اركان دولتهم ··

كقوله فيهم :

فقـل لبني أمية حيـث حلـوا
وان خفـت المهنـد والقطيعـا
الا اف لدهـر كنـت فيـه
هـدانا طائعـا لهم مطيعـا
أجـاع الله من اشـبعتموه
وأشـبع من بجـوركم أجيعـا (١)

وقد عرفنا ان دعبلا كان كثير الهجاء للخلفاء العباسيين امثال الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل ·· كما هجا عمالهم ووزراءهم وقوادهم وكبار رجال دولتهم بأقذع الهجاء ·· وكان هدفه تحـريض المسلمين عليهم وزلزلة الارض من تحت اقدامهم حتى يعـود الحق الى نصابه ·· وتعود الخلافة الى العلويين أصحابها الاصليين ··

(١) الأغاني ١٥ : ١١٤ ·

وقد كان الكميت مجددا في بناء القصيدة حيث ثار على المقدمة المتوارثة التي تبدا بالوقوف على الاطلال والغزل .. واستبدل بها الشوق والحنين الى آل البيت كقوله :

طربت وما شوقا الى البيض أطرب
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل
ولم يتطربني بنان مخضب
ولكن الى اهل الفضائل والنهى
وخير بني حواء والخير يطلب

وقد تأثر دعبل بتلك المقدمة الروحية فثار على المقدمة الطللية .. وبدا قصيدته في مدح الامام على الرضا بقوله :

بدات بحمد الله والشكر أولا
ومدح امام عنه تروى المآثر (١)

كما افتتح قصيدة أخرى على هذا النمط بقوله :

شفيعي في القيامة عند ربي
محمد والوصي مع البتول
وسبطا احمد وبنو بنيه
أولئك سادتي آل الرسول

(١) ديوان دعبل ص ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٦٢ .

وقد كان الكميت شيعيا معتدلا حيث كان يجيز امامة المفضول مع وجود الفاضل .. ولذا لم يسب الصحابة ، ولم يكفر أبا بكر ولا عمر كما فعل كثير من الشيعة الغالية.

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا
ألوم يوما أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وان لم يعطيا فدكا
بنت النبى ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به
يوم القيامة من عذر اذا اعتذرا

وكذلك كان دعبل شيعيا معتدلا فلم يسب الصحابة .. ولم يكفر ابا بكر ولا عمر .. مع حبه الشديد لعلى وابنائه .. والكميت يحرص على تصوير آثار الظلم وهى عنده تتمثل في سمنة الظالمين وهزال المظلومين اذ يقول :

أأهل كتاب نحن فيه وانتم
على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
فكيف ومن انى واذ نحن فرقة
فريقان شتى تسمنون ونهزل

وقد تأثر دعبل الخزاعى بهذا المعنى واستعمله في شعره حيث يقول :

فآلْ رســــولْ نحف جسدمهم
وآلْ زياد حفـــلْ القصرات (١)

والكميت يقاسي من حب آلْ البيت ويتحمل في سبيلهم كثيرا من المشقات والآلام ٠٠ ويصبر على اذى اعدائهم من أجلهم حيث يقولْ :

ألم ترني من حـب آلْ محمــــد
أروح واغـــدو خائفــــا اترقب
عـلى أى جـرم ام بأية ســـيرة
اعنـــف في تقريظهـــم وأؤنب

ودعبلْ يقضي حياته متألما من اجلْ آل البيت وتصيبه الحسرة والالم من أجل الظلم الواقع عليهم فيصوغ نفس المعنى الذى ردده الكميت بقـــوله :

الم تر انى من ثلاثين حجة
أروح واغـــــدو دائم الحسرات
ارى فيئهم في غـيرهم متقسما
وأيديهم من فيئهـم صـــفرات

وكان الكميت اذا تعرض في هاشمياته لحادث مقتلْ الحســـينْ ابكى العيون ، وأدمى القلوب ، والهب المشـــاعر ٠٠ أستمع اليـه يقــــول :

---

(١) ديوان دعبلْ ١٤٣ ٠

ومن اكبر الاحداث كانت مصيبة

علينا قتيل الادعياء المحلب

قتيل بجنب الطف من آل هاشم

الا حبذا ذاك الجبين المترب

قتيل كأن الوله القصر حوله

يطفن به شم العرانين ربرب

ويتأثر دعبل بهذا المشهد ويبكى على الحسين في كربلاء ويستمطر له شآبيب الرحمة حيث يقول ..

سقى الله أجداثا على طف كربلا

مرابع أمطار من المزنات

وصلى على روح الحسين وجسمه

طريحا لدى النهرين بالفلوات

أأنسي وهذا النهر يطفح ظامئا

قتيلا ومظلوما بغير تراث (١)

ومن الموضوعات المشتركة بين الكميت ودعبل مدح آل البيت بالشهامة والكرم والنجدة .

يقول الكميت :

بل هواى الذى اجن وابدى

لبنى هاشم فروع الأنام

---

(١) ديوان دعبل ص ١٥٠ .

للقـــــريبين منْ لـدى والبعيــــ
يدين من الجـور في عرى الاحكـام
والمصيبين باب ما أخطــــأ النـــا
س ومرسي قواعد الاسلامى
والحمــاة الكفـــاة في الحــــرب
ان لـــف ضرام وقـــودها بضرام
والغيوث الذين ان أمحـــل النـاس
فمأوى حواضن الايتـــام (١)

ويقولُ دعبل في الامام الرضا :

له ســـــمحاء تغــدو كلّ يوم
بنـائلة وســـارية تطـوف (٢)

ويقـــولُ :

وقـد كنــــا نؤملُ ان ســيحيا
امام هـــدى له راى حصـــيف
ترى ســـكناته فتقـــولُ غـــر
وتحت سكونه راى ثقيف (٣)

ويعطر الكميث هاشمياته بذكر النبى صلى الله عليه وسلم والثناء عليه حيث يقول :

(١) الهاشميات ص ٢٠ ٠
(٢) ديوان دعبل ٢٣٥ ٠
(٣) المرجع السابق ص ١١٨ ٠

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا
وبوركت عند الشيب اذ أنت أشيب
وبورك قبر أنت فيه وبوركت
به وله اهـل لذلك يثرب

كذلك يكثر دعبل من الثناء على النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول في تائيته :

سقى الله قبرا بالمدينة غيثه
فقد حـل فيه الامن بالبركات
نبى الهدى صلى عليه مليكه
وبلغ عنا روحه التحفـــات
وصلى عليه الله ما ذر شـارق
ولاحت نجوم الليل مبتـدرات

ومن المؤكد أن تشيع الكميت لم يكن للدنيا ، ولو طلب الدنيـا لاتى من هى بين يديه ولكنه كان حبا خالصا لله ورسوله ولا أدل على ذلك من انه دخل على ابى جعفر محمد بن على فأنشده قصـيدته التى أولها : من لقلب متيم مستهام

فأمر له بمال وثياب فقال الكميت : والله ما أحببتكم للدنيـا ولو اردت الدنيا لاتيت من هى في يديه .. ولكننى احببتكم للاخرة .. فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فاننى اقبلها لبركتها واما المـال فلا اقبله فرده وقبل الثياب (١) .

(١) معاهد التنصيص للعباسي ص ٩٥ .

وكذلك كان دعبل بن على لم يكن يحب العلويين من اجل الدنيا ولو رغب في الدنيا لاقبل على العباسيين كما كان يفعل مروان بن ابى حفصة وغيره .. ولكنه كان يحبهم تقربا الى الله تبارك وتعالى يحبهم ..

كذلك يتفق الشاعران في جزالة الالفاظ وفخامة الكلمات واستخدام الاسلوب الفصيح الرصين .. واصبح دعبل شاعر اهل البيت في العصر العباسي كما كان الكميت شاعر اهل البيت في العصر الاموى..

ولعل الفرق الوحيد بينهما هو اختلافهما في أسلوب المعالجة لقضية الشيعة .. فالكميت كان يعتمد على أسلوب الحجاج والبرهان والدفاع بالمنطق .. أما دعبل فكان يعتمد على اثارة العاطفة وتحريك الوجدان والعزف على قيثارة الحزن واللوعة لاثارة الجماهير .. ودفعهم الى معاداة العباسيين ، والعطف على العلويين والوقوف بجانبهم وقد نجح كل منهما فيما أراد .

و – بين دعبل والسيد الحميرى :

كان السيد الحميرى شيعيا مبالغا في تشيعه .. ولكنه كان يختلف عن دعبل في تصويره لعقيدته الشيعة اختلافا كبيرا ..

فالسيد الحميرى كان مثالا للشيعى المتطرف المغالى في تشيعه ولذا فقد اكثر من سب صحابة رسول الله وذمهم والصاق التهم بهم وثلبهم من الفضائل الأخلقية والدينية .

اما دعبل فقد كان معتدلا في تشيعه ولم يسمع عنه انه سب

الصحابة او انتقصهم وانما كان كالكميت يرى جواز امامة المفضول مع وجود الافضل .

كما أن السيد الحميري كان يؤمن بكل ما أضيف الى الامام على من صفات وفضائل ولو كانت فضائل خرافية من اختراع الشيعة الغالية وكان يصوغ كل ذلك شعرا من غير تمحيص حتى كان يقف بالكوفة ويقول : من أتاني بفضيلة لعلي بن أبي طالب ما قلت فيها شعرا فله دينار ..

أما دعبل فلم ينسب الى الامام الا الفضائل المتواترة المعروفة من سيرته .. ولم يلصق له شيئا من الخرافات او الاساطير كما فعل السيد الحميري .

وكان السيد الحميري منافقا حيث كان يمدح العباسيين لينال جوائزهم وفي الوقت نفسه كان يمدح العلويين لانه يحبهم ولم يسلك في ذلك طريقا مستقيما بل كان يمدح بني العباس بلسانه ويلعنهم بقلبه ليتقي شرهم .

« فقد سلك طريقا آمن به ايقاع العباسيين وتنكيلهم فكان يعلي شأن العلويين ويمدحهم ويذم الصحابة وبني أمية ثم يعرج على العباسيين فيمدحهم لانهم من بني هاشم فبلغ ما اراد ولم ينتقم منه العباسيون بل نال جوائزهم » (١)

---

(١) حديث الأربعاء ٢ : ٢٤٠ .

ومما عيب على السيد الحميرى أنه كان يرتكب ذنوبا ويعتقد أن آل النبى سيشفعون له لمدحه اياهم بينما خلت صورة التشـــيع عند دعبل من رواية الاساطير ومن تسجيل الخرافات ومن المـــداراة والنفاق ومن شتم الصحابة وسب السلف الصالح وما لا يقبله العقل ولم يرتكب دعبل ذنوبا طمعا في الشفاعة بل لعب على أوتار العاطفة فهز القلوب وحرك المشاعر ..

الفصل الخامس

الصراع العباسي العلوى

بين ابن المعتز وتميم بن المعز

بقى علينا في تصوير الصراع بين العباسيين والعلويين ان نتحدث عن بطلين كبيرين من ابطال هذا الصراع .. احدهما عباسي .. والآخر علوى .. وكلاهما امير خطير .. وشاعر قدير اجتمعت له المكانة السامقة في قومه .. وعلو قدمه في عالم الشعر ، والعلم والفن.

اما الاول فهو الامير عبد اله بن المعتز العباسي .. والثانى هو الامير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى ..

ولقد كان هناك شبه بين الاثنين ، على الرغم من الخلاف الشديد في المذهب والاتجاه .. فكل منهما أمير ... هذا أمير عباسي وذاك أمير فاطمى ، وكل منهما من بيت رفيع العماد ينتهى نسبه الى هاشم بن عبد مناف .. وكل منهما شاعر مجيد اشتهر بروعه التشبيهات ورقيق الاستعارات ، وعذوبة الاسلوب والدقة في الاداء..

ولقد كان تميم حريصا على محاكاة ابن عمه عبد الله ، يحاكيه تارة ويناقضه تارة اخرى وهو في كلتا الحالتين ينسج على منواله.. ويسير على طريقته ويعزف على قيثارته .. وقد قرا تميم ديوان ابن المعتز وأعجب بشعره .. ولاحظ مفاخرته بآل بيته وهجومه على العلويين في كثير من قصائده فقرر ان يرد على هذا الفخر

باظهاره مآثر العلويين وفضائل علي .. فرد على الهجوم بهجـــوم مثله ..

ولعل السر في تعلق تميم بابن المعتز ومحاكاته ومناقضته هو ان المغاربة كانوا حريصين على تقليد أهل المشرق في كل شيء لان اللغة نبعت من الشرق وهى أصل العلم ومنبع الحضارة ولذا فقد كان اهـل الاندلس حريصين على تقليد المشارقة والتشـبه بهم ، والتعلق بأذيالهم .. فاذا نبغ شاعر في الاندلس راحوا يتلمسون له أقـرب الشعراء اليه من أفذاذ المشرق فابن هانىء الاندلسي كانوا يطلقـون عليه متنبى الغرب وابن زيدون بحترى الغرب ، وهكذا حتى لقـد عاب عليهم ابن بسام صاحب الذخيرة هذه الظاهرة عندما قال : « انه لو نعق بتلك الآفاق غراب او طن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على ذلك صنما وتلوا ذلك كتابا محكما (١) .

فلا غرابة ان يتشبه تميم بابن المعتز ولا غرابة ان يقلده ويحاكيه ويفاخره ويرد عليه .. لأنه أمير وشاعر مثله .. ولكل منهما نصيب في رقة الشعور وعذوبة الشعر وجمال التشبيهات ولطف الكنايات ورقة الاستعارات ولم يتباعد بينهما الزمان فبين مقتل ابن المعتز وميلاد تميم فترة زمنية صغيرة لا تتجاوز أربعين عاما ..

وقد لاحظ الاقدمون هذا الشبه الكبير بين تميم وابن المعتـز ..

---

(١) تاريخ النقد الأدبي د . محمد زغلول سلام (١ : ٦١ ــ ط دار المعارف بمصر .

يقول ابن فضل الله العمرى « تشبه تميم بابن عمه ابن المعتز وتشبث بذيله » (١)

ويقول ابن الابار : شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع ولا مدافع وكان فيهم كابن المعتز في بنى العباس غزارة علم ، ومعاناة أدب وحسن تشبيه ، وابداع تخييل وكان يقتفى مثاره ، ويصوغ على مناحيه في شعره اشعاره ٠

ولشدة اعجاب تميم بابن المعتز كان يتصفح ديوانه ويحاول ان يعارضه في قصائده وان يتفوق عليه في افكاره ومعانيه وألفاظه ٠

وفي ديوان تميم ما يدل على أنه كان يعارض ابن المعتز ويرسل بالمقطوتين الى أحد الشعراء ليحكمه بينهما ٠

قرأ لابن المعتز مقطوعة غزلية رقيقة فعارضها وارسل المقطوعتين الى ابى عبد الله الرسي وحكمه بين الاثنتين ٠٠ فكتب الحكم رايه شعرا قال ابن المعتز :

شغلت بلذة القبل
ووعد الكتب والرسل
ومعشوق يواصلنى
بلا مطل ولا علل

(١) مسالك الأبصار ص ١ من القسم الأول من الجزء الثانى عشر ٠ نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة ٠

أتى عجلا يطير به
جناح الخوف والوجلْ
وندمان يساعدنى
ويسقينى ويشرب لى
مضرجة اذا اضرم
تهما ترميك بالشعلْ
موردة اذا مزجت
كورد الخد من خجلْ

فعارضها تميم في قوله :

شغلت بخاسة المقلْ
ومزج الكحلْ بالكحلْ
وما اعتلت به الالحا
ظ في اجفانها النجلْ
ومعشوق يكاد يذو
ب خداه من القبلْ
يعاتبنى ويعتبنى
ويغضبنى ويغضب لى
تلاقينا بلا وعد
ولا كتب ولا رسلْ
يشجعنا تعاشقنا
وتخذلنا يد الوجلْ

فالثنـــــى حصى بـــرد
تفجـــر من جنى عســـلْ
ويرفـــع وجهـــــه عنى
بظـــاهر حمـــرة الخجـــلْ
غـــزالٌ لم أرح يـــــوما
به خلـــــوا من الوجـــل

فبعث اليه ابو عبد الله الرسي (١) بذلك الحكم :

وحـــق تـــورد الخجـــلْ
وطيب تقـــرب الامـــــلْ
وحـــق الحـــــب اذ يأتى
بحســـن تكسـر المقـــلْ
وما ابداه من أهـــــــوا
ه من صـــــــد ومن عللْ
وحقـــــك يا أميرى ظلـ
ـت في قصف وفي جـــذلْ
لشعرك مشبه الماء الذى يروى صـــدى الغللْ
وثوب البربر يلبســـــه الذى أشفى مع العللْ
وحلتــــه اذا نشــــر
تضـــمضع سـائر الحلـــلْ

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم بن أحمد بن القاسم ينتهى نسبه الى الامام علي كرم الله وجه .

فقـــــولى كله صـــــدق
وعبـــد الله يشهد لى (١)

وهذا أكبر شاهد على ان الامير تميما كان معجبا بابن عمه الامير أبى العباس عبد الله بن المعتز يترسم خطاه ويســـير على نهجه ويحاول ان يجاريه ويحاكيه ويتفوق عليه في كل ما قال .. وعـــلى الرغم من هذا التشابه .. فقد كان بينهما خلاف في المذهب والسياسة فابن المعتز كان سنيا وتميم كان شيعيا وابن المعتز كان عباســـيا متعصبا لاهل بيته مدافعا عن حقهم في الخلافة ومبطلا لحجة العلويين وتميم كان فاطميا علويا يفخر بالعلويين ويتعصب لهم ويناقض ابن المعتز ويرد عليه فخرا بفخر وحجة بحجة .. وهذا الجانب هو الذى يعنينا في هذا البحث لنرى الى أحد وصل الصراع بين العباســـيين والعلويين والى اى مدى تأثر الادب بهذا الصراع ..

واذا كان هذا لصراع فيه شر على الامة الاسلامية .. فقـد كان فيه خير كثير على الادب فقد راعاه وزكاه .. وجعله ينمو ويتـــرعرع .. ويؤتى ثماره ..

فالادب ينشط بالحركة وينمو في ظلال الخصومات ويزدهر تحت راية المعـارك ..

وقبل ان نتحدث عن أثر الصراع بين العباسيين والعلويين في

---

(١) أنظر المقطوعات الثلاث فى ديوان تميم بن المعز ص ٣٥٠ وما بعدها.

ادب هذين الاميرين : ابن المعتز وتميم بن المعز ينبغى علينـــــا أن نعرف بالشاعرين تعريفا موجزا ‥ حتى يكون القارىء على عـــلم بكل منهما قبل أن يدخل في حلبة الصراع بينهما وما كان له من اثر في أدب كل منهما ‥

اولا : عبد الله بن المعتز

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ولد بمدينة ســــامراء لسبع بقين من شعبان سنة ٢٤٧ هـ على ارجح الاقوال من أم رومية واب عباسي هاشمى ‥ وكان ابوه جميلا وسيم الطلعة ذكيا حاضر البديهة أديبا قال الشعر وارتجله ٠

وقد كان مولده في عهد جده المتوكل وهو عهد زاهر من أجمـــل عهود الخلافة العباسية ‥ وقد نما ابن المعتز في ظلال القصـــور وعاش في سعة من العيش وبحبوحة من النعيــــم ‥ في ظل ابويه الكريمين حتى عصفت الاحداث بجده الخليفة المتوكل عنـــدما تآمر الاتراك عليه مع ابنه المنتصر وقتلوه ‥ وأسرعت الاحداث تتـــلاحق حتى اغتيل ابوه ٠ وهو يافع لم تؤهله سنه أن يشعر بالـــــكارثة فاحتضنته جدته قبيحة التى نفيت الى مكـــة في عهـــد المهتـــدى وحفيدها ابن المعتز في حضنها وبقيت في جوار بيت الله حتى استدعاها الخليفة المعتمد ومعها عبد الله وقد كان حينئذ في سن تؤهله لادراك الامـــور ٠

وتذكر الروايات انه أحيط بالمؤدبين عندما أصبح في سن تؤهله للتعليم والتأديب .. ثم اقبل على أساطين اللغة وعلماء الاســـلام يعب من بحرهم وينهل من معينهم حتى أصبح علما من اعلام الادب واستاذا من أساتذة اللغة وشاعرا مفلقا لا يشق له غبار .

ويكفيه شرفا أن يتلمذ على أمثال : أبو جعفر محمد بن عمران الضبى صاحب النحو والقراءات وابو العباس المبرد وهو العـــالم الفذ الذى انتهت اليه مدرسة البصرة ، وابو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وقد انتهت اليه مدرسة الكوفة .

ومحمد بن هبيرة الاسدى من علماء الكوفة وكان متضلعا باللغـــة وغريبها .. ومنهم أبو الحسن احمد بن سعيد الدمشقى الذى كان لا يفـــارقه .

وقد هيأت جدته له مكتبة عامرة في العلوم والآداب فانكب عليها يعب من تراث الاقدمين فيما ترجم عنهم من علم وأدب وفلســـفة ومن علوم العرب وآدابها وعلوم القرآن والحديث . ومثلما تهيأ له الدرس والبحث كان ينعم في رغد العيش في ظلال المعتمد والمعتضد والمكتفى ...

فأصبح ابن المعتز بما اتيح له من هذا العلم .. وبما وهبه الله له من هذا الشرف والجاه مثار الاعجاب والفخر ، وتطلعت اليه عيـــون المحبين ونظرت اليه شزرا عيون الحاقدين والمرجفين تخافه وتخشاه وتتآمر عليه وترجو أن لا يجلس على كرسي الخلافة ابدا .

وينظر ابن المعتز الى هؤلاء وهؤلاء فيفضل دفتره وقلمه ويترك لخياله أن يسجل الفخر لبنى العباس وان يصب الويل والثبور وعظائم الامور على اعدائهم من العلويين والخارجيين والثائرين والمارقين من أعداء الدولة العباسية ·

يقول أبو الفرج « وممن صنع من اولاد الخلفاء فأجاد واحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا وادبا وظرفا وتصرفا في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز » ·

وجاء في اولاراق للصولى ان داره كانت مثابا لاهل الادب وكان يجالسه منهم جماعة ولا يذكر له أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عددفضائله وناضل عنه ونصره الا انه كان يقدم بنى هاشم ويفضلهم وما سمعته في حال من الاحوال ينقص أحدا ولا عرض بذلك ولا اوما اليه ··

وكتب النقد القديمة تشير كلها الى أن منزلة عبد الله بن المعتز من الشعر شريفة وأنه اشعر بنى هاشم وانه فخر الخلفاء وصاحب الشعر الرقيق والنشيد المنيع الرفيق واول من صنف في صنعة الشعر : أرق الناس في الاوصاف والتشبيهات وهو القائل « اذا قلت كأن : ولم آت بعدها بالتشبيه فض الله فاى » (١) ·

وفي آخر أيامه « تحزب له جماعة من الجند والاتراك على العادة الجارية في ذلك العهد وخلعوا الخليفة المقتدر سنة ٢٩٦ هـ وبايعوا

---

(١) انظر تحقيق ديوان ابن المعتز ص ١٦٦ لمحمد بديع شريف ·

لابن المعتز وسموه المرتضي بالله فاقام يوما وليلة ثم تحزب اصحاب المقتدر وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم واعادوا المقتدر الى الخلافة واختفى ابن المعتز في بيت الجصاص التاجر الجوهرى المشهور يومئذ فأخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله ودفعه الى اهله ملفوفا في كساء وكان ذلك سنة ٢٩٦ هـ » (١) .

وقد كان ابن المعتز غيورا على قومه من بنى العباس حريصا على أن تكون الخلافة بأيديهم قوية منيعة مهابة كما كانت في أيام اسلافه الاول في بداية الدولة العباسية ..

ومن أجل هذا الحب لبنى العباس فقد كان يدافع عنهم بكل قوة ويتصدى بقلمه لاعداء الخلافة حتى ولو كانوا من بنى عمومته من العلويين .. فقد نالوا قدرا من هجومه لانه رأى فيهم خطرا حقيقيا على اسرته .. وهذا ما دفع الكثيرين من المترجمين له .. الى القول بأنه كان عدوا لدودا لبنى عمه من العلويين .. وسنرى أثر ذلك في شعره بعد التعريف بخصمه وابن عمه الامير تميم ابن المعز ان شاء الله ..

ثانيا – تميم بن المعز

هو الامير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى بن المنصور بالله ابن القائم بأمر الله ولا خلاف بين الكتاب على تسلسل نسبه على هذا

(١) تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان جـ ٢ ١٨٧ ط دار الهلال مصر .

النحو ولكن الخلاف شديد في نسبه القائم بأمر الله الى عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية والخلاف شديد كذلك في نسب عبيد الله المهدى الى الاسرة الفاطمية .. وان كان الامير تميم يلح في اشعاره على الانتساب الى النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من جهة فطمة الزهراء رضي الله عنها ..

ولد الامير تميم سنة ٣٣٧ هـ (١) في مدينة المهدية بتونس، تلك المدينة التى بناها عبيد الله المهدى واتخذها عاصمة له سنة ٣٠٨ هـ واستقر بها هو وآل بيته وكبار رجال دولته وظلت كذلك الى أن بنى المنصور بالله جد تميم مدينته المنصورية سنة ٣٣٧ هـ

« ومن الطريف حقا ان نجد في كتب الفاطميين ان أباه المعز لدين الله الفاطمي كنى بأبى تميم ولما يولد تميم بعد بل انه كان يكنى بأبى تميم وهو لا يزال في سن الطفولة » (٢) .

ويروى القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربى ان المعز لدين الله قال : لقد كان القائم بأمر الله يأخذنى وانا في سن الاطفال فيضمنى الى صدره ويقبل ما بين عينى ويقول : أنت ابو تميم حقا (٣) .

ومهما يكن من امر فان تميما كان الابن الاكبر للمعز لدين الله

(١) وفيات الأعيان ١ : ٨ .
(٢) مقدمة ديوان تميم ص و محمد حسن الأعظمى .
(٣) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ١ : ٩١ نسخة خطية .

الفاطمى •• وقد رزق المعز لدين الله بأربعة أبناء ذكور هم تميم ، وعبد الله ، ونزار الذى لقب بالعزيز وعقيل •• وقد نشأوا جميعـــا في قصر الخلافة بالمهدية ثم بالمنصورية ، وترعرع الامير تميم في ابهة الملك الى أن اتخذ لنفسه عبيدا ودارا بالمنصورية •

قدم الامير تميم مصر سنة ٣٦٢ هـ وهو في الخامسة والعشرين من عمره وسكن القصر الكبير في القاهرة •

وقد اشتهر الامير تميم بالميل الى اللهو والمجون •• وعـــدم القدرة على تحمل المسئولية •• وهذا ما حمل اباه على الا يعهد اليه بأى امر ذا بال في الدولة •• لعدم ثقته فيه •• فعندما دخل القرامطة مصر بقصد انتزاعها من الفاطميين ســـنة ٣٦٣ كان قائد جيش الفاطميين للتصدى للقرامطة هو الامير عبد الله بن المعز •

وعندما توفي عبد الله هذا – وقد كان وليا للعهد – جـــعل أبوه ولاية العهد في ابنه الثالث نزار الذى لقب بالعزيز ••

وتوفي المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٦٥ هـ فآلت الخـــلافة الى نزار وعندئذ أيقن تميم أن الامر قد خرج من يديه البتـــه ولا ســـيما بعد ان أنجب العزيز ولده المنصور الذى لقب فيما بعد بالحاكم بأمر الله الفـــاطمى •

ويذهب ابن الابار الى ان المعز لدين الله الفاطمى لم يول تميما بمشورة من جوهر الصقلى بدعوى ان تميما لم ينجب ولدا (١) •

---

(١) الحلة السيراء ص ٢٩١ •

وهذه دعوى باطلة فقد اثبت كثير من الدارسين أن تميما لم يكن عقيما ·· وأنه أنجب ولدا يدعى عليـــــا ·· وكان يكنى بأبى عـــلى (١) ·

وأغلب الظن ان السبب الذى حمل المعز على تنحية تميم عن ولاية العهد هو انه كان منصرفا الى اللهو والمجون ·· ومثل هـــذا لا يصلح لتحمل عبء الخلافة الثقيل ·· وبخاصة ان الدولة كانت فتية وتحتاج في قيادتها الى رجال أشداء ··

وعلى الرغم من تنحية تميم عن ولاية العهد فلم يحقـــد على ابيه ولم يكره أخاه ·· ولم يتآمر عليهما وانما كان يحبهما ويخلص لهما الولاء ويكثر من مدحهما والثناء عليها ·· ويبدو أنه قنع بحياته اللاهية وترك الخلافة واعباءها لمن هم أقدر منه على تحملها وعاش في مصر حياة لهو وترف ·

ووجد في البيئة المصرية من المتنزهات والديارات ما وافق هواه ومزاجه فأكثر من الخروج الى « المختار » بجزيرة الروضة والى دير القصير بالقرب من قصوره وشارك المصريين في لهوهم ولا سيما في ايام الاعيـاد ··

وفي مصر اتخذ لنفسه عددا من الاصدقاء ·· وديوانه الذى بين أيدينا الآن يذكر بنى الرسي ممن اصطفاهم الامير وبنو الرسي أسرة علوية عاشت في مصر قبل العصر الفاطمى ·

---

(٢) راجع تقديم الديوان ص م ·

« ولا شك ان تميما كان على صلة ما بغير « الرســـــبين » من شعراء مصر الماجنين أمثال صالح بن رشيدين وابن أبى العصام وابن ابى الجوع والروزبارى وغيرهم فهؤلاء جميعا كانوا من كتـــــاب وشعراء العصر الفاطمى بالقاهرة ، وكانوا مثل الامير تميم يميلون الى اللهو والى الخروج الى المتنزهات والديرات وفى اشعارهم هذا الاتجاه الفنى الذى نجده عند تميم ..

هكذا عاش الامير تميم حياته القصيرة اذ توفى سنة ٣٧٥ ﻫ وهو فى نحو الثامنة والثلاثين من عمره ودفن فى تربة الزعفران مع آبائه وأجـــداده (١) .

٣ ــ الصراع بين الشاعرين

بعد أن تحدثنا عن ابن المعتز وتكلمنا عن الامير تميم ينبغى ان نتحدث عن محك الصراع بينهما .. مع انهما لم يتزامنـــــا ولم يتقابلا لان ابن المعتز قتل قبل مولد تميم بزمن قصير ..

ولكن اصـــــل الخـــــلاف يرجع الى طبيعة الصراع القائم بين العباسيين والعلويين منذ قيام الدولة العباسية .. فابن المعتز كان سنيا عباسيا يتعصب لاهل بيته من بنى العباس ويكن لهم المودة والصفاء ويرى انهم أحق الناس بخلافة المسلمين وكان حريصا على ان تظل الخلافة فيهم قوية عزيزة .. وعندما احس بضعف الخـــلافة

---

(١) تقديم دار الكتب للديوان ص ف .

وتكالب الموالى عليها حاول أن ينقذها من الضياع وأن يصلح ما افسده الزمن ، وقد دفع حياته ثمنا لذلك .. وفي سبيل هذا الحب للعباسيين جند قلمه للدفاع عنهم والفخر بمآثرهم وامجادهم .. كمـــا حارب خصـــومهم وشن عليهم حملات شديدة لانه كان يرى فيهم خطـرا داهما يهدد سلامة الدولة ..

ولمـا كان العلويون ينافسون أبناء عمومتهم في الشرف والجـاه والقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والتطلع لقيـــادة المسلمين .. فقد رأى فيهم ابن المعتز عدوا يجب التصـــدى له .. وابطال حججه ودعواه ودفعه بكل قوة عن طلب الخـــلافة او التطلع اليهـــا ..

اما تميم فقد نجح آباؤه في اقامة دولة فاطميـــة فتيه في مصر والمغرب .. على غرار الدولة العباسية في المشرق فكان طبيعيـا ان يتشبع تميم بأفكار الشيعة وآرائهم .. وكان طبيعيـــا ان يلخص لافراد أسرته من الحكام .. وان يتعصب لهـــذه الدولة الشابة وأن يتصدى للعباسيين الذين كانوا في نظره مغتصبين للخلافة من آبائه وأجـــداده ..

ولقد قرا تميم ديوان ابن المعتز .. وأعجب بشعره .. وشـــهد ما كتبه ابن المعتز في الاشادة بمجد العباسيين وما كتبه بخصـــوص العلويين من النصح لهم حينا والهجوم عليهم احيانا .

ولمـا كان تميم شاعرا لا يقل اجادة ولا عبقرية عن ابن المعتـز

فقد قرر أن يرد عليه .. وأن يناقضه .. وأن يناقشـــه في أرائه وادعـــاءاته ..

ولنبدأ باحدى قصائد ابن لمعتز ونحللها ثم نقابلها باحــدى قصائد تميم لنرى موقف كل منهما من قضية الحكم والخلافة .

يقول ابن المعتز في قصيدة مطلعها :

الا من لعين وتســـكابها
تشكى القذى وبكاها بها (١)

وفيها يقول مخاطبا العلويين :

نصحت بنى عمى لو وعـــوا
نصـيحة بر بأنســـــابها
وقد عقدوا بغيهم وارتقوا
بزلاء تنـــزو بركابهـــا
وراموا فرايس اسد الشرى
وقد نشبت بين انيابهـــا
دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا
بما تدع الاســـد في غابها
قتلنـــا أميـــة في دارها
ونحن احـــق بأســـلابها

---

(١) ديوان اشعار الأمير ابى العباس عبد الله بن المعز جـ ١ ص ٢١٩

وكم عصبة قد سقت منكم الـ
خـــلافة صـــابا بأكوابها
اذا ما دنوتم تلقتـــــكم
ذنوبا وقـــرت لحـــلابها
ولمـــا ابى الله أن تملكوا
نهضـــنا اليها وقمنا بها
وما رد حجابها وافـــــدا
لنا اذ وقفنا بأبوابهـــــا
كقضب الرحى وافقت آختها
دعـــونا بها وعلينا بهـــا
ونحن ورثنا ثيـــاب النبى
فـكم تجـــذبون بهـــدابها
لـكم رحم يا بنى بنتـــه
ولـكن بنـو العم أولى بها
به غســـل الله محل الحجاز
وابراها بعـــد أوصـــابها
ويوم حنـــين تداعيتـــم
وقد ابدت الحرب عن نابها
فمهـــلا بنى عمنا أنهـــا
عطية رب حبـــانا بهـــا
وكانت تزلزل في العـــالمين
فشدت الينا بأطنـــابها

وأقســـم أنكم تعلمـــون
بأن لها خير اربابهـــا (١)

يبدأ ابن المعتز نصيحته لابناء عمومته من العلويين بأن يتركوا الامر لاصحابه من العباسيين فهم أحق به واولى .. وقد افتخر عليهم بأن العباسيين اسودا مفترسة قد ظفرت بفريستها وأنشبت فيهـا أظفارها .. ولا يليق بمن هم في منزلة آقل ان يشاركوا الاسود طعامهم او ينافسوهم فيه وانما عليهم أن يصبروا حتى تشـبع الاسود ثم يأخذوا بعد ذلك ما تبقى من الفريسة .. فكأن العلويين ضبـاع او ذئاب أو غيرها من الحيوانات الجبانة التى لا تأكل الا فضلات الاسود..

وكأن الخلافة طعام شهى لا يظفر به الا الاسود .. واما ما عداهم فينبغى ان يصبروا حتى يشبع أسيادهم .. ثم يأكلون فضـلاتهم ولا يليق بهم أن يشاركوهم في امرهم ..

وذلك قـوله :

نصحت بنى عمى لو وعوا
نصيحة بر بأنســابها
وقد عقدوا بغيهم وارتقـوا
بزلاء تنـزوا بركابهـا
ورامو فرايس أســد الثرى
وقـد نشبت بين انيابهـا

---

(١) ديوان ابن المعز ١ : ٢٣٢ .

دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا
بما تدع الاســد في غابها

وابن المعتز يرى أهله احق بالخلافة من غيرهم فهم ليســوا مغتصبين لها من العلويين وانما هى حــق ثابت لهم استخلصوه بأيديهم من بنى أمية الغاصبين حيث قتلوا بنى اميــة وشردوهم واعادوا الحق الى أهله ومن قتل قتيلا فله سلبه :

قتلنا أميــة في دارها ونحن احق بأســلابها

ثم يوضح لبنى عمه من العلويين ان العباسيين يحكمون بتفويض من الله تبارك وتعالى وأن الله تعالى قد صرف الخلافة عن العلويين لانهم ليسوا اهلا لها فقد أخذها منهم الامويون قسرا ٠٠ولم يستطيعوا أن يستردوها فنهض لها بنو العباس واستخلصوها من بنى أميــة واخذوها بأمر الله :

ولمــا أبى الله ان تملكوا
نهضــنا اليها وقمنا بهــا
وما رد حجابهــا وافــدا
لنا اذ وقفنــا بأبوابهــا

ثم أخذ ابن المعتز يعدد فضائل جده العباس فيشير الى قصة الكساء ٠٠ وهى قصة رواه الترمذى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يا عم : لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى اواتيكم فان لى فيكم حاجة فلما أتاه اشتمل عليــه بملاءة ثم قال : يارب هذا عمى ، وصنو ابى وهــؤلاء اهــل بيتى

فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ٠٠ رواه ابن غيـــلان ورواه الترمذى (١) ٠

والى تلك الحادثة يشير ابن المعتز ويرى أن العباسيين ورثوا ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وهى الخلافة ويلوم على العلويين أن يجذبوا بأهدابها فيقول :

ونحن ورثنا ثيـــاب النبى فلم تجذبون بهدابها ؟

ثم يشير ابن المعتز الى موقف العباس يوم حنيـــن حيث كان سببا في انتصار المسلمين بعد ان ولوا مدبرين ٠٠

روى ابن اســـــحاق ان العباس بن عبد المطلب قال : انى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بزمام بغلته البيضاء وكنت امرءا جسيما شديد الصوت قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول حين راى من الناس : اين أيها الناس ٠ فلم أر الناس يلوون عـــلى شيء قال يا عباس اصرخ : يا معشر الانصار ، يا معشر أصـــحاب السمرة قال فأجابوا لبيك ٠ لبيك حتى اذا اجتمـــع اليهـــم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا (٢) ٠

والى ذلك يشير ابن المعتز في قوله :

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنيه ١٦١ يوسف بن اسماعيل النبهانى ط بيروت ٠

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ــ القسم الثانى ص ٤٤٤ ٠

ويوم حنين تداعيتـــــم
وقد أبدت الحرب عن نابهـــا
ولما علا الحبر اكفـــانه
هوى ملك بين أثوابهـــا

وفي نهاية القصيدة يعود ابن المعتز الى نصح العلويين بالابتعاد عن الخلافة فهم ليسوا أهلا لها ‥ ولذا فقد صرفها الله تعالى عنهم واعطاها لبنى العباس منحة وهبة منه لمن يستحق ‥ ثم يؤكد أن العلويين يعلمون كل ذلك ولكنهم يكابرون فيقول :

فمهلا بنى عمنـــا انها
عطيـــة رب حبانا بهـــا
وكانت تزلزل في العـــالمين
فشـــدت الينا بأطنابها
واقسم انكـــم تعلمـــون
بأنا لها خـير أربابها (١)

وقد عارض تميم بن المعز هذه القصيدة وافتخر على ابن المعتز ورد عليه في كل ما ادعاه من الفضل لقومه والاحقية للخلافة ‥

يقول تميم في قصيدة مطلها :

الا من لنفسي وأوصـــابها
ومن لدموعي وتســـكابها

---

(١) ديوان ابن المعز ١ : ٢٢٢ ٠

اذا قزع الشوق حب القلوب
كــواها بشـــدة لتهابهــا

وبعد المقدمة يقول :

أاوســـــطها مثل اطرافها
أأرؤوســــــها مثل أذنابها
أعباســـها كأبى حـــربها
عـلى وقاتل انصـــــابها
واولهـــا مؤمنـــــا بالاله
واول هـــادم أنصـــــابها
بنى هاشــم قـــــد تعابيتم
فخلوا المعـــالى لاصـحابها
أعباســــكم كان سيف النبى
اذا أبدت الحرب عن نابها
أعباســـكم كان في بـــــدره
يزود الكتـــاب عن غابهــا
أعبـــــاسكم قـــاتل المشركين
جهـــــارا وســـالك اســـــلابها
اعاســــــكم كـــوصي النبى
ومعطى الـــرغاب إطـــــلابها
أعبــاسكم يشرح المشـــكلات
وفتـــــح مقفـــــل ابوابهـــــا

عجبت لمرتكب بغية
غوى المقالة كذابها
يقول فينظم زور الكلام
ويحكم تنميق الهابها
« لكم حرمه يا بنى بنته
ولكن بنو العم اولى بها »
وكيف يجوز سهام البنين
بنو العم أف لغصابها
بذا انزلَ الله آى القرآن
اتعمون عن نفس اسهابها
لقد جار في القول عبد الاله
وقاس المطايا بركابها
ونحن لبسنا ثياب النبى
وأنتم حذبتم بهدابها
ونحن بنوه وورائه
واهل الوراثة اولى بها
وفينا الامامة لافيكم
ونحن أحق بجلبابها
ومن لكم يا بنى عمه
بمثل البتول وانجابها
وما لكم كوصي النبى
أب فتراموا بنشابها

ألســنا لبــاب بنى هاشــم
وســاداتكم عنــد نســابها
ألســنا ســبقنا لغــاياتها
ألسنا ذهبنا بأحســـابها
بنــا صـــلتم وبنــا طلتم
وليس الولاة ككـــــــابها
ولا تســفهوا أنفسا بالـكذاب
فــذاك أشـــد لاتعـــالها
فأنتم كلحــن قوافي الفخـــار
ونحن غـــدونا كاعرابهـــا (١)

يبدأ تميم مفاجرته ورده على ابن المعتز بتسفيه بنى هاشـم ورميهم بالجهل والضلال والخطل في انتفكير والاضطراب في المنطـق لانهم يسوون وبين الزيل والراس ٠٠ ثم يقارن بين العباس وبين على ويفضل عليا على العباس في كل شيء فعلى كان أول مؤمن بالله حيث أسلم صبيا وتربى في حجر النبى صلى الله عليه وسلم وعنـدما كبر اصبح سيفا للنبى – صلى الله عليه وسلم يذود عنه في الحرب والسلم ٠٠ ولا أدل على ذلك من موقفه في غزوة بدر حيث اطاح بالهـامات وحصد الرءوس ورد الكتائب على أعقابها ٠٠

ثم يذكر ان النبى – صلى الله عليه وسلم – قد اوصي بالخـلافة لعلى يوم غدير « خم » عندما قال : من كنت مولاه فعلى مولاه ٠ اللهم

(١) ديوان تميم ص ٨٠ ٠

والِ من والاه وعاد من عادة ٠٠ وقوله له : أنت منى كهارون من موسى غير انه لا نبى بعدى ٠ ـ وان عليا كان أعلم الصحابة واقضاهم وأقدرهم على حلّ المشكلات وذلك في قوله :

الاقلْ لمن ضلّ من هاشم
وراموا اللحوق بأربابها
أأوسطها مثلُ اطرافها
أأرؤسها مثلُ اذنابها
أعباسها كأبى حربها
على وقاتلُ نصابها
واولها مؤمنا بالاله
وأولُ هادم انصابها
بنى هاشم قد تعناميتم
فخلوا المعالى لاصحابها
أعباسكم كان سيف النبى
اذا أبدت الحرب عن نابها
أعباسكم كان في بدره
يذود الكتائب عن غايتها
أعباسكم قاتلُ المشركين
جهارا ، ومالك اسلابها
أعباسكم كوصي النبى
ومعطى الرغاب لطلابها

ثم يرد على ابن المعتز مقولته في ان بنو العم اولى بالارث من ابناء البنات •• ويتهمه بالمغالطة والكذب والتزوير والجور عن القصد •• فالبنت لها سهم مفروض مسجلٌ في كتاب الله وذلك امر لا ينكره الا الظالمون •• وذلك حيث يقولُ :

عجبت لمرتكب بغية
غوى المقالة كذابها
يقولُ فينظم زور الكلام
ويحكم تمنيق اذهابها

وهو يشير بذلك الى قول ابن المعتز :

لكم حرمة يبانى بنته ولكن بنو العم أولى بها

ثم يقول :

وكيف يحوز سهام البنين
بنى العم آف لغصابها
بذا انزلَ الله آى القرآن
اتعمون عن نص اسهابها
لقد جار في القولَ عبد الاله
وقاس المطايا بركابها

واذا كان العباسيون يستندون الى قصة الكساء في دعوى الخلافة والتى أشار اليها ابن المعتز في قوله :

ونحن ورثنــــا ثيـــاب النبى
فلم تجـــذبون بأهدابهــــــا

فان العلويين يستندون في دعواهم الى قصة مماثلة .. فهم يرون ان المقصود من اهل البيت في قوله تعالى :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطركم تطهيرا هم « على وفاطمة والحسن والحسين » ذلك ان الآية نزلت والنبى في بيت ام سلمة وهى جالسة عند الباب فقالت يا رسول الله ألست من اهل البيت ؟ فقال : انك على خير ، انك من ازواج النبى ثم أتى بكساء فجاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء على فأدخله ثم دعا النبى بقوله : « اللهم ان هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (١)

والى ذلك يشير تميم في قوله :

ونحن لبســـــنا ثيـــاب النبى
وأنتم جـــذبتم بهـــدابها
ونحـــــن بنــــوه ووراثـــه
واهــل الوراثة اولى بهـــــا
وفينــــا الامــــامة لا فيكـــم
ونحـــن أحـــق بجلبـــابها

(١) انظر الدرر الثمينة للسيوطى الجزء الخامس والفخر الرازى وجماعة من المفسرين فى تفسير الآية الكريمة .

وفي نهاية القصيدة يشير تميم الى ان الخلافة كانت في الاصل للعلويين ولكن العباسيين قد اغتصبوها منهم ·· ولولا حب الناس للعلويين ونقمتهم على بني امية ما وصلت الخلافة الى العباسيين ·ويعير العباسيين بأنهم استغلوا قرابتهم للعلويين وتمسكوا بأهداب الخلافة ووصلوا اليها عن هذا الطريق ولولا انهم ابناء عمومة علي لما وصلت الخلافة اليهم أبدا وذلك في قوله :

السنا لبـاب بني هاشـم
وسادتكم عنـد تنسـابها
ألسنا سبقنا لغاياتها
السنا ذهبنـا بأحسابها
بنا صلتم وبنـا طلتـم
وليس الـولاة ككتـابها
ولا تسفهوا انفسـا بالكذاب
فذاك أشـد لاتعـابها
فانتم كلحن قوافي الفخـار
ونحـن غـدونا كاعرابهـا

ومهما يكن من شيء فقد استطاع تميم ا ن يرد على ابن المعتز وان ينقض عليه اقواله ·· في منطق سليم وبرهان ساطع وحجة قوية ·· وكان كلامه أشبه ما يكون بالخطب الحماسية منه بالشعر الغنائي

فلقد غلبت عليه الحماسة ·· وسيطرت عليه فكرة التشيع فاندفع يدافع عن قومه في حماس وقوة ·· وكان في ذلك كالكميت بن زيد عندما كان يتصدى للامويين ويبطل اقاويلهم ويفند مذهبهم في العصر الاموى ·

والمتصفح لديوان ابن المعتز يجد أنه يستخدم وسيلتين في سبيل الوصول الى تثبيت حق العباسيين في الخلافة :

الوســـيلة الاولى :

هى التركيز على القرابة من رســول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبيان فضل العباس رضي الله تعالى عنه وفضل ابنائه ممن بعده ··

والوسيلة الثـــانية :

هى ان العباسيين أكفأ من العلويين لان الفرصـــــة قد اتيحت للعلويين مرتين ولم ينهضوا بها ··

المره الاولى وقت ان تولى على الخلافة ·· فلم تستقم له الامور واخذها منه بنو اميه ·

والفرصة الثــانية :

عندما آلت الخلافة الى بنى أمية غصبا وكان في استطاعةالعلويين أن يستردوا حقهم المسلوب ولكنهم عجزوا عن ذلك امام بطش بنى أمية وكلما ثار منهم رجل كان يقتل هو وانصاره وتفشل ثورته ·

وعندئذ نهض العباسيون للخلافة ·· فاســـتطاعوا بكفاءتهم وحسن سياستهم ان يهزموا بنى امية وان يثأروا لابناء عمومتهم ·· وان يأخذوا الخلافة عن جدارة ·· وكان ينبغى للعلويين أن يشكروهم على ذلك وان يساعدوهم في هذا الامر ولكنهم تنكروا لفضـــــلهم ونازعـــوهم حقهم · ·فاســــتحقوا الغضب من بنى العبـــــاس

والنقمة منهم وعلى هذين الوترين اخذ ابن المعتز يعزف اشعاره ..
ليقنع المسلمين بأحقيتهم في الخلافة دون العلويين ابناء عمومتهم ..

ففي مجال الفضل نجد ان ابن المعتز يركز على المآثر التي تنسب الى العباس رضي الله عنه وصلته بالنبي ويصوغها شعرا عزبا جميلا مثل قوله :

أيها السائلي عن الحسب الأط
يب ما فوقه لخلق فريد
نحن آل الرسول والعترة الحـ
ـق وأهل القربى فماذا تريد ؟
ولنا ما أضاء صبح عليه
وأتته رايات ليل سود
وملكنا رق الامامة ميرا
ثا فمن ذا عنا بفخر يحيد

وبعد هذا الفخر بشرف النسب ، والقربى من النبي – صلى الله عليه وسلم – واحقية الخلافة راح يتحدث عن فضائل عمه العباس وقد وجد في سيره عمه مناقب عديدة لا يشاركه فيها العلويون منها موقفه يوم حنين حين ثبت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – ونادى المسلمين بصوته الجهوري فاجتمع الناس معه حول النبي وكان ذلك سببا في النصر بعد الهزيمة .

ومنها موقفه في بيعة العقبة الثانية : فقد خرج مع الرسول – صلى

الله عليه وسلم ـ وكان لم يعلن اسلامه بعد فالتقى بالانصار عند العقبة • وتحدث اليهم قائلا :

« ان محمدا منا ، وقد منعناه من قومنا ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه ، وخاذلوه بعد الخروج اليكم فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده » (١)

والى ذلك يشير ابن المعتز :

وملكنـــا رق الامـــامة ميرا
ثا فمن ذا عنـــا بفخـــر يحيد
وأبونا حـــامي النبي وقـــد اد
بر من تعلمـــون وهـو يـذود
ذاك يوم اســتطار بالجمع روع
في حنـــين وللوطيس وقـــود
كان فيهم منـــا المكــاتم ايمـــا
نا وفرعـون غـــافل والجنـــود
وسل القـوم حين لذوا جميعـــا
غيره كيف فضـــل الملـــدود (٢)

(١) سيرة ابن هشام السم الأول ص ٤٤١ •
(٢) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٤٨ •

ومن مناقب العباس التى اشار اليها ابن المعتز : كتمانه اسلامه وبقاؤه في مكة حتى يكون عينا للرسول على اعدائه المشركين دون أن يفطنوا اليه قال ابن اسحاق :

وحدثنى حسين بن عبد الله عن عكرمة مولى ابن عباس قال : ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت غلاما للعباس ابن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت واسلم العباس واسلمت ام الفضل وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه (١)

وعلى هذا أقام العباس بمكة يكتم اسلامه ، ويكتب الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخبار المشركين وكان من بمكة من المسلمين يتقون به وكان لهم عونا على اسلامهم وأراد الهجرة الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم – مقامك بمكة فأنت اخر المهاجرين كما انى اخر الانبياء (٢)

وعندما وقعت غزوة بدر الكبرى خرج العباس مع المشركين في هذه الغزوة لا ليعينهم ولكن ليتجسس عليهم لحساب النبى – صلى الله عليه وسلم – واصحابه وقد روى ابن اسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبى – صلى الله عليه وسلم – قال لاصحابه في غزوة بدر: انى قد عرفت ان رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد خرجوا كرها لا حاجة

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص ٦٤٦ .
(٢) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ٣ : ١٥٢ .

لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتلـه ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلا يقتله فانه انما اخرج مستكرها (١)

وعندما اسر العباس في غزوة بدر وشد المسلمون وثاقه حزن النبى — صلى الله عليه وسلم — عليه وسهر من أجله ولم ينم فقال له بعض اصحابه : ما يسهرك يا نبى الله ؟ فقال: أسهر لانين العباس فقام رجل فأرخى وثاقه — فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مالى لا اسمع انين العباس ؟ فقال الرجل : انا ارخيت من وثاقه فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — فافعل ذلك بالاسرى كلهم ٠

ومن مناقب العباس ان النبى — صلى الله عليه وسلم — كرمه يوم ان رد عليه أصول ماله ولم يرد عليه الفضل لان الفضل ربا فكان أول رجل يطبق عليه تحريم الربا في الاسلام ٠

ومنها ان عمر قد استسقى بالعباس دون غيره في عام الرماد فنزل المطر ٠٠ بفضله مدرارا

والى ذلك يشير ابن المعتز في قوله :

أبو الفضل اولى الناس بالفضل كلهم
تعالوا نحاكمكم الى البيت والحجر

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام قسم أول ص ٦٢٦ ٠

وبين حنين حين صـــــاح وراءكم
فجئتم وكان الموت أقرب من شبر
ويا معشر الانصــــار من كان عاقدا
لبيعتكم والدين في قبضـــــة الكفر
ولولاه ما قرت بطيبـــــة هجرة
ولولاه لم تجر الجيـــاد على بدر
اقام بدار الكفر عينا على العدى
ينبى نبى الله بالكيـــــد والغدر
لذلك لم ترقـد جفـون محمـد
نبى الهـدى حتى أريح من الاسر
وقالَ دعـــوه انه كان مكـــرها
ودافـــع عنــه بالوعيـد وبالزجر
ورد عليه مالـــه دون غــيره
وان كنت ذا جهلٍ فسلْ كلَّ ذى خبر
ولولا بلوغ الســن منه وكفهـــا
سراجيه لمـا أن اتى آخر العمـــر
لاعطى ابو حفص يديه عنانهـــا
وما شــك فيه والامور الى قــدر
الم تره من قبـــــلُ حين أقامه
شفيعا لاصحاب النبى الى القطر (١)

---

(١) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٥٥ .

وفي قصيدة آخرى يقارن ابن المعتز بين جده العباس اذلى مات على الايمان وسيخلد في الجنة وابى طالب جـــد العلويين الذى مات على الكفر وسيخلد في النار ·

ويخلص من وراء ذلك الى تفضيل العباسيين وان كان لا ينـكر فضل على كرم الله وجهه ثم يهدد العلويين ويتوعدهم ويطلب منهم آن يتركوا العباسيين وشأنهم ويحذرهم عاقبة التمرد والخـــــروج يقـــــول :

يا بنى عمنا الى كم وحتى
ليس ما تطلبونه يســـتقيم
ابدا فاغرين لم تطعموا المل
ك كما زيد عن رضاع فطيم
أبو طالب كفضـــل ابى الف
ضل أما منــكم بهذا عليم
سائلوا مالكا ورضوان عن ذا
اين هـــنا وأين هذا مقيم
وعلى فكابنـــه غـــير شـــك
واجب حقـــه علينا عظيم
فدعوا الملك نحن بالملك اولى
قد أقرت لنا بذاك الخصـــوم
واحذروا ماء غابة لم يزل طـــا
ير حرص عليه منكم يحوم

ان فيها اسدا حوامی اشبا
ل وغيل لم ينج منهـا كليم
وعزيز على أن يصبغ الار
ض دم منكم على كـريم
غير أنا من قد علمتم ولا يصـ
ـح من جمعكم علينا زعيم
لو تهيـأ هـذا ولا يتهيأ
لتهاوت من السماء نجوم (١)

ويكرر تهديده في موضع آخر فيقول :

دعـوا آل عباس وحق أبيهم
واياكم منهم فانهم همـوا
ملوك اذا خاضوا الوغى بسيوفهم
مقابضها مسك وسايرها دم (٢)

وبعد أن بين ابن المعتز فضل جده العباس ، وتحدث عن المناقب التى تنسب اليه . اخذ يعجز العلويين ويبين أنهم ليسوا أهلاً لتحمل الخلافة .. بدليل انها ضاعت منهم يوم أن تولاها على بن أبى طالب فأخذها بنو أمية ولم يستطع العلويين ان يستردوها منهم مع ان قلوب المسلمين كانت معهم .. ولم يستطع أن يقهر بنى امية ويأخذ

---

(١) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٨٩ .
(٢) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٩٠ .

منهم الخلافة الا العباسيون ‥ فكان واجبا على العلويين أن يشكروهم على ذلك بدلا من هذا الجحود ‥

ولقد أتيحت للعلويين فرصة ثالثة لتولى الخلافة عندما تنازل المأمون لولاية العهد لاحد العلويين وهو الامام على بن موسى الرضا ولكن شاءت ارادة الله – سبحانه – ان يموت الرضا قبل المأمون وأن تفلت الخلافة من ايدى العلويين لان الله تعالى لا يريد لهم الملك ‥ وهدف ابن المعتز من ذلك هو اسكات صوت العلويين وتعجيزهم وصرفهم عن طلب الخلافة ‥

يقول في احدى قصائده مخاطبا العلويين :

بنى عمنا الادنين من آل طالب
تعالوا الى الادنى وعودوا الى الحسنى
أليس ابن عباس مجن ابيكم
وموضع نجواه وصاحبه الادنى
وأعطاكم المأمون عهد خلافه
لنا حقها لكنه جاد بالدنيا
ليعلمكم أن التى قد حرصتم
عليها وغودرتم على آثرها صرعى
يسير عليه فقدها غير مكثر
كما ينبغى للصالحين ذوى التقوى
فمات الرضي من بعد ما قد علمتم
ولاذت بنا من بعده مرة اخرى

وعادت الينا مثلما عاد عاشق
الى وطن فيه له كلّ ما يهـــوى
دعونا ودنيانا التى كلفت بنا
كما قد تركناكم ودنياكم الاول(١)

ويكرر المعانى نفسها في قصيدة اخرى مبينا فيها عجز العلويين عن القيام بمهام الخلافة لان العباسيين قد تركوا لهم الفرصة فعجزوا عن آخذها ·· ويوضح ان ارادة الله شاءت ان تكون الخــلافة في بنى العباس دون غيرهم فعلام الحقد والحسد ؟ والتعلق بالاوهام ·· ثم يتمادى في مغالطته فيزعم ان الناس يكرهون العلويين ولا يريدونهم أن يحكموهم وفي النهاية يهدد العلويين بالحرب ·· لو أنهم فكروا في الثورة او التمرد أو الخروج على بنى عمومتهم فيقول :

أبى الله الا ما ترون فمالكم
غضابى على الاقدار يا آلّ طالب
تركناكم حينا فهــلا اخــذتم
تراث النبى بالقنا والقواضب
زمان بنو حرب ومروان ممسكوا
اعنه ملك جاير الحكم غاصب
الا رب يوم قد كسوكم عمايما
من الضرب في الهامات حمر الذوائب
فلما اراقوا بالسيوف دماءكم
أبينا ولم نملك حنين الاقارب

---

(١) ديوان ابن المعتز ١ : ٢١٩ ·

فحين اخـــذنا ثأركم من عـدوكم
قعدتم لنا تورون نار الحبـــاحب
وحزنا التى اعيتكم قد علمتم
فما ذنبنا هل قاتل مثل سالب ؟؟
عطية ملك قد حبانا بفضلها
وقـــدرها رب جزيل المواهب
وليس يريد الناس أن تملكوهم
فلا تثبوا فيهم وثوب الجنادب
واياكم اياكم وحـــــذار من
ضراغمة في الغاب حمر المخالب
الا انها الحرب كما قد علمتم
وجربتم والعلم بعد التجارب (١)

ثم يعود الى المعانى نفســها في موضع آخر فيعير العــلويين بهزيمتهم امام بنى أمية ، ويذكرهم بأن العباسيين قد أخــذوا لهم حقهم ، وردوا لهم كرامتهم يوم أن انتصروا على اعدائهم من بنى امية وهزموهم وأخذوا الخــلافة منهم .. فينبغى عن العلويين ان يحفظوا هذا الصنيع لهم بدلا من هذا الجحود والنكران فيقول :

وما خفنـــا من النـــاس
وهــل في الناس انســان
جـــزينا الامـــويين
ودناهم كمــــا دانــوا

---

(١) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

وذاقــوا ثمــن البغى
وجانوا مثلمــا خـانوا
وللخــير وللشــر
يكف الله ميــزان
ولــولا نحن قد ضـاع
دم بالطف مجــان ★
فيــا من عنــده القبــر
وطين القبــر قــربان
بأســياف لكــم أودى
حســين وهــو ظمــآن
ولـــكن آل عبـــاس
ومـــرو وخراســـان
لقــوا مروان بالــزاب
فعــاد العــير مــروان
ورأب العـــــوبين
لهم جحــد وكفــران
فهــلا كان امســاك
اذا لم يك احســان (١)

وفي النهــاية ينصح ابن المعتز قومه من بنى العباس أن يكونوا يقظين لما يحاك لهم من مؤامرات ودسائس ، وأن يعضوا علـى الخلافة بالنواجذ .. وان يشمروا عن سواعد الجد وأن يشعلوا نيران

★ يريد ابن المعتز : أن العباسين قد ثاروا لمقتل الحسين .

(١) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

الحرب امام كلّ من تسول له نفسه الكيد لهم ، من الحاقدين والحاسدين فيقـــول :

يا آلَ عباس لكم من عثرة
لاتركنن الى الغواة الحسـد
اياكم من يعـــده اياكم
كونوا لهم كأراقم في مرصد
وخذوا نصائح حازم متعصب
بالشيب مجتمع النهى مستأسد
كالطود يعدى حلمه سفهوه
لاينطقون سوى الجواب ويبتدى
شدوا أكفكم عـلى ميراثكم
فالحق أعطاكم وراثة احمد
ومتى يرمها الرايمون فبادروا
هاماتهم حصدا بكلّ مهنـد
قودوا لهم قود الجياد دوابيا
لا يعتدون الى الطريق الابعد
من كلّ احوى بهيم مصمت
ومشمر عن كلّ ساق او يد
طورا مجاهرة وطورا غيلة
كم قاتل بغرار كيد مغمد
هذا هو النصح الصريح وربما
محض النصيحة صاحب لم يجهد (١).

---

(١) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٥١ .

واذا كان ابن المعتز يرى ان قومه من بنى العباس افضـــل من العلويين واحق منهم بالخلافة واقوى على تحمل أعبائها وان العلويين حاقدين على المنزلة التى حبـــاهم الله بها •• ومن ثم فهم دائما ساخطون حاسدون بنى عمومتهم على ما آتاهم الله من فضله ••

اقول اذا كان هذا هو رأى ابن المعتز في العلويين فان تميما ابن المعز يرى رأيا مخالفا لهذا •• فهو يفند مزاعم ابن المعتز ويرى ان العلويين افضل لان جدهم النبى صلى الله عليه وسلم من قبل فاطمة الزهراء •• وجدهم لابيهم على بن أبى طالب أعلى المسلمين منزلة بعـــد النبى •

وفي قصيدة لتميم نراه ينبرى لابن المعتز ويناقضه في كل مزاعمه •• ويعدد مآثر جده على بن ابى طالب وهى كثيرة جدا فسيرته مليئة بالامجاد وزادها الشيعة أمجادا بتأويلهم وتفســيرهم بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة •

يذكر تميم في أول هذه القصيدة ان العباسيين وان كانوا ينتمون لهاشم بن عبد مناف كالعلويين الا انهم لا يساوونهم في الفضل فليس العباس كعلى حيث يقول :

يا بنى هاشم ولسنا سواء
في صغار من العلا أو كبـار
ان نكن ننتمى لجـــد فانا
قد ســـبقناكم لكل فخار
ليس عباسكم كمثل عـلى
هل تقاس النجوم بالاقمـار

وراح تميم بعد ذلك يعدد مناقب جده علي بن أبي طالب كـــرم الله وجهه وأولها السبق والتقدم الى الاسلام حيث أسلم صبيا وبنى في بيت النبوة :

من له الفضل والتقدم في الاســـلام والناس شيعة الكفار

ومنها مصاهرته النبي صلى الله عليه وسلم بزواجه من السيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها ؛ ومنها مؤازرته للنبي صـــلى الله عليه وسلم ووقوفه معه في كل الحروب :

من له الصهر والمواساه والنصـ ـــرة والحرب ترتمي بالشرار

ومنها مؤاخاته للنبي صلى الله عليه وسلم عندما قال النبي له : انت اخي في الدنيا والآخرة .

من دعاه النبي خدنا وسما
ه أخا في الخفاء والاظهار
من له قال انت مني كهارو
ن من موسي أكرم به من نجار

ومنها اختصاصه بالدعاء له وتكريمه يوم الغدير بالنص عليه بالخـــــلافة :

ثم يوم الغدير ما قد علمتم
خصه دون سائر الحضـــار
من له قال : لا فتى كعلي
لا ولا منصل سوى ذي الفقار

ومنها اشتركه في المباهلة :

ويمن بأهــل النبى أأنتم
جهلاء بواضح الاخبار (١)
أبعبــد الإله أم بحســين
واخيه سلالة الاصهار (٢)

ثم يخاطب العباسيين بعد حديثه عن هذه الفضائل فيقول :

يا بنى عمنا ظلمتم وطرتم
عن سبيل الانصاف كل مطار
كيف تحــوون بالاكف مكانا
لم تنالوا رؤياه بالابصــار

ثم يتحدث عن فضائل جده الامام مرة أخرى ومنها النوم عــلى فراش النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة معرضا نفســه لموت محقق .. فيقول :

---

(١) يريد المباهلة التي وقعت بين رسـول الله صلى الله عليه وسلم ونصارى نجران ، والمباهلة : الملاعنة وذلك أن السيد والعاقب وأبا الحارث رؤساء نجران جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وســـلم ليباهلوه فجاء صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول لهم ان دعوت فامنوا فترك أهل نجران المباهله خوفا ورضوا بالجزية (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٤ : ١٠٤) .

(٢) يريد بعبد الله : عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

من توطأ الفراش يخلف فيه
أحمدا وهو نحو يثرب سار
أين كان العباس اذ ذاك ؟ في الهجـ
رة ام في الفراش ام في النار

ثم يخاطب العباسيين مقررا وموبخا فيقول :

الكم مثل هذه يا بنى العبـــا
س مأثــــورة من الآثار

الكم حرمة بعم رسول الله ليست فيكم بذات ثوار

ولنا حـــــرمة الولادة والاعـ
مام والسبق والهدى والمنار
ولنا هجرة المهـاجر قـدما
ولنــــا نصــرة من الانصار
ولنا الصوم والصلاة وبذل الـ
عرف في عسرنا وفي الايسار

ويرد على فخر العباسيين بيوم الكساء وفخرهم بسقاية جدهم الحجيج ونداءه المسلمين يوم حنين ويقارن ذلك بأمجاد عـلى في بدر وخيبر وكلّ الغزوات فيقولُ :

نحن أهلُ الكساء سادسنا الرو
ح أمين المهيمن الجبـــار
نحن أهلُ التقى وأهلُ المواسا
ة وأهلُ النوالُ والايثـــار

فدعوا خطة العلا لذويهـــا
من بنى بيت احمـد الابرار
او فلوموا الاله في ان برانا
فوقكم واغضبوا على المقدار
أجعلتم سقي الحجيج كمن ؟
من بالله مؤمنـــا لا يدارى
أو جعلتم نداء عباس في الحر
ب وقد فر عن لقاء الشفار
كوقوف الوصي في غمرة المو
ت لضرب الرؤوس تحت الغبار
حين ولى صحب النبى فرارا
وهو يحمى النبى عند الفـــرار
واسألوا يوم خيبر واسألوا مك
ـكة عن كره عـــلى الفجار
واسألوا يوم بدر من فارس الاسـ
ـــلام فيه وطالب الاوتار
اسألوا كل غزوة لرسول الله عمن أغار كل مغار
يا بنى هاشم أليس على
كاشف الكرب والرزايا الكبار

ثم اخذ يناقش العباسيين في مسألة الخلافة ويقول لهم : بأى حق استأثرتم بهذا الأمر دوننا ؟ ان كان بالفضل فنحن أفضـــل منكم ؟ وقد سبق ان ذكرت لكم مآثر جدى .. وان كان بالقربى لرســول الله صلى الله عليه وسلم فنحن اقرب اليه منكم .. وان كان بالقوة فسوف

نلقاكم بجحفل لجب من الفاطميين الابطال يذيقونكم الموت صنوفا وألوانا : ـ

يقول مخاطبا العباسيين :

فيماذا ملكتم دوننا ار
ث نبى الهدى بلا استظهار
أبقربى ؟ فنحن أقرب للمو
روث منكم ومن مكان الشعار
أم بارث ورثتموه ؟ فانا
نحن أهل الآثار والاخطار
لا تغطوا بحيفكم واضح الحـ
ـق فيفضي بكم لكل دمار
واصيخوا لوقعة تملا الار
ض عليكم بجحفل جرار
تحت اعلامه من الفاطميين
ن اسود تدمى شبا الاظفار
فاصدروا عن موارد الملك انا
نحن أهل الابرار والاصدار (١)

ولا شك أن هذا الصراع العباسي العلوى كانت له آثار سيئة على الدولة الاسلامية اذ عمل على تمزقها وتقسيمها الى طرائق شتى

---

(١) ديوان تميم ص ١٧٧ ط دار الكتاب المصرية .

فضعف شأنها ، وهان امرها وانفرط عقدها وجعلها تنقسم الى دويلات صغيرة ما زلنا نقاسي من آثارها حتى يومنا هذا ..

أما الادب فقد استفاد فائدة كبرى من هذا الصراع .. فنما وازدهر ، وشب وترترع .. ذلك أن الادب صورة صادقة لما يدور في المجتمع من احداث سياسية او اجتماعية ، ومرآة تنعكس عليها كلّ القضايا .. ومن ثم فقد خلف لنا ابطالُ هذا الصراع أدبا سياسيا حيا نابضا بالحيوية رغم مرور السنين وتعاقب الاعوام .

الفصل السادس

الصراع الدينى والفكرى

أولا – الخوارج :

الخوارج قوم يغالون في رأيهم أبعد المغالاه ، ويتعصبون لعقيدتهم اشد التعصب ، ويبالغون في عداوة غيرهم اعظم المبالغة، وكانوا اعداء الطوائف الاخرى من شيعة ومرجئة ومعتزلة وأمويين والعباسيين يرون دماءهم حلالا ، وحربهم جهادا وانه على قدر قوة العقيدة وشدة الايمان وحرارة العاطفة تكون قوة الدعوة اليها وحرارة الدفاع عنها ٠

ولعل تعصبهم الشديد راجع الى ضيق أفقهم،وضعف ثقافتهم وسذاجة عقولهم ، وقلة مرونتهم ، ونشأتهم البدوية ، واعتدادهم بأنفسهم الى حد الغرور ٠

وقد كانوا من أتباع على رضي الله عنه فلما التقى بمعاوية في صفين وأوشك على هزيمته رفع جند معاوية المصاحف على أسنة الرماح ونادى مناديهم – الله الله في العرب – الله الله في المسلمين – كتاب الله بيننا وبينكم – لا حكم الا الله – فانخدع بعض قواد جيش على ودعوه الى الرضا بما يعرضه اهل الشام فأبى وبين لهم أنهم كائدون لا مخلصون وانهم قد تحللوا لما ايقنوا الهزيمة لانهم ليسوا أصحاب دين ولا قرآن ٠٠ ولكن هلاء النفر من قادة جيش على أصروا

على موقفهم والا تخلوا عنه .. وتحت هذا الاصرار العجيب اضطر على الى قبول التحكيم استجابة لرأى الكثرة وحرصا على وحدة الجيش وكان هذا التحكيم الذى أكره عليه على ابان نزاعه مع معاوية في صفين هو السبب المباشر لنشأة الخوارج فثاروا على امامهم واتهموه بالخطأ لانه قبل التحكيم .

ومن عجب أن هؤلاء الذين اجبروا عليا على قبول التحكيم لم يتركوه حرا في اختيار من ينوب عنه في التحكيم فقد اراد ان يختار ابن عمه عبد الله بن عباس فرفضوا فقرر ان يختار الاشتر النخعى فامتنعوا عليه وأصروا على ان يكون الحكم أبو موسى الاشعرى فاضطر الى قبوله تحت الحاحهم ، وكأنها كانت مؤامرة تريد ان تسير بالأمور الى ما صارت اليه .

والحق أن عليا لم يكن موفقا في هذا الاختيار الذى اجبر عليه تحت ضغط الاشعث بن قيس الكندى واليمنيين الذين كانوا معه . ذلك ان أبا موسى كان — على ورعه وتقواه — لا يجيد المناورة ولا يحسن المكر ، ولا يفطن للخديعة بينما كان عمرو بن العاص نائب معاوية من أكثر العرب دهاء وحسن تدبير .

اجتمع الحكمان في « اذرح » وتداولا في الامر ثم اتفقا على أن يخلصا المسلمين من هذا الصراع بتنحية على ومعاوية معا وترك الامر شورى للمسلمين ليختاروا من يصلح لخلافتهم ..

ولا شك ان هذا كان من تدبير عمرو وكيده ذلك ان عليا ومعاوية لما يكونا متكافئين .. فلقد كان على أميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين

على حين كان معاوية مجرد وال معزول خائنا للسلطان متمردا عليـــه فلم يكن من العدل أن يتفق الحكمان على ذلك ٠٠

وليت الامر وقف عند هذا الحد فقد كان ابو موسي مخـــدوعا عندما أعلن خلع على ومعاوية على حين أعلن عمرو من بعده خلع على وتثبيت معاوية حينئذ عاد على الى الكوفة ورجـع معـــاوية الى الشـــام ٠

ولقد كانت هذه المهزلة سببا مباشرا في ظهور الخـوارج ذلك ان كثيرا من جند على اصروا على التحلل من بيعته واعلنوا ســخطهم على التحكيم الذى رضي به ـ وما ان وصل على الى الكوفة حتى انفصل عنه مخالفوه الذين كانوا اعوانه وكان عددهم اثنى عشر الف مقاتل وتنادوا بأن الامر شورى وبأن البيعة لله عز وجل وعليهم ان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ٠٠ وهؤلاء هم الذين سموا بالخـوارج لانهم خرجوا على الامام على بعد ان بايعوه ٠ ثم ناظرهم الامام فتـــاب بعضهم ، وارسل اليهم عبد الله بن عباس يناظرهم فأصروا على رأيهم واشترطوا عليه ان يتوب على لأنه كفر بعد قبوله التحكيم وان يعترف بخطئه حتى ينضموا اليه ٠ وانتهى بهم الامـر الى ان اجتمع ثلاثة منهم وهم : عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى بمكة وتعاهدوا على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلـة واحدة وقد نجح ابن ملجم في قتل الامام على بينما أخفق صاحباه في قتل معاوية وعمرو (٢)

---

(١) نقض العلم والعلماء لابن الجوزى ص ٩٧ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ ٠

وقد كان الخوارج من المعارضين لسائر الاحزاب السياسية والدينية الاخرى وكانوا يرون قتالهم والخروج عليهم طاعة لله عز وجل وجهادا في سبيله ٠٠ ولذلك فقد أقلقوا الدولة الاموية وارهقوها وكان ذلك من العوامل الرئيسية في القضاء عليها والتمهيد لقيام الدولة العباسية وقد بقى الخوارج فرقة واحدة حتى سنة ٦٥ هـ اذ اتجهوا الى مكة بزعامة نافع بن الازرق ليناصروا عبد الله بن الزبير اذا وجدوه يدين بمذهبهم فلما ناقشوه تبين لهم انه يخالفهم فانفضوا من حوله وحينئذ بداوا يفترقون فذهب بعضهم الى اليمامة وهم النجدات اتباع نجدة بن عامر الثقفي واتجه الباقون الى البصرة وهم الازارقة اتباع نافع بن الازرق ثم تشعبوا جميعا الى عشرين فرقة لكل فرقة مبادؤها وارأؤها (١)

تاريخهم السياسي في العصر العباسي :

كانت نظرة الخوارج الى العباسيين لا تختلف عن نظرتهم لبني امية فكلهم ظالم مغتصب للخلافة ، جائر عن القصد ، لان الخلافة لم تصل اليهم عن طريق الاختيار الحر من جمهور المسلمين ولانهم لم يستوفوا الشروط الواجب توافرها في الامام ٠٠ ولذا فقد وقفوا منهم موقفا عدائيا صريحا ورأوا ان حربهم جهادا في سبيل الله ٠٠ والخروج عليهم طاعة لله عز وجل ٠٠

ولكن الخوارج في العصر العباسي لم يكونوا أقوياء كما كانوا في العصر الاموى لان الامويين – قد فتكوا بهم فتكا زريعا في غير موقعة

---

(١) أدب السياسة ص ٩٥ ٠٠

فكسروا شوكتهم ٠٠ واضعفوا قوتهم ٠٠ وان كانوا قد عجـــزوا عن القضاء عليهم قضاء مبرما ٠٠ وعلى الرغم من ذلك فقـــــد حاربوا العباسيين في قوة وشجاعة ورباطة جأش منقطعة النظير ٠٠

« فما استقر السفاح في خلافته حتى تحرك خوارج عمـــان وعلى رأسهم الجلندى وكان هو وأصحابه من الخوارج الاباضية فأرســـل اليهم السفاح جيشا على راسه احد القواد العظام وهو « خـــازم بن خزيمة » فسار في البحر حتى ارسي على ساحل عمان ثم خرج ومن معه الى الصحراء وتقاتلوا قتالا شديدا كانت الحرب فيه سجالا ثم اشار الى خازم بعض اصحابه ان يأمر جنوده فيجعلوا على أطراف اسنتهم المشاقة ويرووها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ثم يمشوا بهـا حتى يضرموها في بيوت اصحاب الجلندى وكانت من خشب فلمـا فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمن فيها من اولادهم وأهاليهم فحمل عليهم خازم واصحابه فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم وقتـــل الجلندى فيمن قتل وبلغ عدد القتلى نحو عشرة الاف وبعث رؤوســهم الى البصرة فارسلت الى السفاح وكان ذلك سنة ١٣٤ هـ (١)

وفي عهد المنصور ثار الخوارج بالجزيرة وعلى رأسهم ملبد بن حرملة الشيبانى سنة ١٣٧ هـ فأرسل اليه المنصـــور يزيد بن حاتم المهلبى فهزمه ملبد ومازال المنصور يرسل اليه القائد بعـد القـائد وملبد يهزمهم واخيرا وجه اليه خازم بن خزيمة ومعه ثمانمائة الف من

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٥ : ١٨٣ ٠

اهل « مروروز » فتقاتلوا طويلا ثم امر خازم اصحابه ان يرءوهم بالنشاب فانتصروا عليهم وكان ذلك سنة ١٣٨ هـ (١)

وثار الخوارج ايضا في المغرب فأرسل اليهم المنصور عمر بن حفص من ولد قبيصة بن ابى صفرة اخى المهلب فدامت المعارك بينهم طويلا وانضم كثير من البربر الى الخوارج وكان على رأس الخوارج ابو حاتم الاباضي وانتهى الامر بقتل عمر بن حفص واستيلاء ابى حاتم والخوارج على القيروان فارسل المنصور يزيد بن حاتم بن قبيصة فتغلب على الخوارج وقتل ابو حاتم واتباعه من الخوارج والبربر وكان عدد من قتل في المعركة نحو ثلاثين الفا (٢)

وفي عهد المهدى خرج بخراسان جماعة من الخوارج وعلى رأسهم يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم منكرا هو ومن معه على المهدى سيرته التى يسير بها واجتمع معه خلق كثير فأرسل اليه المهدى يزيد بن مزيد الشيبانى فأسر يوسف البرم وبعث به الى المهدى ومعه وجوه اصحابه فقتلهم المهدى وصلبهم وكان ذلك ١٦٠ هـ

وفي سنة ١٧٨ كانت ثورة الوليد بن طريف الخارجى بالجزيرة فارسل اليه هارون الرشيد يزيد بن مزيد الشيبانى فنازله يزيد وقال لاصحابه انما هى الخوارج ولهم حملة فاثبتوا فاذا انقضت حملتهم فاحملوا عليهم فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا ..

---

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٣٣٨ أحمد أمين ط بيروت .
(٢) المرجع السابق ٣ : ٣٣٨ .

وكان الوليد يوم خرج يقول :

انا الوليـــد بن طـــريف الشـــارى
قســـورة لا يصـــطلى بنـــارى

جوركم اخرجنى من دارى ..

وقد دارت الدائرة على الوليد بعد معارك عنيفة فقتل وتفـــرق جيشه وانتصر عليه يزيد الشيبانى انتصارا حاسما ..

وهكذا كانت ثورات الخوارج متتالية في أوائل العصر العبـــاسي كما كانت كذلك في العصر الأموى .. واذا كان الامويون قد أضـــعفوا الخوارج .. فان العباسيين قد انتصروا عليهم انتصارا يكاد يكـــون حاسما بحيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك ولم يعد لهم في التاريخ اثر كبير .

وقد كان الخوارج حزبا ثوريا يعتصم بالتقوى ويقيم مبادئه على اسس اسلامية صرفه مستمدة من القرآن الكريم ومن السنة النبـــوية وتقاليد الحكم وانماط السلوك الخلقى في عهد الخلافة الاسلامية الاولى وقد نبعت نظريتهم في الخلافة عن مبدأ دينى نقدى عريض وليس عن مبدا سياسي محض كما قد يتبادر الى البعض وهذا المبدا العـام الذى يمثل القاعدة السلوكية الاولى لدى الخوارج ويعد منبعـا اصيلا لتعاليمهم في الاصول الى غايتهم الاولى هو العود الى الكلمة الاصيلة للدين كما في الكتاب والسنة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر استنادا اليهما . (١)

---

(١) الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى ص ٢٠٥ د. النعمان القاضى .

دعائم مذهبهم :

للخوارج مذهب سياسي معروف دافعوا عنه بكل ما يملكون وقاموا بالثورات الكثيرة من أجل هذا المذهب وتدعيم مبادئه ، وتثبيت اركانه ومن اهم ما نادوا به :

١ — الخلافة حق كل مسلم كفء يجتمع فيه العلم والعدل والزهد (١) ولا يشترط في الخليفة ان يكون هاشميا ولا قرشيا بل ولا عربيا ليسهل عزله او قتله اذا انحرف لضعف عصبيته .

٢ — الخليفة ينتخبه المسلمون انتخابا حرا .. وهم بهذا يمثلون « الديمقراطية » ويطبقون الشورى تطبيقا دقيقا .

٣ — الاعتراف بصحة البيعة لابى بكر وعمر والاعتراف بخلافة عثمان في السنوات الست الاولى من حكمه والتبرؤ منه في السنوات الباقية والاقرار بصحة البيعة لعلى والرضا بخلافته قبل التحكيم .. أما بعد التحكيم فيحكمون بكفره . كما حكموا بكفر معاوية وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وعائشة وكانوا يعادون من يخالفهم في هذه الفكرة ويعدونه مخالفا للدين .

٤ — اذا جار السلطان وجب عزله فان امتنع وجب قتله ، ومن خرج على الامام العادل وجب قتله ، وليس من حق الامام الذى اختاره المسلمون ان ينزل عن امامته (٢)

---

(١) الملل والنحل ١ : ١٠٧ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى جـ ١ : ١٠٧ .

ولقد أخلص الخوارج لعقيدتهم وغالوا في ذلك اشد المغالاة فلم يهادنوا خصومهم مهما كانت قوتهم .. ولم يجبنوا عن اعلان رأيهم والدفاع عنه مهما تكن تبعاته .

والذى يتتبع اقوالهم واراءهم ومناقشتهم لخصومهم يتبين انهم متعصبون أشد التعصب لآرائهم متزمتون في تطبيقها على انفسهم وعلى غيرهم (١)

ولقد كان لهم شعراء يدافعون عن مذهبهم ، وينادون بمبادئهم ، ويحملون حملة صادقة على اعدائهم ، وكانوا مخلصين لعقيدتهم اشد الاخلاص مؤمنين بها أعمق الايمان غير ان ادبهم قد عدا عليه الزمن فلم يحفظ لنا التاريخ منه الا القليل .

ادب الخوارج :

اذا كان الادب ظلا للحياة الاجتماعية وصورة من صورها فأدب الخوارج كان صورة صادقة من صور حياتهم .. اشتهر الخوارج بالشجاعة الفائقة .. والجرأة والاقدام .. والجهر بالرأى .. والصلابة في الحق .. حتى لقد كان اعداؤهم يرهبونهم ويفزعون من اسمهم .. وكان العدد القليل منهم كفيل بأن يهزم الكثرة من اعدائهم .. وقد استطاع اربعون رجلا من الخوارج ان يهزموا الفين من الامويين في موقعة آسك .. وقد عبر عن ذلك عيسى بن فاتك الخارجى في قوله :

---

(١) أدب السياسة ١١١ د. أحمد الحوفى .

فلما أصبحوا صلوا وقاموا
إلى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم
فظل ذوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم
بأن القوم ولوا هاربينا
يقول بصيرهم لما أتاهم
بأن القوم ولوا هاربينا
ألفا مؤمن فيما زعمتم
ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك
على الفئة الكثيرة ينصرونا
أطعتم كل جبار عنيد
وما من طاعة للظالمينا (١)

ويصفهم أبو حمزة الخارجي فيقول :

"شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة وأطلاح سهر ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه موصول كلالهم بكلالهم : كلال الليل بكلال

---

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٣٤٤ ·

النهار قد أكلت الارض ركبهم وايديهم وانوفهم وجباههم واستقلوا ذلك في جنب الله (١) .

وهذا وصف يدل على تمكن العقيدة من نفوسهم .. كما يدل على زهدهم وورعهم واحتقارهم للدنيا ومتاعها الزائل فاذا جد الجـد وكشرت الحرب عن انيابها انبروا للاعداء في شجاعة فائقة واقـدام عجيب .. يقول ابو حمزه :

« حتى اذا رأوا السهام قـد فوقت ، والرماح قـد أشرعت والسيوف قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصـواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ومضى الشباب منهم قـدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت اليه سباع الارض وانحطت عليه طير السماء فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله » (٢) .

وهكذا جمع الخوارج — كما وصفهم ابو حمـزه — بين عنصرين اساسيين : عنصر التقوى والورع الـدينى — وعنصر الشـجاعة في الحروب ..

---

(١) البيان والتبيين ٢ : ١٢٤ .
(٢) المرجع السابق ٢ : ١٢٤ .

والى جانب شجاعتهم وورعهم ٠٠ اشتهـوا بالفصاحة وقـوة البيان ٠٠ والاعتداد بالرأى ٠٠ يصفهم عبيد الله بن زياد بقـوله :

« لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع » (١) ٠

ويروى المبرد : ان عبد الملك بن مروان اتى برجل منهم فبحثه فراى منه ماشاء فهما ثم بحثه فراى ما شاء اربا ودهيا (٢) فرغب فيه فاستدعاه فقال له : لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل : قال له قل : فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له مذهبهم بلسان طلق ، والفاظ بينه ، ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك : لقد كان يوقع في خاطرى ان الجنة خلقت لهم (٣)

« لقد كانت ثقافة الخوارج – بحكم غلبة البداوة عليهم – ثقافة عربية خالصة لا اثر فيها لثقافة الفرس كما هو الشأن في الشيعة ولا أثر فيها لفلسفة اليونان كما هو الشأن في ثقافة المعتزلة » ٠

واكثر ما روى من شعرهم وادبهم وحكمهم ونوادرهم كان في العصر الاموى ٠٠ اما ما روى في العصر العباسي فقد كان قليلا نادرا وذلك راجع الى العوامل الآتية :

١ – ان الخوارج قد ضعفت شوكتهم في العصر العباسي ولم يكونوا اقوياء كما كانوا في العصر الاموى فضعف ادبهم تبعا لضعفهم ٠٠

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٣٤٤ ٠
(٢) الأرب : البصر بالأمور والدهى مصدر دهى كرضى اذا كان صاحبه عاقلا مجربا ٠
(٣) الكامل للمبرد ٣ : ٢٣٢ ٠

٢ ــ ان مدونى الادب في العصر العباسي قد سمحت لهم الظــروف السياسية ان يدونوا ادب الخــوارج في العصر الاموى ٠٠ لان الامويين كانوا اعداء العباسيين وفي الوقت نفسه تجاهلوا أدب الخــوارج في العصر العباسي تقربا للحكام وخوفا من بطشهم ٠٠

٣ ــ ان ادب الخوارج كان أدبا شفويا لسانيا غير مكتوب لأن معظم ادبائهم كانوا بدوا ٠٠ وذلك يحتاج الى ان يذهب الرواة اليهم ويسمعون منهم ويدنوا أدبهم ٠٠ وأكثر هؤلاء الرواه كانوا صــنائع الدولة العباسية يتقربون اليهم برواية ما يرضيهم ويدخل السرور اليهم ٠٠

وعلى الرغم من ذلك فــقد رويت للخــوارج بعض القصائد والمقطوعات الشعرية التى تمثل ادبهم في العصر العباسي ٠٠ وتلقى ضوءا باهتا الى ذلك الادب ٠٠ وتعطى للقارىء صورة عنه ٠٠

تقول الفارعة الخارجية اخت الوليد بن طريف ترثيه بعد ان قتله قائد جيش الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني :

فيا شجر الخــابور مالك مورقا
كانك لم تجــزع على ابن طريف
فتى لا يحــب الزاد الا من التقى
ولا المال الا من قنــا وســيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صــلدم
معــاودة للكــربين صـــفوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقــم
مقاما على الاعــداء غــير خفيــف

ولم تستلم يوما لورد كريهة
من السر في خضراء ذات زفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح
وسمر القنا ينكرنها بأنوف
حليف الندى ما عاش يرضي به الندى
فان مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا
فديناك من فتياتنا بألوف
ومازال حتى ازهق الموت نفسه
شجا لعدو اولجا الضعيف
الا يا لقومى للنوائب والردى
ودهر ملح بالكرام عنيف
و للبدر من بين الكواكب اذ هوى
وللشمس لما ازمعت بكسوف
ولليث كل الليث اذ يحملونه
الى حفرة ملحودة وسقيف
الا قاتل الله الجثا حيث اضمرت
فتى كان للمعروف غير عيوف
فان يك اراده يزيد بن مزيد
فرب زحوف لفها بزحوف
عليه سلام الله وقفا فأنني
أرى الموت وقاعا بكل شريف (١)

---

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٣٤٦ .

ولها قصيدة اخرى في رثائه تقول فيها :

ذكـــرت الوليـــــد وأيـامه
اذ الارض من شـــخصه بلقــع
فأقبلــت اطلبـــه في الســـماء
كمــا يبتغى أنفـــه الاجـــدع
اضـــاعك قـومك فليطلبـــوا
افـــادة مثـــل الذى ضـــيعوا
لو ان الســـيوف التى حـــدها
يصـــيبك تعـــلم ما تصـــنع
نبت عنـــك اذ جعلـــت هيبـــة
وخوفا لصــــولك لا تقطع (١)

وهكذا كان ادب الخوارج في العصر العباسي يفيض قوة وحماسة وتتدفق فيه العواطف كالسيل الهادر ·· ويدور معظمه حول الحـــرب واهوالها ورثاء من قتل فيها من ابطال الخوارج ··

ثانيـــا :المعـــتزلة

تختلف الروايات حول مبدأ ظهور هذه الفرقة والسبب في تسميتها بهذا الاسم : ولعل اكثر الاقوال شهرة ان هذه التسمية اطلقهـــا الحسن البصرى على تلميذه واصل بن عطاء الذى صار اماما لهـــذه الفرقة · ذلك ان رجلا دخل على الحسن البصرى فقال له : يا امام

---

(١) المرجع السابق ٣ ـ ٣٤٦ ·

الدين لقد ظهرت في زمننا جماعة يكفرون اصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذالك اعتقادا ؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل ان يجيب قال واصل ابن عطاء : أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من اصحاب الحسن فقال الحسن عند ذلك : اعتزل عنا واصل ومن هنا سمي هو واصحابه المعتزلة (١)

وهناك روايات اخرى تنسب الانفصال الى عمرو بن عبيد لا الى واصل بن عطاء ، على ان الروايات لم تتفق على الذى سماهم فهو تارة الحسن البصرى كما تقدم وتارة قتادة حينما مر بعمرو بن عبيد فقال : ما هذه المعتزلة ؟ (٢)

والمتتبع لتاريخ هذه التسمية يجد ان هذه الكلمة كانت تعنى الحيدة تجاه النزاع القائم بين العلويين والامويين – وانها نشأت نشأة سياسية قبل ان تصير فرقة دينية لها آراؤها تجاه الكثير من امور الدين يدل على ذلك ان أبا الفدا ذكر في مبايعة الامام على سنة ٣٥ هـ اسماء بعض الذين لم يبايعوه وهم في الوقت نفسه لم يكونوا من أنصار عثمان ، وعقب على هذا بقوله : ان هؤلاء سموا المعتزلة لاعتزالهم بيعة على (٣)

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١ : ١٨٦ وما بعدها .
(٢) لسان العرب مادة عزل .
(٣) المختصر فى أصار البشر لأبى الفدا ١ : ١٧١ .

وذكر ابو الفرج ان والد الشاعر ايمن بن خريم كان ممن اعتزلوا حرب الجمل وصفين وما بعدهما من الاحداث فلم يحضرها (١) ٠

وكان سعد بن أبي وقاص من الذين اعتزلوا الصراع بين علي وطلحة والزبير وقال : لا اقاتل حتى تأتوني بسيف يستطيع ان يعقل وينطق ويبصر ليخبرني ان هذا اصاب وان ذاك اخطأ ٠٠

وذكر أبو الفرج كذلك : أن ايمن بن خريم اعتزل النزاع الذي نشب بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان وشاركه في الاعتزال رجل من قومه يقال له ابن كوز فعاتب المتنازعان أيمن فقال ابياتا منها :

فإني تارك لهما جميعا — ومعتزل كما اعتزل ابن كوز (٢)

« وقضية الحكم في مرتكب الكبيرة قضية دينية من الطراز الاول ولكنها كانت في الواقع قد اصبحت في ذلك الوقت قضية سياسية كذلك ذلك انه على اساس من هذا الحكم حدد كل حزب من الاحزاب المتصارعة سياسيا موقع الاحزاب الاخرى فالعلويون يتهمون الامويين منذ عهدهم الاول بقتل علي ، ويتهمون الخوارج بالانفضاض عنه وتركه وحيدا يواجه مصيره والامويون يلعنون عليا على المنابر ويرون في سكوته على مقتل عثمان جريمة ، والخوارج يكفرون عليا لقبوله مبدأ التحكيم ٠ كما يكفرون الذين حاربوه ٠ والمرجئة لا يقطعون بمن من هؤلاء الاحزاب هو على حق او على خطأ فكلهم مؤمنون اول الامر وآخره والله وحده هو الذي يفصل بينهم يوم القيامة ٠ وهنا تبرز القيمة

---

(١) الأغاني ٢١ : ٥ ٠
(٢) الأغاني ٢١ : ٦ ٠

الجديدة لرأى واصل ابن عطاء في مرتكب الكبيرة من الوجهة السياسية فهو لايكفر فريقا من هؤلاء على الاطلاق كما لا يبرىء فريقا على الاطلاق بل ينتهى الى احد الفريقين فاسق لامحالة ولكن دون تعيين، ويوشك واصل بهذا الحكم ان يسقط الاموين والعلويين جميعا (١)

ويذهب الدكتور : عبد الحكيم بلبع الى ان كلام واصل في شـــأن مرتكب الكبيرة وانزاله اياه في منزله الفاسق انما يفسر من خلال المنهج السياسي الذى كان بمثابة التمهيد لقيام الحكم العباسي وان حركة واصل تمثل الفكرة الدينية الرسمية للحكومة العباسية (٢)

ويرى بعض المستشرقين ان صفة المعتزلة كانت تطلـــق على العباسيين انفسهم قبل ان يتولوا الخلافة وذلك نتيجة للموقف الـذى اتخذوه عندما خرجت دعوتهم من السر الى العلن حيث آثروا اتخـــاذ طريق وسط محايد بن العلويين والاموبين فيما كان بينهم من صراع .. فهم من اجل اعتزالهم عن الدخول في هذ االصراع سموا معتزلة (٣)

وهذا يفسر لنا سبب ارتباط المعتزلة بالدولة العباسية منذ قيامها حتى ان المنصور كان يبكى عندما كان يستمع الى وعظ عمرو بن عبيد صديق واصـــل بن عطـــاء .

---

(١) فى الشعر العباسى ص ١٩٣ .
(٢) أدب المعتزلة ٢٩ د. عبد الحكيم بلبع .
(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ٤٤ كارل بروكلمان .

روى الجاحظ : ان عمرو بن عبيد دخل على المنصور يوما فـرأى عنده فتى لم يعرفه فسأله المنصور : يا أبا عثمان : أتعرفه ؟

قال : لا : فقال المنصور : هذا ابن امـير المؤمنين وولى عهـد المسلمين فقال له : قد رضيت له أمرا يصير اليه اذا صار وقد شغلت عنه فبكى المنصـور ثم قال : عظنى يا ابا عثمان فقال : ان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منها ببعضها ، فلو ان هذا الامر الذى صـار اليك بقى في يدى من كان قبلك لم يصـل اليك ، واذكر يوما تمخض عن يوم لا ليلة بعده • فوجم ابو جعفر من قوله •• فقال له الربيع : ياعمرو غممت امير المؤمنين • فقال عمرو للمنصور ان هـذا صحبك عشرين سنة لم ير لك عليه ان ينصحك يوما واحدا وما عمل من وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه • قال ابو جعفر :فما أصنع ؟ قد قلت لك خاتمى في يدك فتعال وأصـحابك فاكفنى : قال عمرو : ادعنا بعدلك تسخ انفسنا بعو نك ، ببابك الف مظلمة أردد منها شيئا تعلم أنك صادق (١)

وهذه الجراة من عمرو بن عبيد على المنصور تدلنـا على مدى الصلة التى كانت تربط أئمة المعتزلة بالخلفاء العباسيين في صـدر الدولة •

ولما مات عمرو بن عبيده رثاه المنصور فكانت الحادثة الاولى من نوعها ان يرثى الخليفة واحدا من الرعية •

---

(١) البيان والتبيين ٢ : ٦٤ •

يقــول المنصور في رثائه :

صلى الاله عليك من متوســـد
قــبرا مــررت به على مــران
قبرا تضــمن مؤمنــا متخشــعا
عبـــد الاله ودان بالقـــرآن
واذا الرجــال تنازعوا في شــبهة
فصــل الحــديث بحجــة وبيـــان
ولو ان هــذا الدهر ابقى صــالحا
ابقـــى لنا عمــرا ابا عثمـــان

ويقول الجاحظ انه بعد وفاة ابن أبي ليلى وعمرو بن عبيد قال ابو جعفر المنصور : ما بقى أحــد يستحى منه (١)

« وقد ظل الجيل الاول من المعتزلة بعيدا عن مواقع النفوذ والسلطان مكتفين بصلاتهم الشخصية بالخلفاء ونفوذهم المعنــوى لديهم الى ان تولى المأمون الخلافة وكان محبا للعلم شغوفا بالدرس والاطلاع فأنشأ بيت الحكمة وجلب اليه المصنفات من كل لغـــة وعكف المترجمون على ترجمتها فانهمك في تدارس هذه الثقـــافات الوافدة ووجد فيه المعتزلة اكبر نصير لهم حتى ليمكن ان يقال ان عصر المأمون كان عصر المعتزلة الذهبي (١)

---

(١) المرجع السابق ٢ : ٦٤ .
(٢) في الشعر العباسي ص ١٩٨ .

والمعتزلة في عهده لم يبقوا – كسابق عهدهم – بعيـــدين عن ممارسة السلطة بـل ظهر منهم احمد بن أبي دؤاد الذى استوزر للمأمون وللمعتصم والواثق من بعده وكان نافذ الكلمة لديهم جميعا (١) •

واستمر نفوذ المعتزلة قويا بعد وفاة المأمون اذ كان أخوه المعتصم الذى ولى الخلافة من بعده يسير على نهجه ويعتنق مبادئه •

وظل احمد بن ابى دؤاد نافذ الكلمة محندة حتى اذا كانت خلافة الواثق بلغ مذهب الاعتزال اقصي حالات انتشاره وعندما آلت الخلافة الى المتوكل : قام بانقلا بفكرى على المعتزلة فضربهم في أشخاصهم ضربة عنفة فاقصاهم عن مراكز القضاء والافتاء وصادر اموالهـــم وزج بهم في غياهب السجون •

وقد انبرى الشعراء لمدح المتوكل منددين بأهل البدع وهم المعتزلة مبتهجين بظهور أهل السنه ••

ومن هذا ما قاله ابو بكر بن الخبار في مدح المتوكل :

وبعد فان السـنة اليوم أصـبحت
معـــــززة حتى كأن لـم تـذلل
تصول وتسـطو اذ اقيـم منـارها
وحط منـار الافـك والزور من عل
وولى اخـو الابداع في الدين هاربا
الى النار يهوى مدبرا غير مقبــل

(١) المرجع السابق ١٩٨ •

شــفى الله منهم بالخليفة جعفــر
خليفة – ذى الســـنة ـ المتــوكل
خليفة ربى وابن عـــم نبيـــه
وخير بنى العبـــاس من منهم ولى
وجامع شمل الدين بعـــد تشتت
وفارى رؤوس المارقين بمنصـــل

وللبحترى في المتوكل مدائح كثيرة وهو في احداها يشير الى هذا التغيير الذى تم على يديه فيقول :

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم

المـــرتضي بـن المجتــــبى
والمنعـــم بن المنتقـــــم
أمـــا الرعـــة فهـى من
أمـان عـــدلك في حــــرم
يا بانى المجـــــد الــــذى
قـــــد كان قوض فانهـــــدم
اســـلم لدين محمـــــد
فاذا سلمت فقـــد ســـلم
نلنـا الهـــدى بعـــد العمى
بك والغنى بعـــد العــــدم

وكان المعتزلة يسمون انفسهم اهل العدل لانهم يقولون بحرية الانسان في اختيار اعماله فيثيبه الله عليها او يعاقبه عادلا فلا جبر ولا اضطرار .

ويسمون أنفسهم أهل التوحيد لانهم نفوا الصفات القديمة عن الله تعالى وقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حى بذاته لا بعلم وقدرة وحياة بل هى صفات قديمة ومعان قائمة به لانه لو شاركته الصفات في القدم الذى هو اخص الوصف لشاركته في الالوهية ..

واطلق عليهم خصومهم احيانا القدرية لانهم وافقوا القدرية في القول بحرية العبد واختياره وقدرته .

أما الاسس العامة لمذهبهم فتقوم عى عدة اصول هى :

العدل ، والتوحيد ، والوعد والوعيد ، والقول بالمنزله بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتوقف عن الحكم على أحد الفريقين من اصحاب الجمل واصحاب صفين ..

ولهم آراء شتى منها ان العقل قادر على معرفة الحسن القبيح وان لم يرد بهما شرع لان في الشيء صفة ذاتية تجعله حسنا او قبيحا (١)

أدب المعتزلة :

خلف المعتزلة لنا أدبا كثيرا يتمثل في الخطب الوعظية والمجادلات مع اصحاب النحل الاخرى والاشعار ..

---

(١) انظر أدب السياسة ص ١٤٠ د. أحمد الحوفى وضحى الاسلام ٣ : ٢٢ .

وكان ادبهم شديد الارتباط بدعوتهم وافكارهم ، أدب يعتمد على الجدل والحجاج وتمجيد العقل والانتصار للمذهب ..

يقول بشر بن المعتمر وهو راس مدرسة الاعتزال في بغداد ممجدا العقل ومنوها بقدراته الفائقة :

لله در العقـــل من رائـــد
وصـــاحب في العســـر واليسر
وحـــاكم يقضي على غـــائب
قضـــية الشـــاهد للآمر
وأن شـــيئا بعض أفعـــاله
أن يفصـــل الخـــير من الشـــر
بـــذى قوى قـــد خصـــه ربه
بخالص التقـــديس والطهـــر

فالعقل هو رائد الانسان وصديقه في العسر واليسر .. وهو الذى يقيس الاشياء ويستنبط الاحكام .. ويميز بين الخير والشر ومن أجل ذلك اثنى عليه الخالق جـــل وعلا ..

ولقد كان المعتزلة أكثر الناس امتلاكا لناصية البلاغة واقـــدرهم على توليد الافكار واستخراج المعانى والقدرة الفائقة على الاقناع ..

ومن يقرأ مناظراتهم ومجادلاتهم وحوارهم لخصـــومهم يدرك حقيقة ما نقول ..

« ولننظر الان في هذا الحـــوار الطريف بين ابى الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وبين صـــالح بن عبد القدوس الزنديق عندما مات أحد أبنائه وقد جـــزع عليــه جزعا شديدا ٠

قال أبو الهذيل لصالح : لا أعرف لحزنك وجها اذا كان النـــاس عندك كالزرع ، فقال صالح : يا أبا الهذيل انما أتوجع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك ٠ فقال له: وما هذا الكتاب يا صالح ؟

قال : هو كتاب وضعته من قرأه تشكك فيما كان حتى يتـــوهم انه لم يكن ، وفيمـــــا لم يكن حتى يتـــوهم أنه قـــــد كـــــان قال له ابو الهذيل : فشك أنت في موت ابنك ، واعمل على أنه لم يمت وان كان قد مات ٠ وشك أيضا في انه قد قرأ كتاب الشـــكوك وان كان لم يقرأه (١)

اما أشعارهم فمنها قدر يتجه الى الحديث عن المعتزلة بوصـــفهم فرقة ذات فكر خاص ورسالة مستقلة ٠٠

يقول شاعرهم صـــفوان الانصارى واصفا اخلاقهم وصـــفاتهم:

تلقب بالغـــزال واحـد عصره
فمـن لليتـــامى والقبيـــل المكاثر
ومن لحـــرورى وآخـــــر رافض
وآخـــــر مرجى وآخـــــر جـــائر

---

(١) الفرست : ص ٢٥١ لابن النديم ٠

وأمر بمعروف وانكار منكر
وتحصين دين الله من كل كافر
يصيبون فصل القول في كل موطن
كما طبقت في العظم مدية جازر
تراهم كأن الطير فوق رؤوسهم
على عمة معروفة في المعاشر
وسيماهم معروفة في وجوههم
وفي المشي حجاجا وفوق الاباعر
وفي ركعة تأتى على الليل كله
وظاهر قول في مثال الضمائر
وفي قص هداب واحفاء شارب
وكور على شيب يضيء لناظر
فتلك علامات تحيط بوصفهم
وليس جهول القوم في علم خابر

يشير صفوان في هذه الابيات الى ان المعتزلة هم الذين يحملون راية الاسلام وهم الذين يكافحون الفرق الضالة كالخوارج والرافضة والمرجئة .. وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. ولهم في كل موقف القول الفصل كل ذلك مع هدوء نفوسهم وورع قلوبهم ولهم زيهم الخاص بهم كالعمامة والثوب القصير وسيماهم في وجوههم من اثر السجود .

ويصفهم بشر بن المعتمر بقوله :

ان كنت تعلم ما اقول
ومـا تقـول فأنت عـالم
او كنت تجهـل ذا وذاك
فكـن لاهـل العـلم لازم
أهـل الرياسـة من
ينـازعهم رياسـتهم فظـالم
سـهرت عيـونهم وأنت
من الذى قاسـوه حـالم
لا تطلـبن رياسـة
بالجهـل أنت لهـا مخاصم
لـولا مقـامهم رايت
الدين مضطـرب الدعائم

اما شعرهم في الرد على مخالفيهم فيغلب عليه طابع الاحتجاج والجـدل ..

يقول سليمان الاعمى في الرد على ما ذهب اليه بشـار بن برد في القول بأن ابليس افضل من آدم لان النار افضل من التراب يقول :

لابد للارض ان طابت وان خبثـت
من ان تحيل اليهـا كل مغـروس
وتربة الارض ان جيدت وان قحطت
فحملها ابدا في اثر منفوس (١)

---

(١) جيلت : أصابها الجود اى المطر ، منفوس : مولود .

وبطنهـــا بفلـز الارض ذو خـبـر
بكل ذي جوهر في الارض مرموس
وكـل آنية عمـــت مرافقهـــا
وكل متقـــد فيهـا وملبـــوس
وكل ما عونهـــا كالملح مرفقـــة
وكلهـا مضـــحك من قول ابليس

ولصفوان الانصاري قصيدة اسهب فيها في الاحتجاج لفضـــل الارض على النار مستقصيا كل خصـائص الارض المادية والمعنوية معـــددا فوائدها ومنافعها ، ومتحدثا عن مكوناتها ودفائنها حديث عالم مدقق خبير ببواطن الامور .

وينتهي من ذلك الى ابطال دعوى بشار في تفضيل النـــار على الارض وفي النهاية يكشف عن معتقدات بشار السـسـخيفة وآرائه الباطلة ثم يدعوه الى الانصراف الى الغزل والتشـبيب النساء وترك الامور الدقيقة لمن يفهمون فيها ويدركون كنه اسرارها ..

يقـــول صفوان :

زعمت بأن النـار أكـرم عنصـــرا
وفي الارض تحيا بالحجارة والزند
وتخـــلق في أرحامهـــا وأرومهـــا
أعاجيب لا تحصي بخط ولا عقـــد

---

(١) مرموس : مدفون .

وفي القعر من لج البحـــار منافع
من اللؤلؤ المكنون والعنبر الـورد
كذلك سر الارض في البحـــر كلـــه
وفي الغيضة الغناء والجبل الصلد
ولا بـــد من ارض لــــكل مطـــير
وكل ســـبوح في الغمائر من جد (١)
كذاك وما يتساح في الارض ماشيا
على بطنه مشي المجانب للقصد
ويسري على جــلد يقيم حزوزه
تمج ماء الســبل في صــبب جرد
وفي قلل الاجبــــال خلف مقطــم
زبرجد املاك الورى ساعة الحشد
وفي الحرة الرجلاء (٢) تلقى معادن
لهن مغــــارات تبجس بالنقـــد
من الذهب الا بريز والفضـــة التي
تروق وتصبى ذا القناعة والزهد
وكــل فلـــــز من نحـــاس وآنك
ومن زئبق حي ونوشـــادر يسدى
وفيهـــــا زرانيخ ومـــكر ومرتك
ومن مرقيشيشا غيركاب ولامكدى (٣)

---

(١) الجد بفتح الجيم وضمها : شاطيء النهر •

(٢) الحرة الرجلاء : الأرض الوعرة كثيرة الحجاره •

(٣) المكر : طين احمر يستخدم للصباغة ، والمرتك : الرصاص المبيض والمرقشيشا : حجارة يستخدم منها النحاس •

وفيها ضروب القار والشب والمها
واصـــناف كبريت مطاولة الوقد
ترى العرق منها في المقاطـع لائحا
كما قدت الحسـناء حاشية البرد
ومن أثمـد جرن وكلس وفضـــــة
ومن توتيــاء في معادنه هنـدي
وفي كل أغـوار البـلاد معـــادن
وفي ظاهر البيداء من مستو نجد
وكل يواقيـــت الانام وحليهــــا
من الارض والاحجار فاخرة المجد
وفيها مقام الخل والركن والصـفا
ومسـتلم الحجاج من جنـة الخلد
وفي صخرة الخضر التى عند حوتها
وفي الحجر المهى (١) لموسى على عمد
وفي الصخرة الصماء تصـــدع آية
لأم فصيل ذى رغاء وذى وخد (٢)
مفـــاخر للطين الذى كان أصـــلنا
ونحن بنوه غير شـــك ولا جحد
فذلك تدبــــير ونفـع وحكمـــــة
وأوضح برهان على الواحد الفرد (٣)

---

(١) الحجر المهى : الذى اظهر ماء لموسى عندما ضربه بعصاه .
(٢) يشير الى الصخرة التى ظهرت منها ناقة صالح عشراء ، والوخد ضرب من سير الابل .
(٣) البيان والتبيين ١ : ١٧ .

يبدأ صفوان قصيدته بالرد على بشار الذى زعم أن النار اكرم عنصرا من الطين فقال له : ان هذه النار لا يمكن أن تشتمل وتحيا الا فوق الارض سواء اكانت في صورتها المألوفة أم بعناصرها الاولية من الحجارة والعيدان التى يقدح بها شررها ٠

والله سبحانه خلق في باطن الارض وفي اصول الجبال اعاجيب لا يحيط بها عد ولا حصر على اليابسة فحسب وانما تمتد تحت البحار والمحيطات حيث يكمن في احشائها اللؤلؤ المكنون وهذه الارض مليئة بالاسرار والمنافع البر والبحر والروض والجبل ، ومهما طوف طائر في الجو أو سبح سابح في البحر فلابد له أن يأوى الى الارض ويستقر عليها ٠

وفي الارض كثير من المعادن النفيسة التى ينتفع بها الانسان كالذهب والفضة والزبرجد والنحاس والزئبق والنوشادر والزرنيخ وغيرها من الاحجار النافعة والعناصر المفيدة كالقار والشيب والزجاج وأصناف الكبريت والمعادن التى ترى عروقها تلوح ممتدة في باطن الارض وفي الارض الاماكن المقدسة كالصفا والمروة والحجر الاسود وصخرة الخضر وغيرها من الاماكن المقدسة عبر التاريخ ثم ينتهى من وراء ذلك كله الى تقرير الحقيقة التى ينشدها وهى أن الارض اكرم عنصرا من النار وانها بهذه الصورة النافعة للناس أكبر دليل على قدرة الخالق جل وعلا

وكان بشار قد هجا واصل بن عطاء زعيم المعتزلة بقوله :

مالى اشايع غزالا له عنق ... (٢)

كنقنق الدو ان ولى وان مثلا ... (٣)

عَلَقُ الزَرافَـــة ما بالُ زِيـالـتـكم
أتكفرون رجالا أكفروا رجلا؟ (١)

فجعله غزالا قاصدا تحقيره اذ كان يبيع الغزل في سوق الغزالية..

فرد عليه صفوان في آخر قصيدته السابقة مفضلا واصلا جماعته على بشار وأصحابه من ذي المبادىء الهدامة والافكار الضالة والعقائد الفاسدة فيقول :

أتجعل عمرا والنطاسي وواصــــلا
كأتباع ديصان وهم قمش المد (٢)
وتفخر بالميلاء والعلج عاصــــم
وتضحك من جيد الرئيس أبي جعد (٣)
وتحكي لدى الاقوام شــنعة رأيه
لتصرف أهـواء النفوس الى الرد
وسميته الغزال في الشـــعر مطنبا
ومولاك عند الظلم قضــته مردي
فيا ابن حليف الطين واللؤم والعمى
وأبعد خلق الله من طرق القصــد
أتهجو أبا بكر وتخلـــع بعــــده
عليــا وتعــــزو كل ذاك الى برد
كأنك غضــــبان على الدين كله
وطالب ذحل لا يبيت على حقــد

---

(١) البيان والتبيين ١ : ١٠.
(٢) قمش المد : اي الاراذل.
(٣) الميلاء : هي حاضنة ابي منصور العجلي صاحب فرقة المنصورية وكان لها شأن في فرقتهم. وأبو الجعد : كنية لواصل بن عطاء..

رَجَعْتَ الى الامصار من بعد واصلٍ
وكنت شريداً في التهائم والنجد
أتجعل ليلى الناعطية نحلة
وكل فريق في التناسخ والرد
عليك بدعد والصروف تُوقرتانى
وحاضنتى كسف وزاحلتى هند
تواثب اقمارا وانت مشوه
واقرب خلق الله من شبه القرد

« قصفوان يستنكر على بشار هجومه على المعتزلة وتشنيعه على واصل ويفضح قصده في ان يصرف الناس عن مذهبه الى المذاهب الفاسدة ويعير بشار بأن اباه كان طيانا وأن مولاه كان ملاحا ويستنكر هجومه على الخلفاء وتكفيره الائمة ويتهمه بأنه موتور من الدين كله، وأنه جحد فضل واصل عليه اذا اعاده الى بلده بعد أن كان بعيداً شريدا في الارض ثم يندد بمذهبه في التناسخ ساخرا منه سخرية مرة في تساؤله عما اذا كان يزعم ان ليلى الناعطية • هى امرأة من الغالية ذات عقل وتدبير تحمل روح نحله ؟

ويهدى اليه نصيحة ساخرة بأن يلزم مجالس النساء من دعد الى هند معرضا بفسقه وعبثه على ان يترك هؤلاء الرجال الذين لا يستطيع أن يساميهم او يطاولهم اذ بينه وبينهم ما بين الارض والقمر مشبهنا اياه في قبحه ودمامته بالقرد (١):

---

(١) انظر الفرق الاسلامية ص ٥٤٤ •

وفي قصيدة أخرى لصفوان الانصاري يصف المعتزلة بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يرهبون في سبيل ذلك سلطان ولا يخافون طاغية ، لا يعبأون بقيظ الصيف ، ولا بصقيع الشتاء .

يتركون اوطانهم ويسافرون الى بلاد بعيدة في سبيل هذه الغاية وهم في كل ذلك لا يبخون بالجهد والمشقة وكد السفر في سبيل الدفاع عن دين الله فنصرهم الله وأظهرهم على أعدائهم فصاروا حماة الدين واهل الفتيا وارباب الجدل يصيبون فصل القول في كل منطق تعرفهم في اخلاصهم وخضوعهم لله تعالى فهم يسعون الى الحج ويطيلون الصلاة حتى ليقضي الرجل منهم الليل في ركعة واحدة .

تعرفهم كذلك في تحرى الصدق والبعد عن الكذب والنفاق ومن قص اهدابهم واعفاء شواربهم ، ومن عمائمهم المكوره ومن قمصانهم الرحيبة كل هذه صفات تجعلهم دعاة صالحين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يقول صفوان :

له خلف شعب الصين في كل ثغرة
الى سوسها الاقصي وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم
تهكم جبار ولا كيد ماكر
أذا قال مروا في الشتاء تطاوعوا
وأن كان صيفا لم يخف شهر ناجر
بهجرة أوطان وبذل وكلفة
وشدة أخطار وكد المسافر
فأنجح مسعاهم واثقب زندهم
وأورى بفلج للمخاصم قاهر

وأوتــاد ارض الله في كل بلقـــع
ومـوضـــع فتياها وعلم التشــاجر
وما كان ســـحبان يشـق غبارهم
ولا الشـدق من حي هلال بن عامر
ولا الناطق النخار والشـــيخ دغفل
اذا وصـــــلوا ايمانهم بالمخاصر
ولا القالة الأعلون رهـط مكحـــل
اذا نطقوا في الصلح بين العشائر
بجمع من الجفين راض وســاخط
وقد زحفـت براؤهم بالمخـــاصر
تلقب بالغـــزال واحـــد عصره
فمن لليتامى والقبيـــل المكاثر
فمن لحـــروري وآخـــر رافض
وآخـــر مرجي وآخـــر حـائر
وامر بمعـــروف وانكـــار منكـــر
وتحصــــين دين الله من كل كافر
يصيبون فصـــل القول في كل منطق
كما طبقت في العظم مدية جازر
تراهم كأن الطير فوق رؤوســـهم
على همة معروفة في المعـــاشر
وســــيماهم معروفة في وجوههم
وفي المشي حجاجا وفوق الاباعــر
وفي ركعـــة تأتي على الليل كله
وظاهر قول في مثال الضــــمائر

(2) [illegible]

وفي قص اهداب واحفاء شـــارب
وكور على شـــيب يضيء لنــاظر
وعنقفة مصـــــلومة ولنمـــله
قبالان في زدن رحيـــب الخـــواطر
فتلك علامات تحيط بوصـــفهم
وليس جهول القوم فيجرمخابر (١)

ولا شك أن الشاعر قد أجاد في وصف اصـــحابه من المعتزلة ٠٠ وتبدو عاطفته قوية مندفعة في هذا الوصـــــف الذى يدل على حبه لأصحابه واخلاصه في مودتهم وتفانيه في الدفاع عن مذهبه ٠

ويتجلى ذلك في وصفه لهم بالاخلاص في القول والعمل والتفانى في نشر مذهبهم وشجاعتهم الفائقة في قول الحق وفصاحتهم التى لا تبارى وقوة برهانهم ووضوح منطقهم ٠٠والاستهانة بالصعوبات في سبيل اعلاء كلمة الله والدفاع عن دينه ٠

أما واصل بن عطاء زعيم المعتزلة فقد اكثر الشـــعراء في مدحه والاشادة ببلاغته وحسن بيانه وقدرته على القول وتمكنه من ناصية اللغة وتصريف وجوه الكلام على الرغم من لثغة قبيحة كانت في لسانه تجعله يتحرج من النطق بحرف الراء ــ كما أشادوا بنضـــاله وتحمله الانتقال من مكان الى آخر في سبيل نشر مذهبه والدفاع عن عقيدته ٠

يقول صفوان الانصاري عنه :

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١ : ١٤ ٠

ملقن ملهـــم فيما يحـــاوله   جم خواطرة جواب الآفاق(١)

ويقول أيضا مفتخرا بمهارته واسقاطه حرف الراء وظهوره على غيره من الخطباء :

فـــــائل بعبد الله في يوم حفلة
وذاك مقـام لا يشـــاهده وغد
اقام شبيبا وابن صـــفوان قبله
يقول خطيب لا يجانبه القصـــد
وقال ابن عيسى ثم ثقاه واصـــل
فابـــدع قولا ماله في الـــورى ند
فما نقصـــته الراء اذ كان قادرا
على تركها واللفظ مطـــرد سرد
ففضل عبدالله خطبة واصـــل
وضوعف في قسم الصلات له الشكر
فاقنع كل القوم شـــكر حبائهم
وقلل ذاك الضعف في عينه الزهد(٢)

يشير صفوان بذلك الى تفوق واصل بن عطاء على الخطباء الذين تكلموا قبله في مجلس عبد الله بن عمر بن العزيز والي العـــراق وهم خالد بن صفوان وشبيب بن شبة والفضل بن عيسى ..

ولقد اعجب الوالي ببلاغة صـــفوان.. وقدرته على التصرف في

(١) معجم الأدباء ٩ : ٢٤٩ .
(٢) البيان والتبيين ١ : ١٩ .

فنون القول ٠٠ وتجنبه لحرف الراء على الرغم من كثرة وجـــودها في الكلام ٠

ويقول شاعر معتزلى آخرا وهو ابو الطروق الضبى مشيدا بخطبه واصل واجتنابه الراء في كلامه :

عليم بابدال الحــــروف وقامع
لكل خطيب يغلب الحق باطله (١)

وكما أشاد شعراء المعتزلة ببلاغة واصل وجهاده في سبيل دعوته أشادوا كذلك بزهده في الدنيا والابتعاد عن زخرفها الكاذب ومتاعها الزائل وفي ذلك يقول صفوان الانصارى :

ولا مس دينارا ولا مس درهمـــا
ولا عرف الثوب الذى هو قاطعـه

وكذلك كانت صورة صـاحبه عمرو بن عبيد الذى وصفه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بقوله :

كلكـم يمشي رويد   كلكم يطلب صـــيد
غير عمرو بن عبيد

وهكذا نجد للمعتزلة شـعرا كثيرا يعبر عن مذهبهم ويدافع عن مبادئهم ويرد على خصومهم ٠٠ من أهل النحل والبدع وهو بالاضافة الى ذلك لا يخلو من العاطفة الحارة والصـورة الرائعة وان كان ذلك قليل لأن معظمه يقوم على الجدل والحجاج ومقارعة الخصــوم فهو شعر يذهب برمته في تقرير العقيدة والدفاع عنها أما موضـــوعات

---

(١) وفيات الأعيان ٥ : ٦٠ ٠

شعرهم فكانت أوثق اتصالا بمذهبهم فهى موضوعات عقائدية خالصة تقوم على تقرير بعض المبادىء التى تدل دلالة قريبة وواضحة على طابع فكرى ومذهبى خالص ..

على ان شعر المعتزلة لم يكن فقط حديثا عن انفسهم وعن مذهبهم او مدافعة لخصومهم بل كانت لهم اشعار في مختلف الفنون والاغراض ومن بينها الغزل .. وللنظام شعر غزلى رقيق لايقل روعة ولا جمالا عن أشعار الشعراء العاشقين :

كقوله :

يا تاركى جسدا بغير فؤاد
أسرفت في الهجران والابعاد
ان كان يمنعك الزيارة أعين
فادخل على بعلة العواد
كيما اراك وتلك اعظم نعمة
ملكت يداك بها منيع قيادى
ان العيون على القلوب اذا جنت
كانت بليتها على الاجساد (١)

وله كذلك :

وشادن ينطق بالظرف
يقصر عنه منتهى الوصف
رق فلو بزت سرابيله
علقه الجو من اللطف

---

(١) آمالى المرتضى ١ : ١٣٣ .

يجرحه اللفظ بتكراره
ويشتكي الايماء بالطرف
افديه من مغرى بما ساءني
فانه يعلم ما اخفي (١)

وله أيضا :

أفرغ من نور سماني
مصور في جسم انسي
وافتقر الحسن الى حسنه
فجل من تحديد كيفي
أبدعه الخالق واختاره
من مازج الانوار علوى
فكل من اغرق في وصفه
اصبح منسوبا الى العى

فهذا شعر عذب رقيق يصلح للغناء لا علاقة له بمذهب المعتزلة ومبادئهم الدينية ·· وان كنا مع ذلك نلمح فيه روح المعتزلة من حيث توليد المعانى وتخريج الافكار واستخدام الكلمات التى لا توجد غالبا الا في قواميسهم فالحديث عن اثر الفكر في الجسم وعن الجسم الذى لا روح له وعن الفكر والخاطر والتوهم والكيف واللطف كل ذلك لايوجد الا في اصطلاح المتكلمين وبخاصة المعتزلة منهم ·

---

(١) الفهرست لابن النديم ٢٥٠ ·

ثالثا : المرجئة

كان ظهور فرقة المرجئة نتيجة طبيعة للتطرف الشـديد الذي اشتملت عليه عقائد الشيعة والخوارج فقد غالى كل من الفريقين في آرائه وتعصب لمعتقداته الى درجة باعدت بينه وبين فطرة الاسلام وبساطة حقائقه ، وكان من الطبيعي ان يسفر هذا الغلو المتطرف عن ظهور فرقة محايدة تلزم جانب القصد والاعتدال لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء وتقف موقفا وسـطا بين الجانبين المتطرفين وتضع مفاهيم جديدة في الحكم على المتنازعين من المسلمين بعد مقتل عثمان من الكفر والايمان فتوسـط في هذه الاحكام بعيدا عن الصرامة والعنف اللذين اتسمت بهما عقائد الخوارج والشيعة (١) .

ويذكر بن عساكر ان رجال المرجئة الاولين كانوا من الغزاة الذين قدموا المدينة بعد مقتل عثمان وكان عهدهم بالناس وامرهم واحد ليس بينهم اختلاف فقالوا : تركناكم وأمركم واحد ليس بينكم اختلاف ، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون فبعضكم يقول : قتل عثمـان مظلوما وكان أولى بالعدل وأصحابه وبعضـكم يقول كان على اولى بالحق واصحابه وكلهم ثقة وكلهم عندنا مصـدق ، فنحن لا نتبرأ منهمـا ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما ونرجىء أمرهما الى الله حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما (٢) .

وهذا يدل على ان المرجئة حزب سـياسي محايد لا هو مع على ولا مع بنى أمية ، وكانوا يسالمون الخوارج والشـيعة وبنى أمية لانهم ليسوا مع الخوارج في تكفير على ومعاوية وليسوا مع الشيعة في تكفير بنى امية وليسوا مع بنى أمية في قتالهم للخوارج والشيعة .

---

(١) الفرق الاسلامية فى الشعر اتموي ص ٢٦٣ .
(٢) تاريخ الشام لابن عساكر ٢٠ : ٥٧٧ .

وكلمة « مرجئة » مأخــوذة من « أرجأ » بمعنى أمهلَ وأخر وقد سموا بالمرجئة لأنهم يرجئــون امر هؤلاء الذين اختلفوا وتنازعوا الى يوم القيامة ولا يقضون بحكم على هؤلاء ولا عى هؤلاء اخذا من قوله تعالى « قالوا ارجه واخاه » أى أمهله وأخره ٠

٢ ــ أو لانهم لم يقضوا على مرتكب الكبيرة بانه من اهل الجنة او من أهل النار وانما أخروا الحــكم عليه الى يوم القيامة فهم بهذا يعطونه الرجاء في المغفرة لانهم ذهبــوا الى أنه لا تضر مع الايمـــان معصـــية كما لا تنفع مع الكفر طاعة فهم يرجون لكلّ مسـلم مغفرة من الله (١) ٠

٣ ــ أو لأنهم يقولون ان الايمان تصــديق فحسب او تصــديق بالقلب واللسـان ولا حاجة الى الاعمال فكأنهم قدموا القول وارجأوا العمل اى أخروه فان المؤمنين ان لم يصــلوا ولم يصــوموا نجاهم ايمانهم أو لانهم يعتقدون ان الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي (٢) ٠

٤ ــ أو هم ســموا بذلك لأنهم أرجأوا اى اخروا عليا من الدرجة الاولى الى الرابعة فهم على نقيض الشيعة (٣)

ونحن لا نرى خلافا بين هذه الآراء فهي جميعا متداخلة وترجــع جميعها الى ارجاء الحكم على المتنازعين من أصحاب علي وطلحــه والزبير ومعاوية وغيرهم الى يوم القيامة ليحكم بينهم الله تعــالى يوم القيـــامة ٠

---

(١) الملل والنحل ١ : ١٢٥ ٠
(٢) لسان العرب مادة لجأ ٠
(٣) الملل والنحل ١ : ١٢٥ ٠

وان كنت استبعد ان يكون رأيهم في تاخير على هو السبب في هذه التســـمية

كانت نظـرة المرجئة الى الخـــلافة وســـطا بين الخـــوارج والشيعة ·· فقد نظر الخوارج الى الخلافة على انها منصب سياسي لا منصب دينى ·· وهم يربطون بين الايمان والعمل الصـــالح ويرون انهما وحدة لا تنفصم ومرتكب الكبيرة في رأيهم كافر مخلد في النـــار وبنوا على هذا ان بنى امية مرتكبون الكبائر كفارا يجب قتالهـــم وخلعهـــم ·

اما الشيعة فذهبوا الى ان الامامة منصب دينى متوارث وقـالوا ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اوصي بالخلافة لعلى وعلى أوصي لابنه وهكذا والامام في رايهم معصوم من الخطأ وهو وحده مصـــدر التشريع ولا تجوز مخالفته ولا عزله وطاعته ركن من اركان الدين ·

أما المرجئة فخالفوا هؤلاء وهؤلاء اذ فصلوا العقيدة الدينية عن الرأى السياسي لان كل من اعلن اسلامه مسلم ولا يخرجه عن ايمـــانه انه عاص او مرتكب للكبائر وهم ينفرون من المعاصي لكنهم لايقضون على مرتكب المعصية بدخول الجنة أو النار بل يرجئون الحكم في ذلك
على مرتكب المعصية بدخول الجنة او النار بل يرجئون الحكم في ذلك
الى الله يفعل بهم ما يشاء يوم القيامة (١) ·

وقد تأثر بعض الادباء بآراء المرجئة ودانوا بمذهبهم وعبروا عن ذلك في نتاجهم الادبى ·· وان كان هؤلاء الادباء أقل شأنا من أدباء المعتزلة ·· ولكنهم على كل حال خلفوا لنا من اشعارهم ما ينبىء عن مذهبهـــم ··

---

(١) أدب السياسة ص ١٢٥ ط دار النهضة ·

ومن هؤلاء ابو عاصم الليثي الذى كان من الخوارج ثم خالفهم وانضم الى المرجئة نلمس ذلك في قوله :

فارقت نجـــدة والــذين تزرقوا
وابن الزبير وشـــيعة الكذاب (١)

والصــفر الآذان الـذين تخــيروا
دينـــا بلا ثقــة ولا بكتـــاب (٢)

ومنهم ثابت بن قطنة ويكنى بأبى العلاء وقـــد لقب بقطنة لان عينهما اصابه في احدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك فكان يجعل عليها قطنة (٣)

وقد كان ثابت لسان المرجئة المعبر عن عقيدتها ويذكر ابوالفرج ان ثابتا هذا قد جالس قوما من الشراة وقوما من المرجئة كانوايجتمعون فيتجادلون بخراسان فمال الى قول المرجئة واحبه فلما اجتمعوا بعد ذلك انشدهم قصيدته في الارجاء وهى قصيدة على جانب كبـــير من الاهمية والخطر لانها الاثر الوحيد الباقى الذى يصور عقيدة المرجئة وافكارها وهى لذلك تعد وثيقة تاريخية وفنية على درجة كبــــيرة من الفائدة وقد اودع فيها ثابت مقاله المرجئة حيث يقول :

---

(١) نجدة زعيم فرقة النجدات من الخوارج ، تزرقوا : دانوا بمذهب الازارقة وهم من الخوارج وكان زعيمهم نافع بن الأزرق وابن الزبير : هو عبد الله بن الزبير بن العوام زعيم الحـزب الزبيرى والكذاب : المختار بن ابى عبيد الله الثقفى زعيم الكيسانية احدى فرق الشيعة .

(٢) الصفر الآذان : هم الصفرية اتباع زياد بن الأصفر احدى فرق الخوارج .

(٣) الأغانى ١٣ : ٤٧ .

يا هند انى اظنّ العيش قـد نفـدا
ولا أرى الامـر الا مـدبرا نكـدا
انى رهينـة يوم لسـت سـابقة
الا يكون يومنـا هـذا فقد أفـدا
بايعت ربى بيعـا ان وفيت به
جاورت قتـلى كراما جـاوروا أحدا
يا هند فاسـتمعي لي ان سيرتنا
أن نعبـد الله لا نشرك به احـدا
نرجى الامور اذا كانت مشـبهة
وتصـدق القـول فيمن جار او عندا
المسـلمون على الاسـلام كلهـم
والكافرون استووا في دينهم قددا
ولا ارى ان ذنبـا بالغ احـدا
م الناس شركا اذا ماوحدوا الصمدا
لا نسـفك الدم الا ان يراد بنـا
سفك الدماء طريقا واحـدا جـددا
من يتـق الله في الدنيـا فـان له
أجر التقى اذا وفي الحسـاب غدا
وما قضي الله من أمـر فليس له
رد وما يقض من شيء يكن رشـدا
كل الخوارج مخـط في مقـالته
ولو تعبد فيمـا قال واجتهـدا
أمـا علي وعثمـان فانهمـا
عبدان لم يشركا بالله مذ عبـدا

وكان بينهما شـغب وقـد شـهدا
شق العصا وبعين الله ما شـهدا
يجـزى على وعثمـان بسـعيهما
ولسـت ادرى بحـق آيه وردا
الله يعـلم ماذا يحضـران به
وكل عبد سيلقى الله منفردا (١)

والابيات تصـور مذهب المرجئة تصـويرا دقيقـا ، ذلك ان المسلم اذا التبست عليه امور المتنازعين يجـب ان يتـوقف في الحكم عليهم وان يرجىء امرهم الى الله تعالى يوم القيامة ليحكم بينهم بما يعلمه أما اذا كانت الامور واضحة فاننا نجهر فيها برأينا ونحكم فيها بالصواب او بالخطأ ٠

ونحن لا ينبغي ان تكفر مؤمنا مهما كان ذنبه عظيما لان الايمـان لا يذهب بالذنب ٠٠ ولا نقاتل احدا من المسلمين الا دفاعا عن أنفسنا ولسنا مع الخوارج في تكفير على وعثمان رضي الله تعالى عنهما لانهما مسلمان يعبدان الله تعالى ولا يشركان به شيئا ولان النزاع بينهمـا لم ينقص من ايمانهما ، والله تعالى اعلم بحقيقة امرهما وسيجزى كلا منهما على عمله جزاء وفاقا لان كل انسان سيسأل منفردا أمـام الله تعـالى ٠٠

وقد أفلح ثابت في التعبير عن مذهب المرجئة ٠٠ وان كان معظـم تراثه قد ضاع ولم يبق منه الا هذه القصيدة ولا نشك في أنه كانت له

---

(١) الأغاني ١٣ : ٥٠ ٠

اشعار اخرى تصور مذهبه وتعبر عنه فقد ذكر ابو الفرج انه نسخ ما أورد اشعاره من كتاب بخط المرهبى الكوفي في شعر ثابت بن قطنة (١) ..

وذكر ابن النديم ان احمد بن ابراهيم بن اسماعيل ابن داود بن حمدون كان له كتاب بعنوان شعر ثابت قطنة (٢)

وهذا يجعلنا نعتقد انه كان شاعرا مكثرا ولكن أشاره قد عفا عليها الزمن فضاعت مع ما ضاع تراثنا الادبى والعلمى ولو بقيت لاستفدنا منها الكثير .

ولقد كان لاراء المرجئة صدى كبير لدى الاوساط الادبية في العصر العباسي .. ذلك ان كثيرا من الشعراء الذين اسرفوا على انفسهم في ارتكاب المعاصي طمعوا في عفو الله ومغفرته ورضوانه لانه تعالى يغفر الذنوب جميعا – ونفروا من الخوارج والمعتزلة ..

فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة .. والمعتزلة يجعلونه في منزلة بين الكفر والايمان .. فمرتكب الكبيرة عندهم ليس بمؤمن وليس بكافر .. اما المرجئة فانهم يرضون امره الى الله وهو سبحانه واسع المغفرة .. ان شاء عفا وان شاء عاقب .. ومن ثم صادفت مقولتهم هوى في نفوس بعض الادباء الماجين كأبى نواس الذى تزهد في اواخر ايامه وطمع في عفو الله ورضوانه .

---

(١) الأغانى ١٣ : ٥٢ .
(٢) الفهرست ٣٦٥ .

وكان ابو نواس قد صحب النظام في صباه ثم اقترفا ثم دخل النظام في المعتزله حتى صار زعيما من زعمائهم فلما التقيا بعد ذلك دعا النظام ابا نواس الى اعتناق مذهبه ولامه على شرب الخمر وقرعه على فجوره ومجاهرته بالعصيان وخوفه عاقبة ارتكابه الكبائر فقال ابو نواس قصيدته التى مطلعها :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

وختمها معرضا بالنظام وأقواله في قوله :

فقل لمن يدعى في العلم معرفة
حفظت شيئا وغابت عنك أشياء
لا تحظر العفو ان كنت أمرءا حرجا
فان حظركه في الدين ازراء

ولابى نواس مقطوعات كثيرة يناجى فيها ربه ويطلب عفوه ورضاه مخالفا بذلك اراء المعتزلة في مرتكب الكبيرة ومفوضا امره الى الله راجيا مغفرته كما تقول المرجئة كقوله :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم
ادعوك رب كما امرت تضرعا
فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم
ما لى اليك وسيلة الا الرجا
وجميل عفوك ثم انى مسلم

وابو نواس يتضرع الى الله ويرجو رحمته ويرى ذنوبه مهما عظمت صغيرة بجانب عفو الله ومغفرته

ثم اذا كان المحسنون وحدهم هم اصحاب الرجاء في العفو في حين انهم لا يحتاجون اليه بحكم ما قدموا من احسان فالى من يلجأ المجرمون؟ هل يسعهم شيء سوى رحمة الله التى وسعت كل شيء ؟ واذا لم يكن المولى سبحانه رحيما بهم فمن يرحمهم ؟ ..

وفي موقف اخر يناجى ابو نواس نفسه بقوله :

يا نواس توقر ... وتجمل وتصبر
ساءك الدهر بشيء ... وبما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو ... الله من ذنبك اكبر
اكبر الاشياء عن اصغر ... عفوا الله اصغر
ليس للانسان الا ... ما قضي الله وقدر
ليس للمخلوق تدبير ... لا بل الله المدبر

فاكبر الذنوب مهما عظم لا يسوى شيئا بجانب عفو الله وان الانسان ليس حرا في تصرفاته فكل شيء يجرى بتدبير الله ورهن مشيئته .. وهو بذلك يناقض مذهب المعتزلة .. ويسير في خط واحد مع آراء المرجئه ومعتقداتهم ..

ومهما يكن من شيء فقد كان لهذا الصراعات بين الطوائف الدينية والفكرية والسياسية دور فعال في نمو الادب وازدهاره فقد جعلته أدبا عالميا حيا نابضا بالحياة زاخرا بمختلف الاتجاهات حافلا بكل الاحاسيس التى تكتب له الدوام والخلود .

تم بحمد الله

المصـــــادر والمراجع

١ ـ أدب السياسة في العصر الاموى .. د. أحمد الحوفي

٢ ـ ادب الشيعة .. د. عبد الحسيب طه

٣ ـ ادب المعتزلة .. د. عبد الحكيم بلبع ـ دار نهضـــة مصر للطبع والنشر ـ

٤ ـ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجـــــرى .. د. محمد مصطفى هداره ـ ط دار المعارف ـ

٥ ـ الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني .. ط . دار الكتب المصرية

٦ ـ الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ـ ط ـ بيروت ـ

٧ ـ بغية الوعاة لجلا لالدين السيوطي ـ ط ـ السعادة بمصر

٨ ـ البيان والتبيين .. للجاحظ ـ ط ـ بيروت

٩ ـ تاريخ آداب اللغة العربية . جورجي زيدان ـ ط ـ دار الهـــلال

١٠ ـ تاريخ الامم الاســـلامية .. محمد الخضرى ـ ط ـ المكتبة التجـــارية بمصر

١١ ـ تاريخ الأمم والملوك .. للطبرى ـ ط ـ الاستقامة بمصر

١٢ ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي .. د. حسن ابراهيم حســن

١٣ ـ تاريخ بغداد .. للخطيب البغدادي ـ ط ـ السعادة بمصر

١٤ ـ تاريخ الشعر السياسي .. د. أحمد الشايب ـ ط ـ بيروت

١٥ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية .. كارل بروكلمان ـ ط ـ بيروت

١٦ ـ تاريخ الشام .. لابن عساكر

١٧ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق .. محمد جمال سرور

١٨ ـ تاريخ الشعر العربى .. د. محمد عبد العزيز الكفراوى ـ ط ـ النهضة بمصر

١٩ ـ تاريخ النقد العربى .. د. محمد زغلول سلام ـ ط ـ دار دار المعـــارف

٢٠ ـ التطور والتجديد في الشعر الأموى .. د. شوقى ضـيف ـ ط ـ دار المعارف

٢١ ـ حديث الاربعاء .. د. طه حسين ـ طـ دار المعـــارف

٢٢ ـ الحدود الاسلامية البيزنطية .. فتحى عثمان ـ ط ـ دار الكتاب العربى

٢٣ ـ الحضارة الاسلامية .. لآدم متز ـط ـ لجنـــة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٧ م

٢٤ ـ حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثانى للهجرة .. يوسف خليف ـ ط ـ دار الكاتب العربى

٢٥ ـ الخـراج لابى يوسف صاحب ابى حنيفـــة ـ ط ـ بولاق بمصـــــر سنة ١٣٠٢ هـ

٢٦ ـ دائرة معـارف وجدى ـ ط ـ دائرة معارف القرن العشرين بمصـــــــــــر

٢٧ ـ ديوان اشعار الامير أبى العبـاس عبـــد الله بن المعـــتز ـ ط ـ دار المعارف

٢٨ ـ ديوان أبى تمـام ـ ط ـ بيروت

٢٩ ـ ديوان أبى نواس ـ ط ـ بيروت

٣٠ ـ ديوان البحتري ـ ط ـ بيروت

٣١ ـ ديوان بشار بن برد ـ ط ـ بيروت

٣٢ ـ ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ـ ط ـ دار الكتب المصرية

٣٣ ـ ديوان دعبل بن على الخزاعي تحقيق ٠٠ د٠ محمد يوسف نجم ـ ط ـ بيروت

٣٤ ـ زهر الآداب وثمر الالباب ٠٠ لابى اسحاق الحصرى ـ ط ـ الحلبى بمصر

٣٥ ـ الشعر والشعراء ٠٠ لابن قتيبة ـ ط ـ الحلبى بمصر

٣٦ ـ شعر الطبيعة في الادب العربى ٠٠ د٠ سيد نوفل ـ ط ـ مصر سنة ١٩٤٥ م

٣٧ ـ الشعر العربى بين الجمود والتطور ٠٠ د٠ محمد عبدالعزيز الكفراوى ـ ط ـ نهضة مصر

٣٨ ـ شعر الحرب في ادب العربى د٠ زكى المحاسنى ـ ط ـ دار المعارف

٣٩ ـ الشعوبية واثرها الاجتماعى والسياسي ٠٠ د٠ زاهية قدوره ـ ط ـ بيروت

٤٠ ـ شعر مروان بن أبى حفصه جمع وتحقيق ٠٠ د٠ حسين عطوان ـ ط ـ دار المعارف

٤١ ـ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ـ ط ـ مصر

٤٢ ـ الصورة الفنية في شعر دعبل بن على الخزاعى ٠٠ د٠ على ابراهيم ابو زيد ـ ط ـ دار المعارف بمصر

٤٣ ـ ضحى الاسلام ٠ ٠احمد أمين ـ ط ـ بيروت

٤٤ ـ طبقات ابن سـعد ـ ط ـ مصر

٤٥ ـ طبقات الشعراء .. لابن المعتز تحقيق عبد الستار احمد فراج ـ ط ـ دار المعارف بمصر

٤٦ ـ طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ـ ط ـ ليدن سـنة ١٩١٣ م

٤٧ ـ ظهر الاسـلام .. احمد امين ـ ط ـ بيروت

٤٨ ـ العصر العبـاسي الاول .. د. شـوقي ضيف ـ ط ـ دار المعارف

٤٩ ـ العصر العبـاسي الثـانى .. د. شوقي ضيف ـ ط ـ دار المعارف

٥٠ ـ عصر المأمون .. د. أحمد فريد الرفاعي ـ ط ـ دارالكتب المصـرية

٥١ ـ العقد الفريد .. لابن عبد ربه الاندلسي ـ ط ـ القاهرة سـنة ١٩٤٧ م

٥٢ ـ عيون الاخبار .. لابن قتيبة ـ ط ـ دار الكتب المصرية

٥٣ فجـر الاسـلام .. أحمد امين ـ ط ـ بيروت

٥٤ ـ الفرق الاسلامية في الشعر الأموى .. د. النعمان القاضي ـ ط ـ دار المعارف بمصر

٥٥ ـ الفرق بين الفرق .. الخطيب البغدادى ـ ط ـ مصر

٥٦ ـ الفرج بعد الشـدة .. للتنوخي ـ ط ـ دار الطبـاعة المحمدية بمصر

٥٧ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربى .. د. شـوقي ضـيف ـ ط ـ دار المعارف

٥٨ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ٠٠ د٠ شـوقي ضـيف ـ ط ـ دار المعارف

٥٩ ـ الفهرست ٠٠ لابن النديم ـ ط ـ الاستقامة بمصر

٦٠ ـ في الشعر العباسي الرؤية والفن ٠٠ د٠ عز الدين اسماعيل ـ ط ـ دار المعارف

٦١ ـ القاموس المحيط ٠٠ للفيروز ابادى ـ ط ـ بيروت

٦٢ ـ الكامل للمبرد ٠٠ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ ط ـ دار نهضـة مصر

٦٣ ـ كتاب العرب ٠٠ لابن قتيبة ـ ط ـ ليدن

٦٤ ـ لسان العرب لابن منظور ـ ط ـ بيروت

٦٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ للمسـعودى ـ ط ـ القـاهرة سنة ١٩٣٨ م

٦٦ ـ مظـاهر الشعوبية في الادب العربى ٠٠ د٠ محمد نبيـه حجاب ـ ط ـ نهضة مصر

٦٧ ـ المختصر في تاريخ البشر لابى الفدا ـ ط ـ بيروت

٦٨ ـ المزهر ٠٠ لجلال الدين السيوطى ـ ط ـ السعادة بمصر

٦٩ ـ معاهد التنصـيص ، على شواهد التلخيص ٠٠ للعباسي ـ ط ـ السعادة بمصر

٧٠ ـ المحاسن والمسـاوىء للبيهقى ـ ط ـ بيروت ١٣٨٠ هـ

٧١ ـ معجم البلدان ٠٠ لياقوت الحموى ـ ط ـ السعادة بمصر

٧٢ ـ مقاتل الطالبيين ٠٠ لأبى الفرج الاصفهانى ـ ط ـ بيروت

٧٣ ـ مقدمة ابن خلدون ـ ط ـ محمد عاطف بالقاهرة

٧٤ ـ الملل والنحل ٠٠ للشهرستانى ـ ط ـ بيروت

٧٥ ـ النزاع والتخاصم ٠٠ للمقريزى ـ ط ـ مصر

٧٦ ـ الوسيط في الادب العربى وتاريخه ٠٠ احمد السكندرى ومصطفى عنانى ـ ط ـ دار المعارف بمصر

٧٧ ـ وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان ٠٠ لابن خلكان ـ ط ـ السعادة بمصر ٠

محتويـات الكتـاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٨٨٤ / ١٩٨٤